العلم الخشية

سلسلة الحق والنور

الرسالة الرابعة

الهدى والنور
في
الرسالة الخاتمة والوارثية

تأليف

الشريف الشيخ عباس السيد فاضل النقشبندي الحسني

المعرفة

الطبعة الثانية
مزيد فيها

الدعوة

المقدمة

الحَمْدُ للهِ الخَالِقِ البارِئ المُصّور، عَـالِمِ الغَيْـب والشَّهادَةِ هو الرَّحمنُ الرَّحيمُ. والصّـلاةُ والسّـلامُ على عَبْدِهِ وَحَبيبِّهِ، وخَـاتَمِ أنبيائِـهِ وَرُسُـلِهِ؛ الـنبيِّ الأُمِّيِّ، فاتِحِ بابِ العلمِ، وعَينِ اليقينِ، الذي كان نبياً وآدمُ بين الماءِ والطين. وعلى أهلِ البيتِ المُكرمين، وأصحابِ رَسُـولِ اللهِ وتـابعيهم بإحسـانٍ إلى يَـوْمِ الدين ـ رضوانُ اللهِ تعالى عَلَيْهِم أجمعين.

أمّا بعدُ: فقـد قـال الله تعـالى ــ في حـق نبيّنـا محمّدٍ ﷺ: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾[1]، لذلك فقـد تحققـتْ في نبيِّنـا محمّـدٍ ﷺ، الرسـالةُ،

(١) سورة الأحزاب.

والاصطفاءُ[1]، والخاتميةُ: ومـن ذلـك مـا رُويَّ عـن العِرْباض بن سَارِيَة قال: قال رَسُـولُ الله ﷺ: ﴿إِنِّي عَنْـدَ اللَّـهِ لَخَـاتَمُ النَّبِيِّـينَ وَإِنَّ آدَمَ الطَّيِّةِ لَمُنْجَـدِلٌ فِـي طِينَتِهِ﴾[2].

---

(١) فهو ﷺ المجتبى لحب ذات الله الأقدس جل وعلا، ولهذا سُميَّ نبينا "بالحبيب" ﷺ.

(٢) أخـرجه محمـد بـن عبـد الله الحـاكم النيسـابوري (ت٤٠٥هـ) فـي "المسـتدرك" (٢/ ٤١٨ ، ٦٠٠). وسـليمان بـن احمـد الطبراني (ت٣٦٠هـ) فـي "المعجَـم الكبيـر" (١٨/ ٢٥٣). واحمـد بـن الحسـين بـن علـي بـن موسـى البيهقـي (ت ٤٥٨هـ) في "دَلائـل النبـوة"(١/ ٨٣). وعلي بـن الحسـن بـن هبـة الله بـن عساكر الدمشقي (ت٥٧١هـ) في "تاريخ دمشق"(١/ ٣٨)؛ كلهم بلفظ: ﴿إني عنْدَ اللَّه في أُم الكتاب لخاتم النبيين...﴾. وبلفظ: ﴿إني عِندَ اللَّه لَخاتم النبيّينَ وإنَّ آدَمَ لَمنجدلٌ في طينتهِ﴾. وبلفـظ الترجمـة أخرجـه البيهقـي أيضـاً فـي "دَلائـل النبوة" (١ / ٨١). ومحمد بن حبان بن احمد التميمي البستي (ت٣٥٤هـ) في "صـحيحه" (٢٠٩٣). ونـور الـدين علـي بـن أبـي بكـر الهيثمـي أبـو الحسـن فـي "موارد الظمآن" (ت٨٠٧هـ)، (٥١٢/١). وأحمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ) في "المسند"(١٢٧/٤، ١٢٨). قال الحاكم في "المستدرك" (٦٠٠/٣): "هذا صـحيح الإسـناد"، وأقره محمـد بـن احمـد بـن عثمـان الـذهبي (ت٧٤٨هـ) علـى ذلك؛ وقال: "صحيح" كما في "التلخيص"، وأورده الهيثمي في "مَجمَع الزوائد" (٨/ ٢٢٣)، وقـال: (رواه أحمـد والطبرانـي، والبـزار، وأحـد أسـانيد احمـد رجالـه رجال الصحيح، غير سعيد بن سويد، وقد وثقه ابن حبان). وأورده كذلك، محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الزَّبِيدي (ت١٢٠٥هـ) في "إتحاف السادة=

وفي روايةٍ أخرى، عن مَيْسَرة الفجر قال: قلت يا رَسُولَ اللَّهِ، متى كنت نبياً ؟ قال: ﴿وآدم ﷺ بين الروحِ والجسد﴾[1].

=المتقين"(٧/ ١٤٤). وأبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ) في "البداية والنهاية" (٢ /٣٢١). وأبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري (ت٣١٠هـ) في "تفسيره" (١/ ٤٣٥). والحسين بن مسعود الفراء البغوي (ت٥١٦هـ)، في "شرح السنة" (١٣/ ٢٠٧). ومحمد بن عبد الله الخطيب التِّبريزي (ت ٧٣٧ هـ) في "مشكاة المصابيح"(٥٧٥٩).وابن كثير في "تفسيره":(١/٦،٢٦٨/ ٤٢٥). وعبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، في "الدّر المنثور" حديث (٣٢٩). وشمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر السَّخَاويُّ، (ت٩٠٢هـ)، في "المقاصد الحسنة" (٨٣٧). وإسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي (ت١١٦٢هـ) في "كشف الخفاء" (٢٠١٧). ونور الدين علي بن سلطان محمد المشهور بالملا علي القاري (ت١٠١٤هـ)، في "الأسرار المرفوعة" (٣٥٢).وبدر الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الزركشي (ت٧٩٤هـ)، في "تذكرته" باب الفضائل حديث ١٦. وعلي بن حسام الدين المتقي الهندي (ت ٩٧٥هـ) في "كنز العمال" (٣١٩٦، ٣٢١١٤).

(١) أخرجه محمد بن عيسى الترمذي (ت٢٧٩هـ)، في"سننه" (٣٦٠٩). والإمام أحمد في "المسند" (١٥ / ٢٥٨)رقم الحديث: ٢٠٤٧٤، بإسناد صحيح، ورجاله أئمة مشاهير. والبيهقي في "دلائل النبوة" (١ / ٨٥ ، ٢ / ١٢٩). والحاكم في "المستدرك" (٢ /٦٠٨، ٦٠٩)،وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرّجاه).وأقرّه الذهبي.وأخرجه أبو نعيم احمد بن عبد الله=

وروى الإمام التِّرْمِـذي في "صـحيحه"، قـال: حَدَّثَنَا أَبُو هَمَّـامٍ الْوَلِيـدُ بْـنُ شُـجَاعِ بْـنِ الْوَلِيـدِ الْبَغْدَادِيُّ حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ عَن الأَوْزَاعِيِّ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ عَن أَبِي سَلَمَةَ عَن أَبِي هُرَيْـرَةَ قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَتَى وَجَبَتْ لَـكَ النُّبُـوَّةُ؟ قَالَ: «وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ»(١) .

=الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، في "حلية الأولياء" (٩ / ٥٣). وأورده الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٨ / ٢٢٣). والسيوطي في "الدّر المنثور" (٥ / ١٨٤). والعجلوني في "كشف الخفاء" (٢ / ١٨٧)، ورواهما عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي (ت٥٩٧هـ) في "الوفا بأحوال المصطفى" الباب الأول (ص٢٥) دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا.

(١) قَالَ أَبُو عِيسَى الترمذي في "سننه" كتاب المناقب . باب فضل النبي ﷺ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ لا نَعْرِفُهُ إِلا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، ومعنى غريب أي: انفراد الراوي في الحديث مع اتصالِ السند في الحسن والصحة؛ قال الإمام علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت٨١٣ هـ) في "التعريفات"(ص١٦٢): والغريب من الحديث ما يكون إسناده متصلاً إلى رسول الله ﷺ، ولكن يرويه واحد إمّا من التابعين، أو من أتباع التابعين، أو من أتباع أتباع التابعين. وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح، وقال الألباني: "صحيح" كما في"صحيح الترمذي" (١٨٩/٣).

ـ وفي نفس السياق جاء في "إنجيل برنابا" العديد من النصوص التي تدل على ما ذكرنا ـ منها: (فلما انتصب آدم على قدميه رأى في الهواء كتابة تتألق كالشمس نصّها: (لا إله إلا اللَّه محمد رسول اللَّه)، ففتح حينئذٍ آدم فاه، وقال: (أشكرك أيها الرب إلهي؛ لأنك تفضلت فخلقتني، ولكن أضرعُ إليك أن تنبأني ما معنى هذه الكلمات:- (محمد رسول اللَّه)؛ فأجاب الله: (مرحباً بك يا عبدي آدم وإني أقول لك إنك أول إنسان خُلِقْتَ وهذا الذي رأيت إنما هو ابنك الذي سيأتي إلى العالم بعد الآن بسنين عديدة، وسيكون رسولي الذي لأجله خَلَقْتُ كل الأشياء الذي متى جاء

سيعطي نوراً للعالم، الذي كانت نفسُه موضوعة في بهاء سماوي ستين ألف سنة قبل أن أخلق شيئاً)[1].

وتقريبٌ لهذا الأمر؛ ضرب بعض علماء الأمة مثالاً على ذلك بالقول: "إن خريطة النّبيّ محمّد ﷺ ثُبِّتَتْ قبل الوجود فلمّا وُلِدَ ﷺ، بُنِيَ على تلك الخريطة"؛ لقوله ﷺ: ﴿كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ. قال: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾[2]، ومن جملة ما كتب في الذكر: وهو "أم الكتاب"؛ أن محمداً خاتم النبيين، وقوله: ﴿إني عند الله لخاتم النبيين وإن آدم عليه السلام لمنجدل في طينته﴾،أي أنه طريح ملقى قبل نفخ الروح فيه عليه السلام.

---

(١) ((نص إنجيل برنابا)): سيف الله أحمد فاضل (ص٨٨).

(٢) ((صحيح مسلم)): لأبي الحسين لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ): كتاب القدر . باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام.

قلتُ: كالروح، والمقام الشريف؛ وليس الجسد الشريف؛ لأن الجسد يدخل في قوله تعالى:- ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴿٣٠﴾﴾[1]، لذلك حين سُئلَ المعصومُ الأعظم ﷺ، عن بدء الخلق فقال: ﴿كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾، رواه البخاري[2].

ووجه الاستدلال بالروح، والمقام الشريف؛ فلما تقدم ذِكره، ولقوله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ

(١) سورة الأنبياء.

(٢) ((صحيح البخاري)): لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت٢٥٦هـ)، كتاب بدء الخلق . باب ما جاء في قول الله تعالى: ((وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده)).

وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾[1]، قال الحافظ ابن كـثير في تفسير هذه الآية: عن علي بن أبي طالـب وابـن عمه ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهمـا ـ أنهمـا قالا: ما بعث الله نبياً مـن الأنبيـاء إلا أخـذ عليـه الميثاق، لئن بعث الله محمداً وهو حـيٌّ ليـؤمننَّ بـه ولينصُرنَّه، وأمره أن يأخذ الميثاق علـى أمتـه؛ لـئن بُعث محمد وهم أحياء ليؤمننَّ به ولينصرنَّه، وقـال طاوس والحسن البصـري وقتـادة: أخـذ الله ميثـاق النبيين أن يصدق بعضهم بعضاً، وهذا لا يضاد ما قاله علـي وابـن عبـاس ولا ينفيـه بـل يسـتلزمه ويقتضيه؛ ولهذا روى عبد الرزاق عـن معمـر عـن

(١) سورة آل عمران.

ابن طاوس عن أبيه مثل قول علـي وابـن عبـاس رضي الله عنهما. اهـ[1].

وقال سيدنا علي بـن أبـي طالـب ـ كـرَّم الله وجهه: (لم يبعث الله نبيّاً آدم ومن بعده إلا أخذ عليه العهد في أمر محمد ﷺ، وأخـذ العهـد علـى قومـه لَيُؤمنَّ به، ولئن بعث وهم أحياء لينصرنَّه)[2].

ومن معانيه: قال العلاّمة السيد محمود الآلوسي في "تفسيره"[3]: على ما دل عليه كلام الأمير ـ كرم الله تعالى وجهـه ـ مـع علمـه سـبحانه ـ أنهـم لا يدركون وقته ـ لا يمنع من ذلك لما فيه مع ما علمه الله تعالى من التعظيم له ـ صـلى الله تعـالى عليـه وسلم ـ والتفخيم ورفعة الشان والتنويه بالذكر ما

---

(١) ((تفسير القرآن العظيم)): (١/٣٧٨).

(٢) ((مرقاة المفاتيح)): للقاري (١/٣٨٥).

(٣) ((روح المعـاني)): لأبـي الفضـل شـهاب الـدين السـيد محمـود الالوسـي البغـدادي (ت١٢٧٠هـ)، (٣/٢١٠).

لا ينبغي إلا لذلك الجناب، وتعظيم الفائدة إذا كان ذلك الأخذ عليهم في كتبهم لا في عالم الـذر فإنـه بعيد كبعد ذلك الزمان ـ كما عليه البعض ـ ويؤيد القول ـ بأخذ الميثاق من الأنبياء الموجب لإيمان من أدركه ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ منهم بـه ـ مـا أخرجه أبو يَعْلى عن جابر قـال: قـال رسـول الله ـ صلى الله تعالى عليه وسلم: ﴿لا تَسْأَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ فَإِنَّهُمْ لَنْ يَهْدُوكُمْ وَقَدْ ضَلُّوا، فَإِما أَنْ تُصَدِّقُوا بِبَاطِلٍ، وإما أن تُكَذِّبُوا بِحَقٍّ وإِنَّهُ والله لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مَا حَلَّ لَهُ إِلا أَنْ يَتَّبِعَنِي﴾[1] اهـ.

قلت: وفي روايةٍ أخـرى، للإمـام احمـد وغـيره: ﴿وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَصْبَحَ فِيكُمْ مُوسَى ثُمَّ اتَّبَعْتُمُوهُ

(١) وفي ((مسند احمد)): كتاب باقي مسند المكثرين . باب مسند جابر بن عبد الله، بلفظ: ((لاَ تَسْأَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ عن شيء فَإِنَّهُمْ لَنْ يَهْدُوكُمْ وقد ضَلُّوا، فَإِنَّكُمْ إِمَّا أَنْ تُصَدِّقُوا بِبَاطِلٍ أو تُكَذِّبُوا بِحَقٍّ فإنه لو كان مُوسَى حَيًّا بين أَظْهُرِكُمْ ما حَلَّ له إِلاَّ أَنْ يتبعني)).

وَتَرَكْتُمُونِي لَضَلَلْتُمْ إِنَّكُمْ حَظِّي مِن الأُمَمِ وَأَنَا حَظُّكُمْ مِن النَّبِيِّينَ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾﴾[2]، أخرج الحسن بن سفيان وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبو نُعيم في "الدلائل" والديلمي وابن عساكر من طريق قتادة عن الحسن عن أبي هريرة ﷺ عن النّبيّ ﷺ في قول الله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ﴾ قال: ﴿كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث﴾، قال قتادة ﷺ:

---

(١) ((مسند احمد)): كتاب أول مسند الكوفيين . حديث عبد الله بن ثابت. ((مصنف عبد الرزاق)): لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت٢١١هـ)، (١١٣/٦). ((شعب الإيمان)): (٣٠٧/٤)، وقال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)): رواه احمد والطبراني ورجاله رجال الصحيح إلا أن فيه جابرا الجعفي وهو ضعيف، وقال الألباني: (حسن) انظر حديث رقم: ٥٣٠٨ في "صحيح الجامع". أما حديث: ((أنا حظكم من الأنبياء وأنتم حظي من الأمم))، ذكره في ((السلسلة الصحيحة)): (٢١٤/٨).

(٢) سورة الأحزاب.

فبدأ به ﷺ قبلهم[1]؛ وقال الإمام الغزَالي رضي الله عنه: بأن المراد بالخلق هنا: التقدير لا الايجاد، فإنه قبل أن تحمل به أمه لم يكن مخلوقاً موجوداً، ولكن الغايات والكمالات سابقة في التقدير، لاحقة في الوجود، فقوله: ﴿كنت نبياً﴾ أي: في التقدير قبل تمام خلقة آدم، إذ لم ينشأ إلا لينتزع من ذريته محمد ﷺ؛ وتحقيقه أن للدار في ذهن المهندسين وجوداً ذهنياً سبباً للوجود الخارجي، وسابقاً عليه؛ فالله تعالى يقدر ثم يوجد على وفق التقدير ثانياً. اهـ[2].

وللعلاقة بين النَّبيِّ ﷺ وأمته جاءت الآيات التي توضح ذلك؛ فقد قال الله تعالى وتقدس: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ⁨٨⁩ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ

(١) ((الدر المنثور)): للإمام السيوطي (٦/٥٧٠)، وانظر ((تفسير البغوي)): (٣/٥٠٨)، و((تفسير ابن كثير)): (٣/٤٧٠).

(٢) ((إتحاف السادة المتقين)): (٧/١٤٤).

﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٩﴾ [1].

أي: أُمرنا بالإتباع، والمحبة، والأدب، والدعوة ـ نصراً وتعظيماً وذكرا؛ أما قوله تعالى:﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ۝٤٠﴾ [2]، ومن معانيها: ما كان محمّدٌ يشبه الآباء ـ بل هو أبٌ وزيادة، في شفقته ورحمته وشفاعته؛ لأنه الرؤوف الرحيم،والرحمة للعالمين ﷺ.

وأوضح العلاّمة ابن كثير؛ قوله تعالى:﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۝٦﴾ [3]، بالقول: أي في الحرمة، والاحترام، والتوقير والإكرام والإعظام، ولكن لا تجوز الخلوة بهن ولا ينتشر التحريم إلى بناتهن وأخواتهن

---

(١) سورة الفتح.

(٢) سورة الأحزاب.

(٣) سورة الأحزاب.

بالإجماع، وروي عن أُبي بن كعب وابن عباس رضي الله عنهم أنهما قرآ: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ ۝٦﴾ ﴿وهو أبٌ لهم﴾، وروي نحو هذا عن معاوية ومجاهد وعكرمة والحسن وهو أحد الوجهين في مذهب الشافعي رضي الله عنه[1].

وروى أبو داود عَن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ أُعَلِّمُكُمْ، فَإِذَا أَتَى أَحَدُكُمُ الْغَائِطَ فَلا يَسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ وَلا يَسْتَدْبِرْهَا وَلا يَسْتَطِبْ بِيَمِينِهِ»[2]، وفي روايةٍ: «أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ

(١) ((تفسير القرآن العظيم)): (٤٦٨/٣).

(٢) ((سنن أبي داود)): لسليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت٢٧٥هـ)، كتاب الطهارة - باب كراهية استقبال القبلة عند قضاء الحاجة، قال عبد الرؤوف المناوي في ((فيض القدير)) (٧٣٣/٢)، عن قوله ﷺ: ((بمنزلة الوالد)): في الشفقة والحنو، لا في الرتبة والعلو وفي تعليم ما لابد منه، فكما يعلم الأب ولده فأنا (أعلمكم) ما لكم وما عليكم، وأبو الإفادة أقوى من أبي الولادة، وهو الذي أنقذنا الله به من ظلمة الجهل إلى نور الإيمان.

قال ابن الحاج: أمة النبي ﷺ في الحقيقة أولاده؛ لأنه السبب للإنعام عليهم بالحياة السرمدية والخلود في دار النعيم فحقه أعظم من حقوق الوالدين. قال عليه الصلاة=

لِوَلَدِهِ﴾، رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حِبّان[1].

واعلم أيُّها الأخ الصالح: أن المراد بالأب هنا ليس الأب الحقيقي، ولكن الأب المجازي اللغوي؛ قال العلاّمة محمود الآلوسي البغدادي في

=والسلام: ((ابدأ بنفسك))، فقدم نفسه على غيره، والله قدمه في كتابه على نفس كل مؤمن، ومعناه إذا تعارض له حقان حق لنفسه وحق لنبيه فأكدهما وأوجبهما حق النبي ﷺ ثم يجعل حق نفسه تبعاً للحق الأول، وإن تأملت الأمر في الشاهد وجدت نفع المصطفى ﷺ أعظم من الآباء والأمّهات وجميع الخلق؛ فإنه أنقذك وأنقذ آباءك من النار، وغاية أمر أبويك أنهما أوجداك في الحس فكانا سبباً لإخراجك إلى دار التكليف والبلاء والمحن.

(١) ((سنن أبي داود)): كتاب الطهارة . باب كراهية استقبال القبلة عند قضاء الحاجة، ((سنن النسائي)): لأحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي (ت٣٠٣هـ)، كتاب الطهارة . باب النهي عن الاستطابة بالروث، ((سنن ابن ماجه)): لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٥هـ)، كتاب الطهارة وسننها . باب الاستنجاء بالحجارة، والنهي عن الروث والرِّمَّةِ، ومعنى الرمة: العظم البالي، وإنما نهى عنها؛ لأن العظم لا يقوم مقام الحجر في الاستنجاء لملامسته أو لأنها ربما كانت ميتة فتكون نجسة؛ أنظر ((مسند الشافعي)): لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (ت٢٠٤هـ)، (ص٧٩). ((صحيح ابن حبان)): (٢٧٩/٤)، وأخرجه مسلم: من حديث أبي هريرة دون قوله: "لولده" انظر ((تخريج أحاديث الإحياء))، (٤١/٤).قال الألباني: حديث حسن صحيح. انظر ((صحيح ابن ماجه)): (٥٧/١).

"تفسيره": والأب حقيقة لغوية في الوالد على ما يفهم من كلام كثير من اللغويين، والمراد بالأبوة المنفية هنا الأبوة الحقيقة الشرعية التي يترتب عليها أحكام الأبوة الحقيقة اللغوية من الإرث ووجوب النفقة وحرمة المصاهرة سواء كانت بالولادة أو بالرضاع أو بتبني من يولد مثله لمثله وهو مجهول النسب فحيث نفى كونه ﷺ أبا أحد من رجالهم بأي طريق كانت الأبوة، واستدل بعض الشافعية بهذه الآية على أنه لا يجوز أن يقال للنبيّ ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ أبو المؤمنين حكاه صاحب الروضة ثم قال: ونص الشافعي ـ عليه الرحمة ـ على أنه يجوز أن يقال له ﷺ أبو المؤمنين أي: في الحرمة ونحوها، وقال الراغب بعد أن قال الأب الوالد ما نصه: ويسمى كل من كان سبباً في إيجاد

شيء أو إصلاحه أو ظهوره أباً، ولذلك سميَّ النّبيّ ﷺ، أبا المؤمنين: قال الله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ ٦﴾ وفي بعض القراآت:- ﴿وهو أب لهم﴾، وروي أنه ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ قال لعلي ـ كرم الله تعالى وجهه: ﴿أنا وأنت أبوا هذه الأمة﴾، وإلى هذا أشار ﷺ بقوله: ﴿كل سببٍ ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي﴾ اهـ[1].

فلا تغفل.

ـ وعلى جواز الإطلاق قالوا: إن قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ ٤٠﴾[2]، استدراك من نفي كونه عليه الصّلاة والسّلام، أبا أحد من رجالهم على

(١) قال الديلمي: السبب هنا الوصلة والمودة، وكل ما يتوصل به إلى الشيء، فهو سبب، وقيل: السبب يكون بالتزويج، والنسب بالولادة. والحديث قال عنه الهيثمي في ((مجمع الزوائد))، (٩/٢٧٦): رواه الطبراني ورجاله ثقات.

(٢) سورة الأحزاب.

وجه يقتضي حرمة المصاهرة ونحوها إلى إثبات كونه ﷺ أبا لكل واحد من الأمة فيما يرجع إلى وجوب التوقير والتعظيم له ﷺ، ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه ـ عليه الصّلاة والسّلام، فإن كل رسول أب لأمته فيما يرجع إلى ذلك: وحاصله أنه استدرك من نفي الأبوة الحقيقية الشرعية التي يترتب عليها حرمة المصاهرة ونحوها إلى إثبات الأبوة المجازية اللغوية التي هي من شأن الرسول ـ عليه الصّلاة والسّلام، وتقتضي التوقير من جانبهم، والشفقة من جانبه ﷺ وقيل في توجيه الاستدراك أيضاً: إنه لما نفيت أبوته ﷺ، لأحد من رجالهم مع اشتهار أن كل رسول أب لأمته ولذا قيل: إن لوطاً عليه السلام عنى بقوله: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ

أَطْهَرُ لَكُمْ ﴿٧٨﴾[1]، المؤمنات من أمته يتوهم نفي رسالته ﷺ بناء على توهم التلازم بين الأبوة والرسالة، فاستدرك بإثبات الرسالة تنبيهاً على أن الأبوة المنفية شيء والمثبتة للرسول شيء آخر. انتهى كلام العلامة الآلوسي[2].

ويطلق أيضاً على العالم المربي، أو الولي المرشد أباً؛ لقوله ﷺ: «أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ»[3]، والقاعدةُ في "أصول الفقه": (قل للوكيل حكم الأصيل)؛ لقوله ـ عليه الصّلاة والسّلام: «العلماءُ ورثة الأنبياء»[4]، قال الإمام الهروي المعروف

---

(١) سورة هود.

(٢) ((روح المعاني)):(٢٢/٣٠-٣١-٣٢).

(٣) سبق تخريجه ص٢١.

(٤) ((صحيح البخاري)): كتاب العلم ـ باب العلم قبل القول والعمل (٣٧/١)، وأخرجه أيضاً الأمام البخاري في ((التاريخ الكبير)) بطرق متعددة؛ ((سنن أبي داود)): كتاب العلم ـ باب الحث على طلب العلم (٣٤١/٢) ((سنن الترمذي)): كتاب العلم ـ باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة (٤٨/٥)((صحيح ابن حبان)): (٢٨٩/١).

"بالقاري" في الكتاب الموسوم المسمى "شرح عين العلم وزين الحلم"[1]: بل هو ﷺ أفضل وأكمل من الوالدين منهم فإن قصده إنقاذهم من نار الآخرة وهو أهم من إنقاذ الأبوين ولدهما من نار الدنيا، ولذلك صار حق المعلم أعظم من حق الوالدين؛ فإن الوالد سبب الوجود الحاضر والحياة الفانية ولولا المعلم لساق ما حصل من جهة الأب إلى الهلاك الدائم وإنما المعلم هو المفيد للحياة الأخروية الدائمة، اعني معلم علوم الآخرة، أو علوم الدنيا على قصد الآخرة، لا على قصد الدنيا، وأما التعليم على قصد الدنيا فهو هلاك وإهلاك نعوذ

(١) ((عين العلم وزين الحلم)): هو مختصرٌ رائعٌ "لإحياء علوم الدين": للإمام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت٥٠٥هـ)، وشرحه: للإمام ملا علي القاري؛ وكلمة ملا: أصلها: "مولانا" فاختصرت مع تغير الزمان فصارت "منلا" كما هو مثبت في كتاب ((عين العلم وزين الحلم))، وفي هذه الأزمنة صارت "ملا" اختصاراً. ولفظ مولانا يُطلق على كبار العلماء آنذاك.

بالله، ثـم كمـا أن حـق أبنـاء الواحـد أن يتحـابوا ويتعاونوا على المقاصد كلها، فكـذا حـق تلاميـذة الرجل الواحـد التحـاب والتـواد ولا يكونـوا إلا كذلك إن كـان مقصـدهم الآخـرة، ولا يكـون إلا التحاسد والتباغض إن كان مقصدهم الدنيا، فـإن العلمـــاء، وأبنـــاء الآخـــرة مســـافرون إلى الله ﷻ وسالكون إليه ﷻ . . الخ[1].

فصار المربي بمنزلة الوالد وزيـادة، مـن حيـث الشـفقة في التربيـة ـ في مـدارج العلـم، ومنـازل الآخرة؛ ومن هنا أشير إلى الرابطـة الروحيـة عنـد "أهل العمل الروحي في الإسلام": لقوله تعالـى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ

(١) ((شرح عين العلم وزين الحلم)): (١/٢٩).

﴿أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ ﴿٢٠٠﴾﴾[1]، فيها من معاني قاعدة صنعة الاحتباك[2] في البلاغة، والعطف فيها عطف تخيير.

قال شيخنا في "المعالم"[3]: و"الرابطة" اسم من الربط: فالصداقة رابطة بين صديقين، والمحبة رابطة بين متحابين، والتعليم رابطة بين الأستاذ والتلميذ، والتوجه الروحي رابطة بين المرشد المدرِّب والسالك المتدرب. فالرابطة هي الصلة بين شيئين أو إنسانين، فإذا كانت في مجال علم الروح فهي بذلك صلة روحانية.

---

(١) سورة البقرة.

(٢) الاحتباك: هو أن يجتمع في الكلام متقابلان و يحذف من كل واحد منهما مقابلة لدلالة الآخر عليه كقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِيَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ ﴿٨٦﴾﴾ [سورة النمل]، والتقدير: جعلنا الليل مظلماً ليسكنوا فيه والنهار مبصراً لينتشروا فيه.

(٣) ((معالم الطريق)): لشيخنا العلامة الدكتور عبد الله بن شيخنا مصطفى كمال الدين . رضي الله تعالى عنهما، وطيب الله ذِكرهما وروحهما وثراهما. آمين آمين. (ت١٤٢٠هـ)، (ص٣٠٥ ـ ٣٠٨).

و "الرابطة الروحانية": هي انتهاضة فكر أو انتهاضة قلب يريد أن يتصل بذكر الله سبحانه على "منازل الذكر" أو "مقام الإحسان"، مبتدئاً عملـه الروحي هذا (حينما يتفرغ له ساعة ليل أو نهـار) بالاتصال بروح استاذه المرشد رجاء الإِفادة من قوته الفائقة لنيل حسـن الارتبـاط وسـرعته بـذكر الله سبحانه على مدارج تلك المنازل أو ذاك المقام. ومتى بلغ السالك مثابة "ذكر القلب" من "نهج المقام" وجد انتباهته البادئة إلى روح المرشـد عنـد ابتـداء الجلسة إنما تمكث دقائق قليلة أو قـدر ثـوان يبـدأ القلب بعدها بذكر الله جلّ جلاله فيستغرق الذاكر استغراقاً ـ وكل شيء عندئذ منسيّ إلا الله وحده.

والبالغون هذه المثابـة، والعـارجون فوقهـا إلى ذروة مقام الإِحسان، والمجازون من أهل الذروة إجازة

الاستقلال بإرشاد المسلمين، فإنهم لن يتركوا أبداً المرابطة البادئة مع شيخهم حيثما جلس أحدهم أو جلسوا جلسة عمل روحي. فإن أستاذهم هذا هو الذي وفقه الله تعالى وجعله وسيلة وسبباً لعروجهم معارج اليقين والإِحسان وتجريدهم العبادة لخالق الأكوان. وإنهم يحبونه في الله، وإنه يحبهم في الله، وإنهم جميعاً يرجون الاستظلال بظل الله يوم لا ظل إلا ظله ـ جلّ جلاله وعمّ نواله. وإنهم لذلك كله يذكرون شيخهم في الخلوات والجلوات ويخصونه بصالح الدعوات ويهدون إليه ثواب القراءات عقيب إهدائها إلى رسول الله وآله وأصحابه ـ صلى الله وسلم عليه وآله وأصحابه.

كذلك يذكر السالكون مرشدهم. فلنتأمل الآن في مزيد من أحكام الكتاب والسنة في هذا الشأن،

في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾[١].

أتتنا الآية الكريمة بهذه الأحكام: أ ـ الأمر بذكر الله، ب ـ تجويز ذكرنا آبائنا؛ ج ـ تجويز ذكرنا الناس سوى آبائنا؛ د ـ الأمر بذكر الله ذكراً أشد من ذكر الآباء؛ هـ ـ الأمر بالدعاء لخير الدنيا مع خير الآخرة. وسياق الآية ومقتضى الحال واضحان كل الوضوح في أن التشبيه بذكر الآباء لا علاقة له بوصف الأبوة على وجه الحصر، بل هو تشبيه لذكر الله تعالى بذكر إنسان كالأب مثلاً. وكما أن أقل

(١) سورة البقرة.

الذكر قد نصّ على جواز تشبيهه وأُمِرَ بمثله في حق الله تعالى، فكذلك الشأن في الذكر الأشد أمراً بـه وتجويزاً لتشبيهه بما هو أشد من ذكر الآباء مما يكون بين بني الإنسان. فكأن الآية الكريمة مبنيّة على مثل صنعة الاحتبـاك، وصـورتها: أذكـروا الله كـذكركم آباءكم أو أشد ذكراً كذكركم مـن تذكرونـه ذكـراً أشد من ذكركم آباءكم. وعلى الحدين تشتمل الآية على تجويز ذكر السالك إنساناً هو شيخه، بيـد أن الذكر الروحاني من السالك أشد مـن ذكـره أبـاه وأتم. فذكر الله تعالى الأتم الأكمل أيضاً مأمور بـه، وهو مفضّل على الحد الأقل الذي هو في مسـتوى ذكر الآباء. والسالك الروحاني إنما يـذكر مرشـده الروحي لكي يرتقي هو إلى مصاف ذكر الله تعـالى ذكراً أقوى وأتم وأكمل من كـل ذكـر. حتـى ذكـر

شيخه. ثم إذا علمنا أن ذكر الله جل جلاله واجب مأمور به وأن المبتغى من الرابطة إنما هو التوصل إلى أداء هذا الواجب على أتم وجه، أدركنا أن الرابطة الروحانية حكمها الوجوب للمكلفين الذين لا يقوون على ذكر الله من دون تقدمة رابطة، والندب لمن يقوون على الحد الأقل من الذكر لكن لا يقوون لوحدهم على الذكر الأتم. فإن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وما لا يتم المندوب إلا به فهو مندوب إليه.

ولننظر الآن إلى عمل رسول الله وأصحابه ـ صلى الله وسلم عليه وعليهم أجمعين. كان يجلس معهم في حلق كمثل ما بيناها للختم الشريف في الفصل السابق. وكان مما يعمل في تلكم الجلسات: نشر الإسلام وتشريع الأحكام وتدبير شؤون الأنام

وتزكية القلوب والأفهام وذكر الله تعـالى بالقلـب وبالكلام.

ـ أخرج البخاري في صحيحه: (القسطلاني ج١ ص٣١٣ –٣١٤): ((حَدَّثَنَا إِسْـمَاعِيلُ قَـالَ: حَـدَّثَنِي مَالِكٌ، عَن إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ: أَنَّ أَبَا مُرَّةَ مَوْلَى عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَخْبَرَهُ عَنْ أَبِـي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَالنَّاسُ مَعَهُ، إِذْ أَقْبَلَ ثَلاثَـةُ نَفَـرٍ، فَأَقْبَـلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَذَهَبَ وَاحِدٌ، قَـالَ فَوَقَفَـا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا: فَرَأَى فُرْجَةً فِـي الْحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، وَأَمَّا الآخَرُ: فَجَلَسَ خَلْفَهُـمْ، وَأَمَّا الثَّالِثُ: فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ قَـالَ: «أَلا أُخْبِرُكُمْ عَنْ النَّفَرِ الثَّلاثَةِ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى

إِلَى اللَّهِ فَآوَاهُ اللَّهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَأَعْرَضَ، فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ﴾[١] انتهى.

قلنا[٢]: ومن معاني الرابطة التي ينبغي للسالك أن يتنبه لها؛ قول الرسول الكريم ﷺ: ﴿إذا رأيتموني في المنام وكلمت كلاماً فقابلوه بكلامي الظاهر فإن وافقه فاعملوا به وإن خالفه فلا تعملوا بكلامي في المنام﴾[٣]، لأن المناسبة بين المفيد والمستفيد شرط بأن يكونا في الحياة؛ فإن صورة النّبيّ الكريم ﷺ،

---

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب العلم ـ باب من قعد حيث ينتهي به المجلس ومن رأى فرجة في الحلقة.

(٢) أي المؤلف ومشايخه الكرام ﷺ؛ وقال المؤلف ـ عفا الله عنه، وعامله برحمته ولطفه: أخذت علوم الكتاب والسنة ـ في منازل الإسلام والإيمان والإحسان؛ عن المشايخ الكبار، منهم؛ العلاّمة الرباني الشيخ مصطفى كمال الدين النقشبندي؛ والعلاّمة الرباني الشيخ الدكتور عبد الله مصطفى الهرشمي؛ والعلاّمة الرباني الشيخ مشرف اوزجان البرواري الخُنوكي الكمالي ﷺ وأرضاهم.

(٣) قال المؤلف: أخذت هذا الحديث بطريق الإجازة عن شيخي وأستاذي العلاّمة الربّاني الشيخ مصطفى كمال الدين النقشبندي الهرشمي ـ طيب الله روحه وذكره وثراه؛ أما الرابطة فقد أفرد بها مولانا الشيخ خالد النقشبندي "رسالة في تحقيق الرابطة"؛ والشيخ إبراهيم حلمي القادري ـ من علماء الأزهر الشريف، سماها: "مدارج الحقيقة في الرابطة عند أهل الطريقة". وغيرهما ﷺ.

انتقلت إلى عالم الأرواح، وبقى معناه الشريف ﷺ، في عالم الأشباح في وارثيه المتمثلين بعظيم الإتباع التبعي والصفتي له ﷺ، لينقلوا هذا المعنى العظيم، لأهل الإيمان واليقين، والمحبة الإلهية، وبرابطة عالم متحقق بنيابة الرسول ﷺ فيوصله بإذن الله تعالى ـ إلى ما هو الأصلح له بدين الله ﷻ، والأقرب إليه سبحانه ـ من تهذيب النفوس، وتحقيق مقامات القلوب ـ ومن عظيم ذلك؛ ذكر الله في القلب، والصلة برسول الله ﷺ، والتمسك بعلمه، وعمله، وأخلاقه؛ والفناء بحبِّ الله ـ جلَّ جلاله، وعمَّ نواله.

"أي أخي": اعلم أن علم القلب: عبارة عن الفناء في الله، والبقاء مع الله تعالى مع دوام الحضور والمشاهدة؛كما قال الشيخ عبد القادر الكَيلاني رضي الله عنه: "اليوم ترون ربكم بعيون قلوبكم، وغداً ترونه

بعيون رؤوسكم"، ومراتب العمل خمس مراحل، أولها: أن تكون جوارحه مُتحلية بظاهر الشريعة المحمدية؛ قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾[1]، فقد فرض الحق سبحانه ـ العبادة، وكما هي في أركان الإسلام الخمسة، وفرض الإخلاص فيها لقبول العمل عند الله تبارك وتعالى.

ثانيها: أن يجاهد لتصفية نفسه عن الرذائل النفسانية، ليكون منزهاً عن خبائثها؛ كما أمر الحق تعالى، بقوله: ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ١٢٠﴾[2]، ولقوله ﷺ: «لا تَحَاسَدُوا، ولا تَنَاجَشُوا[3]، ولا

(١) سورة البينة.

(٢) سورة الأنعام.

(٣) حاصله: أنه عرض زيادة في ثمن البيع، لا يقصد شراءه، بل يقصد ترويج المبيع على البائع.

تَبَاغَضُوا، ولا تَدَابَرُوا[1]، ولا يَبِعْ بَعْضُكُمْ على بَيْعِ بَعْضٍ. وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ، إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لا يَظْلِمُهُ، ولا يَخْذُلُهُ، ولا يَحْقِرُهُ. التَّقْوَى ها هنا﴾ وَيُشِيرُ إلى صَدْرِهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ: ﴿بِحَسْبِ امْرِئٍ من الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ. كُلُّ الْمُسْلِمِ على الْمُسْلِمِ حَرَامٌ. دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ﴾[2]، ولقوله ﷺ: ﴿دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قبلكم الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ: هِيَ الْحَالِقَةُ، لا أَقُولُ: تَحْلِقُ الشَّعَرَ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ﴾[3]. ثالثها: نحاول أن يكون قلبنا مشغولاً بذكر الله تعالى؛ وهو ذكر الله بالقلب المرادف للروح، فإنه الذكر الحقيقي،

---

(١) التدابر: المعاداة، وقيل: المقاطعة لأن كل واحد يولي صاحبه دبره.

(٢) ((صحيح البخاري)): كتاب الأدب . باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر، ((صحيح مسلم)): كتاب البر والصلة والآداب. باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله.

(٣) قال المنذري في ((الترغيب والترهيب))، (٤١٢/٣): رواه البزار بإسناد جيد، والبيهقي، وغيرهما، كالإمام احمد في "المسند": (١٦٥/١، ١٦٧)، وعبد الرزاق في "مصنفه": (١٩٤٣٨)، وابن عبد البر في "التمهيد": (١٢٠/٦، ١٢١)، والهيثمي في ((مجمع الزوائد)): (٣٠/٨).

وذكر اللسان مجاز يعبر عن الذكر الحقيقي؛ كما قال تعـــالى: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ ٢٠٥﴾[1]، ولقوله سبحانه: ﴿ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١﴾[2]، وكما قـال ﷻ في مقـام المـدح: ﴿رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ ٣٧﴾[3]. رابعها: أن يحاول حسب الطاقـة البشـرية التجنب عـن الغفلة؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٢٠٥﴾[4]، للدلالة على أن الإنسان ينبغي له أن لا يغفل قلبه عن استحضار جلال الله تعالى وكبريائه. خامسـها: المشـــار إليهـــا بقولـــه تعـــالى: ﴿وَكُونُواْ مَعَ

(١) سورة الأعراف.

(٢) سورة الأحزاب.

(٣) سورة النور.

(٤) سورة الأعراف.

﴿ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾[1]، هـذه الكينونـة يعـبر عنهـا "بالرابطة"، وهي مبدأ لمعرفة الله سبحانه، وقد بين في قواعد أصول الفقه: "للمبادئ حكم المقاصد"، و"إن حُكم الوسائل، حكم المقاصـد"؛ فالرابطـة: سلم لقبول الذكر؛ وقد قال سبحانه في مقام المدح: ﴿يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ ١٩١﴾[2]، ذَكَرَ بعـض الأحـوال ليقـاس عليها الأحـوال السـائدة ـ كالمشـي، والجلـوس في المحافل، وتحت الغطاء حين إرادة النوم وغيرها، بـل بحال الحـدث الأصـغر والأكـبر، كالـذكر بالقلـب، المعبَّر عنه بالحضور، فحينئذٍ يكون عمـوم الأحيـان شاملاً لجميع أحيانه لا يستثنى منه حين؛ لأنه ﷺ كان دائم الذكر، لا ينقطع ذكره القلبي في يقظة ولا نوم

---

(١) سورة التوبة.

(٢) سورة آل عمران.

ولا في وقــت مــا؛ ولمــا روى الإمــام مســلم في "صحيحه" عن السيدة عائشة قالت: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ[1]؛ لذلك يحاول الطالب أن لا يطــرأ عليــه غفلــة؛ وتســمى هــذه الحالــة "بالاتصال" في عرف القوم، وهو هدفهم الأسمــى، وغايتهم القصوى؛ بل الصحبة الجسمانية لا تفيد إذا كان القلب غافلاً؛ وأساس هذا العمل: هــو أن الله سبحانه منح نبيّه محمداً ﷺ خاصيةً وهي: أن كل من رآه دون إنكار، أو تخيله في غيابــه: يصــير قلبــه ذاكراً، ورذائله النفسانية خافضــةً؛ وهــذا التخيــل يسمى في اصــطلاح القــوم "رابطــة": كمــا أشــار سبحانه إلى ذلك بقوله في مقام الامتنــان: ﴿هُوَ ٱلَّذِى

(١) ((صحيح مسلم)): كتاب الحيض. باب ذكر الله تعالى في حال الجنابة وغيرها. وذكره البخاري معلقاً في: كتاب الحيض . باب تقضي الحائض المناسك كلها إلا الطواف بالبيت.

﴿بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ ۝٢﴾[1]،

أي يُطهر نفوسهم عن الرذائل بالتصرف القلبي الممنوح إليه من ربه ﷻ وهذا التصرف للنبيِّ ﷺ أصالةً من الله، وهي البعثة الأصلية؛ وهذا التصرف القلبي يمنحه الله بلطفه إلى بعض خواص أمته بتبعيته ﷺ،وتسمى بعثة تبعية ونيابية، وأشار ﷺ إلى ذلك بقوله:﴿خِيَارُكُمُ الَّذِينَ إِذَا رُؤُا، ذُكِرَ اللَّهُ بهم﴾[2]، أي يصير قلب الرآئي ذاكراً ونفسه خافضةً، ولقوله ﷺ: ﴿أولياء الله الذين إذا رُؤُا، ذكر الله﴾[3]،وهذا أقل قليل في كل عصر.واعلم أن من أعظم البلايا الذي أصيب به عمل الروح الإسلامي، هما: الجهالة

---

(١) سورة الجمعة.

(٢) رواه الحكيم عن انس كما في ((كنز العمال)): (١/٢١٤).

(٣) قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (١٠/٨٠): رواه البزار عن شيخه علي بن حرب، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات. قال الألباني: "صحيح" أنظر حديث رقم: ٢٩٨٧ في "صحيح الجامع"، و ((السلسلة الصحيحة)): حديث رقم: ١٧٣٣.

والوارثية - أي إذا مات الولي المرشد تولى ابنه أو من ورثته مكانه دونما علم أو تحقيق فيما ذُكر.

اللّهم اهدِ قلوبنا، وآمن خوفنا، وأعذنا من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللّهم طهر ألسنتنا من الكذب، وقلوبنا من النفاق، وعملنا من الرياء، ونظرنا من الخيانة - إنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، يا من لا يشغله شأن عن شأن، ولا سمع عن سمع، ولا تشتبه عليه الأصوات، ولا تختلف عليه اللغات، يا من لا يسأمه إلحاح الملحين، ولا تضجره مسائل السائلين؛ أذقنا برد عفوك، وحلاوة مغفرتك، وارحمنا رحمة من عندك تطفي بها سخطك عنا، وتكف بها عذابك عنا، اللّهم اشرح صدورنا للإسلام، ونور قلوبنا بالعرفان، وأطلق ألسنتنا بتلاوة القرآن، اللّهم نسألك الأمن والإيمان

واليقين والهدى والصدق والإخلاص في كل وقت وأوان، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۝٤﴾[1].

ـ أما قوله ـ جلَّ ثناؤه: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۝٤٠﴾، فَخَتْمُ النبوةِ في الرسالة لرسول الله ﷺ معلومٌ من الدين بالضرورة، فهو مُجمع عليه، ومنكرهُ كافرٌ.

قال العلاّمة ابن كثير[2] ـ رحمه الله تعالى، عند هذه الآية أحاديث تؤكد موضوع ختم النبوة: فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده، وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بعده بالطريق الأولى والأحرى؛ لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة، فإن كل رسول نبي،

---

(١) سورة الممتحنة.

(٢) ((تفسير القرآن العظيم)): (٣/٤٩٣-٤٩٤).

ولا ينعكس، وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ من حديث جماعة من الصـحابة ﭫ: روى الإمام احمد عن الطفيل بن أُبي بن كعب عن أبيه ﭬ عن الـنّبيّ ﷺ قَـالَ: ﴿مثلي في النَّبِيِّينَ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَاراً فَأَحْسَنَهَا وَأَكْمَلَهَا وَتَـرَكَ فيها مَوْضِعَ لَبِنَةٍ لـم يَضَعْهَا فَجَعَلَ الناسُ يَطُوفُونَ بالبُنْيانِ وَيَعْجَبُونَ منه وَيَقُولُونَ لو تَمَّ مَوْضِع هذه اللَّبِنَةِ؟ فأنا في النَّبِيِّينَ مَوْضع تِلْكَ اللَّبِنَةِ﴾[1] رواه الترمذي وقال:حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيح[2].

(حديث آخر) روى الإمام أحمد عن انـس بـن مالـك ﭬ قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللَّـهِ ﷺ: ﴿إِنَّ الرِّسَالَةَ وَالنُّبُوَّةَ قَدِ انْقَطَعَتْ[3]، فَلا رَسُولَ بَعْدِي، وَلا نَبِيَّ﴾ [4]،

(١) ((مسند احمد)):كتاب مسند الأنصار . باب حديث الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه.

(٢) ((سنن الترمذي)): كتاب المناقب . باب في فضل النبي ﷺ.

(٣) أي ذهبت، ولم تبق.

(٤) النبي: في "لسان الشرع": من بعث إليه بشرع؛ فإن أمر بتبليغه؛ فرسول. وقيل: هو المبعوث إلى الخلق بالوحي؛ لتبليغ ما أوحاه. والرسول قد يكون مرادفاً له، وقد يختص بمن هو صاحب كتاب. وقيل: هو المبعوث؛ لتجديد شرع، أو تقريره=.

قَـالَ: فَشَـقَّ ذَلِـكَ عَلَـى النَّـاسِ، فقـال: ﴿وَلَكِنِ الْمُبَشِّرَاتُ[١]﴾ قَـالُوا: يَـا رَسُـولَ اللَّـهِ، وَمَـا الْمُبَشِّـرَاتُ؟قَالَ: ﴿رُؤْيَا الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ وَهِيَ جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ النُّبُوَّةِ﴾[٢] وهكذا رواه الترمـذي، وقـال: صـحيح غريب[٣].

=والرسول هو: المبعوث للتجديد فقط. وعلى الأقوال: النبي: أعم من الرسول، والرسول أخص.

(١) قال المهلب ما حاصله: التعبير بالمبشرات خرج للأغلب؛ فإن من الرؤيا ما تكون منذرة، وهي: صادقة يريها الله للمؤمن؛ رفقاً به؛ ليستعد لما يقع قبل وقوعه.قال ابن التين: معنى الحديث: أن الوحي ينقطع بموتي، ولا يبقى ما يعلم منه ما سيكون إلا الرؤيا، ويرد عليه الإلهام؛ فإن فيه إخباراً بما سيكون؛ وهو للأنبياء بالنسبة للوحي؛ كالرؤيا ويقع لغير الأنبياء؛ كما في الحديث في "مناقب عمر": ((قد كان فيمن مضى من الأمم مُحَدَّثُونَ)). وفسر المحدث؛ بفتح الدال: بالملهم بالفتح أيضاً. وقد أخبر كثير من الأولياء على أمور مغيبة؛ فكانت كما أخبروا، والجواب: أن الحصر في المنام؛ لكونه يشمل آحاد المؤمنين بخلاف؛ فإنه مختص بالبعض، ومع كونه مختصاً؛ فإنه نادر؛ فإنما ذكر المنام؛ لشموله، كثرة وقوعه. انظر ((تحفة الأحوذي)): (٦/٥٥٠).

(٢) ((مسند احمد)): باقي مسند المكثرين . باب باقي المسند السابق.

(٣) ((سنن الترمذي)): كتاب الرؤيا . باب ذهبت النبوة وبقيت المبشرات.

(حديث آخر) روى أبو داود الطيالسي عَنْ جَابِرِ بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿مَثَلِي وَمَثَلُ الأَنْبِيَاءِ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا فأكملها وأحسنها إلا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ فكان من دخلها فنظر إليها قال ما أحسنها إلا موضع هذه اللبنة فأنا موضع اللبنة ختم بي الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام﴾. رواه البخاري ومسلم والترمذي، وقال الترمذي: صحيح غريب من هذا الوجه[1].

(حديث آخر) روى الإمام أحمد عَن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿مَثَلِي وَمَثَلُ النَّبِيِّينَ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا فَأَتَمَّهَا إلا لَبِنَةً وَاحِدَةً فَجِئْتُ أَنَا فَأَتْمَمْتُ تِلْكَ اللَّبِنَةَ﴾[2]، انفرد به مسلم[3].

---

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب المناقب . باب خاتم النبيين ﷺ، ((صحيح مسلم)): كتاب الفضائل. باب ذكر كونه خاتم النبيين ﷺ، ((سنن الترمذي)): كتاب الأمثال. باب ما جاء في مثل النّبيّ والأنبياء قبله.

(٢) ((مسند احمد)): كتاب باقي مسند المكثرين. باب مسند أبي سعيد الخدري.

(٣) ((صحيح مسلم)): كتاب الفضائل. باب ذكر كونه خاتم النبيين ﷺ.

(حديث آخر) روى الإمام أحمد عن أبي الطفيل قَــالَ: قَــالَ رَسُــولُ اللَّــهِ ﷺ: «لا نُبُـوَّةَ بَعْدِي إِلا الْمُبَشِّرَاتِ» قِيلَ: وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الرُّؤْيَا الْحَسَنَةُ» ـ أَوْ قَالَ: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ»[1].

(حديث آخر) روى الإمام أحمد عن أبي هريرة قال: قال رســول الله ﷺ: «إِن مَثَلِي وَمَثَلُ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ ابْتَنَى بُيُوتًا فَأَكْمَلَهَا وأَحْسَنَهَا وَأَجْمَلَهَا إِلا مَوْضِعَ لَبِنَـةٍ مِـنْ زَاوِيَـةٍ مِـنْ زَوَايَاهَـا فَجَعَـلَ النَّـاسُ يَطُوفُونَ وَيُعْجِبُهُمْ الْبُنْيَانُ ويَقُولُونَ أَلا وَضَعْتَ هَهُنَا لَبِنَةً فَيَـتِمُّ بُنْيَانُـكَ» قَــالَ رســـول الله ﷺ: «فَكُنْـتُ أَنَـا اللَّبِنَةَ»[2]. أخرجاه من حديث عبد الرزاق[3].

---

(١) ((مسند احمد)): كتاب باقي مسند الأنصار . حديث أبي الطفيل عامر بن واثلة.

(٢) ((مسند احمد)): باقي مسند المكثرين . باب مسند أبي هريرة.

(٣) ((صحيح البخاري)): كتاب المناقب . باب خاتم النبيين ﷺ.((صحيح مسلم)): كتاب الفضائل . باب ذكر كونه خاتم النبيين ﷺ.

(حديث آخر) روى الإمام مسلم عَن أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَـالَ: ﴿فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وطَهُورًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ﴾[1]. رواه الترمـذي وابن ماجه. وقال الترمذي: حسن صحيح[2].

(حديث آخر) روى الإمام أحمد عَن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: ﴿مَثَلِي وَمَثَلُ النَّبِيِّينَ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا فَأَتَمَّهَا إِلا لَبِنَةً وَاحِدَةً فَجِئْتُ أَنَا فَأَتْمَمْتُ تِلْكَ اللَّبِنَةَ﴾[3]، رواه مسلم[4].

---

(١) ((صحيح مسلم)): كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٢) ((سنن الترمذي)): كتاب السير . باب ما جاء في الغنيمة.

(٣) ((مسند احمد)): كتاب باقي مسند المكثرين . مسند أبي سعيد الخدري.

(٤) ((صحيح مسلم)): كتاب الفضائل . باب ذكر كونه خاتم النبيين ﷺ.

(حديث آخر) روى الإمام أحمد عن العرباض بن سارية ﷺ قال: قال لي النّبيّ ﷺ: ﴿إِنِّي عَنْدَ اللَّهِ لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَإِنَّ آدَمَ عليه السلام لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ﴾.

(حديث آخر) قال الزهري: اخبرنا محمد بن جبير ابن مطعم عن أبيه ﷺ قَالَ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿إِنَّ لِي أَسْمَاءً[1] أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ تعالى بِيَ الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي[2]، وَأَنَا الْعَاقِبُ الَّذِي

---

(١) وفي رواية للبخاري: ((خمسة أسماء)) أي: موجودة في الكتب السالفة أو مشهورة بين الأمم الماضية، أو يعلمها أهل الكتابين، أو مختص بها لم يتسم بها أحد قبلي أو معظمة أو أمهات الأسماء وما عداها راجع إليها لا أنه أراد الحصر، كيف وله أسماء أخر بلغها بعضهم كما قال أبو زكريا يحيى بن شرف بن مرّي النووي (ت٦٧٦هـ)، في "المجموع" و"تهذيب الأسماء واللغات" ألفاً، لكن أكثرها من قبيل الصفات. قال ابن القيم: فبلوغها ذلك باعتبارها ومسماها واحد باعتبار الذات، فهي مترادفة باعتبار، متباينة باعتبار.

(٢) قال الطيبي: وهذا إسناد مجازي؛ لأنه السبب في حشر الناس لأنهم لا يحشرون حتى يحشر إذ هو يحشر قبلهم كما في عدة أخبار. وقال ابن حجر: يحمل أن المراد بالقدم الزمان أو وقت قيامي على قدمي بظهور علامات الحشر إشارة إلى أنه ليس بعده نبي ولا شريعة، واستشكل التفسير بأنه يقتضي أنه محشور فكيف يصير به حاشراً وهو اسم فاعل؟ وأجيب: بأن استناد الفعل إلى الفاعل إضافة وهي نصح=

لَيْسَ بَعْدِه نَبِيّ﴾ أخرجاه في الصحيحين[1]. وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو قال: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا كَالْمُوَدِّعِ فَقَالَ: ﴿أَنَا مُحَمَّدٌ النَّبِيُّ الأُمِّيُّ . قَالَهُ ثَلاثَ مَرَّاتٍ . وَلا نَبِيَّ بَعْدِي، أُوتِيتُ فَوَاتِحَ الْكَلِمِ وَخَوَاتِمَهُ وَجَوَامِعَهُ، وَعَلِمْتُ كَمْ خَزَنَةُ النَّارِ وَحَمَلَةُ الْعَرْشِ، وَتُجُوِّزَ بِي، وَعُوفِيتُ، وَعُوفِيَتْ أُمَّتِي، فَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا مَا دُمْتُ فِيكُمْ، فَإِذَا ذُهِبَ بِي فَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، أَحِلُّوا حَلالَهُ، وَحَرِّمُوا حَرَامَهُ﴾ تفرد به الإمام أحمد[2]. انتهى كلام ابن كثير.

=بأدنى ملابسة فلما كان لا أمة بعد أمته لكونه لا نبي بعده نسب إليه الحشر لوقوعه عقبه. وقيل معنى القدم: السبب أو المراد على مشاهدتي قائماً لله.

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب تفسير القرآن . باب قوله تعالى: ((من بعدي اسمه احمد))، ((صحيح مسلم)): كتاب الفضائل . باب في أسمائه.

(٢) ((مسند احمد)): كتاب مسند المكثرين من الصحابة . باب مسند عبد الله بن عمرو بن العاص . رضي الله عنهما، قال أحمد محمود شاكر: إسناده حسن، والحديث الذي عقب هذا: عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِي يَقُولُ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا كَالْمُوَدِّعِ فَذَكَرَهُ. وإسناده صحيح.

قال أهل التفسير ـ رحمهم الله تعـالى: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـنَ﴾ أي إنهم به خُتِموا؛ فهو ـ عليـه الصّلاة والسّلام ـ كالخاتم والطّابَع لهم. ختمهم الله به النّبُوّة فطبع عليها؛ فلا تُفتح لأحد بعده إلى قيام السـاعة. وقُرئ بكسر التاء، بمعنى خَتَمَهم أي جاء آخـرهم. وقيل: "الخاتم" بكسر التاء وفتحها بمعنـىً واحـد؛ مثل طابِع وطابَع. والمراد على القراءتين: أنه ﷺ آخر أنبياء الله ورسله؛ فلا نبيّ ولا رسول بعده إلى قيـام الساعة؛ فمن زعم النّبوّة فهو كذابٌ أفَـاكٌ، وكـافرٌ بكتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ.

واعلم أيهـا الأخ: أنَّ خاتميتـه ﷺ، واضـحةٌ في النصوص والواقع، فلن يأتي وحيٌّ إلهي لاحق بعده، ولا دينٌ غير دين الإسلام الحنيف يحل محله، وانه لا نبيَّ ولا رسولَ بعد خاتم الأنبياء والمرسلين ـ صـلى

الله عليه وعليهم أجمعين ـ تصديقاً لقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴿٤٨﴾ ﴾[1]، وختم الأمر ـ جلَّ وعلا ـ بقوله: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾، وقال ـ جلَّ ثناؤه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[2]، وقال ـ جلّتْ عظمتُهُ: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾[3]، وقال تعالى وتقدس: ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴿١٩﴾ ﴾[4]، وقال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى

(١) سورة المائدة.

(٢) سورة الحجر.

(٣) سورة البقرة.

(٤) سورة الأنعام.

الْحَقِّ[1] لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ﴾، رواه مسلم وأبو داود والترمذي[2]. وفي

---

(١) أي معاونين أي غالبين أو قاهرين لأعداء الدين. قال النووي: ويحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين، منهم شجعان مقاتلون، ومنهم فقهاء، ومنهم محدثون، ومنهم زهاد، وآمرون بالمعروف، وناهون عن المنكر، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض. وفي هذا الحديث معجزة ظاهرة؛ فإن هذا الوصف ما زال ـ بحمد الله تعالى ـ من زمن النبي ﷺ إلى الآن، ولا يزال حتى يأتي أمر الله المذكور في الحديث. أنظر ((صحيح مسلم بشرح النووي)): (٦٧/١٣). وقوله: ((حتى تقوم الساعة)) أي إلى قرب قيامها، لأن الساعة لا تقوم حتى لا يقال في الأرض الله الله كما تقرر، أو المراد حتى تقوم ساعتهم. وفيه كالذي قبله أن الله يحمي إجماع هذه الأمة من الخطأ حتى يأتي أمره، وبيان قسم من معجزات نبينا ﷺ، وهو الإخبار بالغيب، فقد وقع ما أخبر به، فلم تزل هذه الطائفة من زمنه إلى الآن منصورة، ولا تزال كذلك.قال الحرالي: ففي طيه إشعار بما وقع وهو واقع وسيقع من قتال طائفة الحق لطائفة البغي سائر اليوم المحمدي مما يخلص من الفتنة، ويخلص الدين لله توحيداً ورضاً وثباتاً على حال السلف الصالح، وفيه أن هذه الأمة خير الأمم، وأن عليها تقوم الساعة، وإن ظهرت أشراطها وضعف الدين؛ فلا بد أن يبقى من أمته من يقوم به. أنظر ((فيض القدير)): (٥١٦/٦، ٥١٧) .

(٢) ((صحيح مسلم)): كتاب الإمارة ـ باب قوله: ((لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق))، ((سنن أبي داود)): كتاب الفتن والملاحم ـ باب ذكر الفتن ودلائلها، ((سنن الترمذي)): كتاب الفتن ـ باب ما جاء في الأئمة المضلين.

رواية البخاري: ﴿لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِن أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ يُقَاتِلُونَ وَهُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ﴾[1].

قال الحافظ ابن كثير في "تفسيره: والغرض أن هذه الأمة أشرف من سائر الأمم، والمقربون فيها أكثر من غيرها وأعلى منزلة؛ لشرف دينها، وعظم نبيها؛ ولهذا ثبت بالتواتر عن رسول الله ﷺ أنه أخبر: ﴿أن في هذه الأمة سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب﴾[2]، وفي لفظ: ﴿مع كل ألف سبعون ألفا﴾[3]، وفي آخر: ﴿مع كل واحد سبعون ألفا﴾[1].

---

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة . باب قول النبيّ ﷺ: ((لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق)).

(٢) عنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ الأُمَمَ عُرِضَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: فَعُرِضَتْ عَلَيْهِ أُمَّتُهُ فَأَعْجَبَتْهُ كَثْرَتُهُمْ فَقِيلَ: إِنَّ مَعَ هَؤُلاءِ سَبْعِينَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ. رواه الإمام احمد في "المسند": كتاب مسند المكثرين من الصحابة . باب مسند عبد الله بن مسعود، ((مسند أبي يعلى)): لأبي يعلى احمد بن علي بن المثنى الموصلي التميمي (ت٣٠٧هـ)، (٢١٨/٩). قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٣) عن أبي أُمَامَةَ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ((وَعَدَنِي رَبِّي أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا لا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلا عَذَابَ مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا وَثَلاثُ حَثَيَاتٍ=

انتهى[2]. اللّهم لك الحمدُ كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك؛ على نعمتك هذه، وعلى نعمائك الظاهرة والباطنة التي لا تُعدُ ولا تُحصى.

قلتُ: وأهل العلم هم ورّاث النّبيّ ﷺ الـذين أخذوا بعلمه وأدبه وأحواله ـ غـيرةً وشـفقةً لهـذه الأمة المرحومـة، حـافظين سـور الإسـلام ومنهجـه العظيم؛ فتحقق لهم الأتباع والمحبة والدعوة، ونشروا الحق والنور؛ فكانوا مجـدّدين لأحـوال الأمـة ــ في

=مِنْ حَثَيَاتِهِ))، ((مسند احمد)): كتاب باقي مسند الأنصار . باب حديث أبي أمامة الباهلي، ((سنن الترمذي)): كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، ((سنن ابن ماجه)): كتاب الزهد . باب صفة أمة محمد ﷺ. وقال الألباني: "صحيح" انظر حديث رقم ٥٣٦٦ في "صحيح الجامع".

(١) عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((أُعْطِيتُ سَبْعِينَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وُجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ وَقُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ فَاسْتَزَدْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فَزَادَنِي مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ سَبْعِينَ أَلْفًا))؛ أنظر ((مسند احمد)): كتاب مسند العشرة المبشرين بالجنة . باب مسند أبي بكر. قال الألباني: "صحيح" انظر حديث رقم ١٠٥٧ في "صحيح الجامع".

(٢) ((تفسير القرآن العظيم)): (٤/٣٦٣).

تهذيب نفوسها، ومقامات قلوبها، وتنوير أفكارها ـ بعلوم الدين الحنيف الكامل؛ لمقام العبودية والخدمة لهذه الأمة المرحومة: كما قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾﴾[(١)]، ولقوله ـ عليه الصّلاة والسّلام: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»، رواه أبو داود[(٢)].

ـ والمجدد: كما عرفه المناوي ـ رحمه الله تعالى ـ عن جماعة من العلماء قالوا: ولا يكون المجدد إلا عالماً بالعلوم الدينية الظاهرة والباطنة[(٣)].

---

(١) سورة البقرة.

(٢) ((سنن أبي داود)): كتاب الملاحم. باب ما يذكر في قرن المائة.

(٣) ((فيض القدير)) (٢/٣٦٥)، قال محمد شمس الحق العظيم ابادي في ((عون المعبود))، (١١/٢٦٣): والمراد بتجديد الدين للأمة إحياء ما أندرس من العلم بالكتاب والسنة، والأمر بمقتضاها، ولا يعلم ذلك المجدد إلا بغلبة الظن ممن عاصره من العلماء بقرائن أحواله، والانتفاع بعلمه، إذ المجدد للدين لابد أن يكون عالماً بالعلوم الدينية الظاهرة والباطنة، قاصداً للسنة، قامعاً للبدعة، وأن يعم علمه أهل=

قلتُ: والتحقيق لهذه العلوم، ومقامات القلوب: قال الإمام أبو الحسين النوري - رحمه الله تعالى: مقامات القلوب أربعة: وذلك أن الله ﷻ سمى القلب بأسماء أربعة: سماه صدراً، وقلباً، وفؤاداً، ولباً؛ فالصدر معدن الإسلام: لقوله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴿٢٢﴾﴾[1]، والقلب معدن الإيمان: لقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ ﴿٧﴾﴾[2]، والفؤاد معدن المعرفة: لقوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾[3]، واللب معدن التوحيد: لقوله تعالى: ﴿لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى

=زمانه، وإنما كان التجديد على رأس كل سنة لانخرام العلماء فيه غالباً، واندراس السنن، وظهور البدع فيحتاج إلى تجديد الدين فيأتي الله تعالى من الخلق بعوض من السلف إما واحدا أو متعدداً.

(١) سورة الزمر.

(٢) سورة الحجرات.

(٣) سورة النجم.

ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠﴾[1]، فاللب وعاء التوحيد، والفؤاد وعاء المعرفة، والقلب وعاء الإيمان، والصدر وعاء الإسلام؛ فالتوحيد تنزيه الحق عن دونه، والمعرفة إثبات الحق بصفاته العليا وأسمائه الحسنى، والإيمان عقد القلب بنفي جميع ما تولهت القلوب إليه من المضار والمنافع سواه ﷻ؛ والإسلام التسليم في الأمور كلها سراً وعلانية، وهذه الأسرار كائنة في أسرار الموحدين؛ ولا تصح المعرفة إلا بالتوحيد، ولا يصح الإيمان إلا بالمعرفة، ولا يصح الإسلام إلا بالإيمان؛ فمن لا توحيد له لا معرفة له، ومن لا معرفة له لا إيمان له، ومن لا إيمان له لا إسلام له،

---

(١) سورة آل عمران.

ومن لا إسلام له لا ينفعه ما سـواه مـن الأعمـال والأفعال. انتهى[1].

قلـتُ: وتحقيـقُ العلـومِ، ومـقاماتُ القلــوبِ وأحوالُها سبعةٌ: أولها: القلب المنيب: كما قال تعالى: ﴿مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ ٣٣﴾ [2]، أي: مقبلٌ على الطاعة مخلصٌ فيها، قال النسفي: راجعٌ إلى الله، وقيل: بسريرة مرضـية[3]؛ وقـال أبـو بكـر الـوراق: علامـة المنيـب: أن يكـون عارفـاً لرحمتـه، ومواليًاً له، متواضعاً لجلاله، تاركاً لهوى نفسه[4].

(١) ((مقامات القلوب)): لأبي الحسين النوري، خراساني الأصل صحب السري والقصاب (ت٢٩٥هـ)،(ص٤).

(٢) سورة ق.

(٣) ((تفسير النسفي)): لأبي حفص نجم الدين عمر بن احمد بن لقمان (ت٥٣٧هـ)، (٤/١٨٠).

(٤) ((تفسير القرطبي)): لأبي عبد الله محمد بن احمد الأنصاريّ القرطبيّ (ت ٦٧١هـ)، (١٧/٢٢).

قلتُ: والإنابة هي: الأعمال الظـاهرة، وقبولهـا بحـال القلـب مـع الله ﷻ: لقولـه تعـالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾[1]، وقوله تعـــالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ۝٣٧﴾[2].

وبـدون حضـور القلـب يكـون ردّ العمـل؛ لقولـه ﷻ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾[3]، قال العلامة النسفي رضي الله عنه في تفسيره للآية الكريمـة: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦﴾: والمـراءاة مفاعلـة مـن الإراءة؛ لأن المرائي يرائي الناس عمله، وهم يرونه

---

(١) سورة المؤمنون.

(٢) سورة ق.

(٣) سورة الماعون.

الثناء عليه والإعجاب به، ولا يكون الرجل مرائياً بإظهار الفرائض، فمن حقها الإعلان بها؛ لقوله ﷺ: «ولا غمة في فرائض الله»[1].

حكى ابن كثير في "تفسيره": أن الطبراني روى عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن النّبيّ ﷺ قال: «إنَّ في جهنم لوادياً تستعيذ جهنم من ذلك الوادي في كل يوم أربعمائة مرة، أعد ذلك الوادي للمرائين من أمة محمد، لحامل كتاب الله، والمتصدق في غير ذات الله، وللحاج إلى بيت الله، وللخارج في سبيل الله»[2]، [وذلك لريائهم في أعمالهم]، لذلك قال أمير المؤمنين؛ عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرجلٍ:

---

(١) ((تفسير النسفي)): (٣٥٩/٤)، ومعنى قوله ﷺ: ((ولا غمة في فرائض الله)) أي: لا تستر ولا تخفى فرائضه وإنما تظهر وتعلن ويجهر بها. وهذا الحديث ذكره القاضي أبي الفضل عياض اليحصبي (ت٥٤٤هـ) في ((الشفا بتعريف حقوق المصطفى)) فصل في فصاحة لسانه ﷺ (٣١٩/١).

(٢) ((تفسير ابن كثير)): (٥٥٤/٤)، ((المعجم الكبير)): (١٧٥/١٢).

عليك بعمل العلانية، قال: يا أمير المؤمنين وما عمل العلانية؟ قال: ما إذا اطلع عليك لم يستحي منه. وهذا هو الإخلاص الذي تستوي به السريرة والعلانية[1].

وتحدث الإمام الغزالي ـ رحمه الله تعالى في كتابه القيم "مختصر إحياء علوم الدين" عن التلازم بين الرياء والعمل والفصل بينهما بالقول: إذا لم يكن الباعث أصل الرياء، ولكنه يخاف أن يعرض له في أثنائه رياء، فينبغي أن لا يترك العبادة فإن غرض الشيطان يحصل بترك العبادة، بل يقدم على العبادة، وليدفع الرياء بدوائه، ولهذا قال بعضهم: الرياء أن يترك العبادة لرؤية الخلق، وأما الإقدام عليها لأجل الخلق فهو نفاق محض[2].

---

(١) ((إحياء علوم الدين)): للإمام الغزالي، (٣/٣١١).

(٢) ((مختصر إحياء علوم الدين)): للإمام الغزالي، (ص٢٠٥).

وقال مفتي الحنابلة في عصره ببغداد؛ الشيخ عبد القادر الجيلاني ـ قدس الله روحه ـ في كتابه الموسوم المسمى بـ "الفتح الربانيّ": (من يُعلمك بريائك وكُلك رياء، إلا الذين عافاهم الله، فيعالجونك بما عالجهم الله).

لذلك أيها اللبيب الصالح: إذا كانت الأعمال الظاهرة، لابد منها في أعمال القلوب كما أمر اللَّه ﷻ؛ لقوله سبحانه: ﴿وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾ (١)، فإذن لا بد من التنافس لمعارج القرب والإقبال في أعمال القلوب خاصةً؛ ليشغل القلب بالله تعالى مستخدماً أفضل ما في القلب للوصول إلى الحضور والذكر، لرفع الحجب بين العبد وربه ﷻ بين المراقبة والمشاهدة؛ لقوله ﷺ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ

(١) سورة ق.

تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ﴾[1]، ولقولـه تعـالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾[2] أي: السابقون إلى الهجـرة، السـابقون إلى الإسـلام، السـابقون إلى الصـلوات الخمـس، السـابقون بصِـدْقِ القـدم، السابقون بعُلُـوِّ الهمـم، السـابقون إلى كـل خـير، السابقون إلى الجنة، وغير ذلك.

ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾، قال الإمام القشـيري ـ رحمه الله تعالى ـ في "لطائفه": (يُقَرَّبون من بسـاط القربة ـ وأنَّى بالبساط ولا بساط؟! مقربون ولكن من حيث الكرامـة لا مـن حيـث المسـافة؛ مُقَرَّبـةٌ نُفوسُـهم مـن الجنـة، وقلـوبهُم إلى الحـقِّ؛ مُقَرَّبـةٌ قلوبهُم من بساط المعرفة، وأرواحُهم من سـاحات

---

(١) ((صـحيح البخـاري)): كتـاب الإيمـان . بـاب سـؤال جبريـل عـن الإيمـان والإسـلام والإحسان، ((صحيح مسلم)): كتاب الإيمان. باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان.

(٢) سورة الواقعة.

الشهود ـ فالحقُّ عزيزٌ لا قُرْبَ ولا بُعْـدَ ولا فَصْـلَ ولا وَصْلَ)[1].

قال ذنون المصري ﷺ: مقامات المقربين عشرة: سلامة الصدر، واعتقاد الرضا، والتوكل على الله، والرفق بعباده، والرحمة للضعفاء، وإصلاح ذات البين، والفرح بصلاح الأمة، والغم بفسادها، واعتقاد حسن الظن بالله[2].

فقد أكرمهم الحق ـ جلَّ وعلا ـ بقوله: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ﴿٨٩﴾﴾[3].

اللّهم أنت الرَوْحُ والرَيْحان؛ وهذا هو التجلّي الأعظم، وهو المزيد فوق الجِنّان؛ وهو النظر إلى وجه

(١) ((لطائف الإشارات)): للإمام أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري (ت٤٦٥هـ)، (٨٦/٦).

(٢) ((تفسير السلمي)): لأبي عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى الأزدي السلمي (ت٤٢١هـ)، (٣٠٣/٢).

(٣) سورة الواقعة.

الله الأقدس؛ لقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾[1]، وهو "انس الجنان"، ثم ورضوان من الله أعظم؛ كما قال تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴿٧٢﴾﴾[2]، وهو "روح الأنس"؛ وهو بقاء النظر إلى وجهه الأقدس ﷻ، وهذا هو التنافس الأعظـم إلى منازل القرب والرضوان.

قال ـ جلّت عظمته: ﴿ قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾[3].

قلتُ:-

جنــاتُ ذِكــركَ فــي الفـؤادِ ... ومعـاني حُبـكَ للجِنـانِ حَنـانُ
معــالمٌ ووِدادُ حُبّـكَ للجِنــانِ ... تبقــى وحُبِّــكَ للنعـيمِ جِنــانُ

(١) سورة القيامة.

(٢) سورة التوبة.

(٣) سورة المائدة.

اللّهم أدم علينا ذكرك، والأنس بذاتك، والشوق للقائك، ويوم العرض عليك، ونرجوك اللّهم؛ رضاك وقربك، والنظر إلى وجهك الكريم، وسماع كلامك الأقدس ـ بسر الرَوْح والرَيْحَان يا الله. يا الله. آمين آمين.

واعلم: أن الإنابة هي: أداءُ الواجبات واجتنابُ المحرمات، ومن الواجبات تعلم العلم الشَّرعيّ؛ لأن التقوى بدون علمٍ هوى، والعلم دون تقوى القلوب بعيدٌ عن القبول والقرب؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴿٢٨﴾﴾[1]، وقال ـ جلَّ ثناؤه: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾[2]، والخشيةُ من أعمال القلوب؛ لقول رسول الله ﷺ:

(١) سورة فاطر.

(٢) سورة البينة.

﴿الإِسْلامُ عَلانِيَةٌ وَالإِيمَانُ فِي الْقَلْبِ﴾، قَالَ: ثُمَّ يُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ: ﴿التَّقْوَى هَاهُنَا التَّقْوَى هَاهُنَا﴾[1]، ولقوله ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ﴾[2]، وفي رواية: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلا إِلَى صُوَرِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ إِلَى صَدْرِهِ﴾[3]، قال الإمام محيي الدين النووي، في "شرح صحيح مسلم"[4]: قوله ﷺ: ﴿التَّقْوَى هَاهُنَا﴾ وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاث مرار، وفي

---

(١) ((مسند احمد)): كتاب باقي مسند المكثرين . باب مسند انس ابن مالك، ((مسند أبي يعلى)) (٣٠١/٥)، ((مصنف ابن أبي شيبة)): لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي (ت٢٣٥هـ)،(١٥٩/٦).

(٢) ((صحيح مسلم)): كتاب البر والصلة والآداب . باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، ((مسند احمد)): كتاب باقي مسند المكثرين . باب مسند أبي هريرة، ((سنن ابن ماجه)): كتاب الزهد . باب القناعة.

(٣) ((صحيح مسلم)): كتاب البر والصلة والآداب . باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله.

(٤) (١٢١/١٦).

روايةٍ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إلى أجسامكم ولكن ينظر إلى قلوبكم﴾: معنى الرواية الأولى: أن الأعمال الظاهرة لا يحصل بها التقوى وإنما تحصل بما يقع في القلب من عظمة الله تعالى وخشيته ومراقبته ومعنى نظر الله هنا مجازاته ومحاسبته أي أنما يكون ذلك على ما في القلب دون الصور الظاهرة، ونظر الله رؤيته محيط بكل شيء ومقصود الحديث أن الاعتبار في هذا كله بالقلب وهو من نحو قوله ﷺ: ﴿أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً﴾ (١).

ومن معنى الحديث: أن الله تعالى لا ينظر إلى قوة أجسادكم وصوركم الحسنة، وإنما ينظر إلى أعمالكم الظاهرة والباطنة جميعاً، فأشار بقوله: ﴿قُلُوبِكُمْ﴾ إلى الأعمال الباطنة، كما أشار بقوله:

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب الإيمان . باب فضل من استبرأ لدينه ((صحيح مسلم)): كتاب المساقاة . باب اخذ الحلال وترك الشبهات.

﴿أَعْمَالِكُمْ﴾ إلى الأعمال الظاهرة، والحاصل أن من حسن عمله رضي عنه الله تعالى، سواء كان نحيف الجسم دميم الصورة، ومن ساء عمله سخط منه الله تعالى، سواء كان قوي الجسم حسن الصورة.

فلا مجال في هذا الحديث لمن ادعى أن المطلوب من الإنسان تزكيته للقلب فقط، ولا عبرة بأفعاله الظاهرة، فيفعل في ظاهره ما يشاء، كما تفوه بذلك بعض الملاحدة وجهلة المتصوفة، لأن نصوص القرآن والسنة مطبقة على كون الإنسان مكلفاً بتصحيح أعماله الظاهرة، والواقع أن الأعمال الظاهرة لا تفسد إلا بفساد القلب، فهي علامة على فساد باطنه. أما أن يغفر له لوصف خفي، فذلك شيء آخر، ولا يلزم منه ألا يقع الإنكار على أعماله الظاهرة الفاسدة، فلو لم تكن هناك قيمة للأعمال

الظاهرة، لما ذكر النّبيّ ﷺ: ﴿أَعْمَالِكُمْ﴾ عقيب قوله: ﴿إِلَى قُلُوبِكُمْ﴾. ولكنه ﷺ ذكر الأمرين، فدل على أن المطلوب إصلاح الباطن والظاهر جميعاً[1]. فتنبه جداً.

وقال الإمام الغزالي: قد أبان هذا الحديث أن محل القلب موضع نظر الرب، فيا عجباً ممن يهتم بوجهه الذي هو نظر الخلق فيغسله وينظفه من القذر والدنس ويزينه بما أمكن لئلا يطلع فيه مخلوق على عيب، ولا يهتم بقلبه الذي هو محل نظر الخالق فيطهره ويزينه لئلا يطلع ربه على دنس أو غيره فيه[2].

(١) ((فتح الملهِم)): للعلامة محمد تقي العثماني، مراجعة وتدقيق وتكملة: الأستاذ محمود شاكر: (٢٨١/١١).

(٢) ((فيض القدير)): (٣٦٠/٢).

قلتُ: لو أن إنساناً قال لصاحب العطر: ضع في يدي من عطرك الثمين؛ فنظر صاحب العطر إلى يده فوجد فيها قذارة، فقال: كيف أضع لك هذا العطر وفي يدك هذه القذارة، اذهب وطهـر يـدك لتكـون أهلاً لهذا العطر الثمين.

فكيف يتجلى الرّب ـ جلَّ جلاله ـ على قلب عبده وفي قلبه الكثير من القذارة والدنس؛ ألا وهي المآثم الباطنية، التي منها الحقـد ولـو علـى مسـلمٍ واحد.

إذن: لا بد من القلب السليم، فإلى ذلك فتنبه.

اللّهم طهر ظواهرنا عن الأنجاس، وبواطننا عن الأهجاس، يا لطيف يا واسع يا عليم يا الله.

ثانيها: القلب السليم: قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾[١]، وكان رسول الله ﷺ، يقول في دعائه: ﴿اللّهم إني أسألك قلباً سليما﴾[٢]، فالقلب السليم: هو السالم من الآفات والمكروهات كلّها؛ وهو القلب الذي ليس فيه سوى محبة الله وخشيته، وخشية ما يباعد منه؛ لقوله ـ عليه الصّلاة والسّلام: ﴿لاَ يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حتى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ﴾[٣]، والمراد باستقامة إيمانه:

---

(١) سورة الشعراء.

(٢) لما روى الإمام احمد في "مسنده": كتاب حديث الشاميين . باب حديث شداد بن أوس، والترمذي في "سننه": كتاب الدعوات . باب منه، والنسائي في "سننه": كتاب السهو . باب نوع آخر من الدعاء، واللفظ له عن شداد بن أوس أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كان يقول في صَلاتِهِ وفي رواية: "دُبُر صلاته": ((اللّهم إني أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ في الأَمْرِ، وَالْعَزِيمَةَ على الرُّشْدِ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا، وَلِسَاناً صَادِقاً، وَأَسْأَلُكَ من خَيْرِ ما تَعْلَمُ، وَأَعُوذُ بِكَ من شَرِّ ما تَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ)).

(٣) رواه الإمام احمد في "مسنده" وتمامه: ((وَلاَ يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حتى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ وَلاَ يَدْخُلُ رَجُلٌ الْجَنَّةَ لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ)).

استقامة أعمال جوارحـه، فـإن أعمـال جوارحـه لا تسـتقيم إلا باسـتقامة القلـب، ومعنـى اسـتقامة القلب: أن يكون ممتلئاً من محبـة الله تعـالى، ومحبـة طاعته، وكراهية معصيته[1]؛ أي: سلامته من آفـات الكفر والمعاصي الظاهرة والباطنة: كما قال تعالى: ﴿وَذَرُوا۟ ظَـٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ﴿١٢٠﴾﴾[2]، لذا: يجب علينا أن ننزه أنفسنا عن الرذائل النفسانية الظاهرة والباطنة ـ كالكذب، والزنا، وأكل الربا، والحقـد، والحسـد، والغش، وقلة الرحمة بالمسلمين، وسوء الظن بهـم، والطمـع، والشـح والبخـل، والريـاء، والنفـاق، والعجب بالنفس التي هي من أخبث الخبائث وبها

(١) ((جامع العلوم والحكم)): للحافظ زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي . المعروف بـ"ابن رجب الحنبلي" (ت٧٩٥ هـ)، (١/٧٥).

(٢) سورة الأنعام.

لُعِنَ إبليس؛ حيث قال: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ ﴿١٢﴾﴾[1]؛ ومثله قارون حين خرج على قومه في زينته مُعجباً مفتخراً "فَخُسفَ به"؛ وفرعون حين قال: ﴿أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ ﴿٥١﴾﴾[2]،فأذله الله ولعنه في الدنيا والآخرة.

"أي أخي": والترياق المجرب لحفظك من نفسك وتهذيبها؛ عليك، أولاً: أن لا توافقها في مخالفة شرعية، ثانياً: أن لا تنشغل بخواطرها، ثالثاً: أن تضحك على خواطرها؛ كما قال ـ عليه الصّلاة والسّلام: ﴿إِنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَعَمِلَهَا كُتِبَتْ عَشْرًا وَإِنْ لَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ حَسَنَةً وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَعَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَإِنْ لَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ حَسَنَةً﴾، رواه الإمام احمد[3].

(١) سورة الأعراف.

(٢) سورة الزخرف.

(٣) ((مسند احمد)): كتاب ومن مسند بني هاشم. باب بداية مسند عبد الله بن العباس.

واعلم أن الخواطر مخلوقة، فلا تخشى غير الله؛ فالله خالق كلّ شيء. فإن انتبهت إلى هذا وأخذت به أصبحت على خالص الإيمان؛ فقد سُئِلَ النَّبيُّ ﷺ، عن الْوَسْوَسَةِ قال: ﴿تِلْكَ مَحْضُ الإِيمَانِ﴾، رواه مسلم[1]، وفي أخرى: سألوه ﷺ: إنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاظَمُ أحَدُنَا أنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ. قَالَ: ﴿وَقَدْ وَجدْتُمُوهُ؟﴾ قَالُوا: نَعَمْ. قال: ﴿ذَاكَ صَرِيحُ الإِيمَانِ﴾[2]. وقال ﷺ:

(١) ((صحيح مسلم)): كتاب الإيمان . باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها.

(٢) ((صحيح مسلم)): كتاب الإيمان . باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها. قوله ﷺ:((ذاك صريح الإيمان)) أي: استعظامكم الكلام به هو صريح الإيمان، فإن استعظام هذا وشدة الخوف منه ومن النطق به . فضلاً عن اعتقاد . إنما يكون لمن استكمل الإيمان استكمالاً محققاً، وانتفت الريبة والشكوك.

واعلم ان الرواية الثانية، وإن لم يكن فيها ذكر الاستعظام، فهو مراد، وهي مختصرة من الرواية الأولى، ولهذا قدم مسلم . رحمه الله . الرواية الأولى. وقيل: معناه أن الشيطان إنما يوسوس لمن آيس من إغوائه؟ فينكد عليه بالوسوسة لعجزه عن إغوائه، وأما الكافر فإنه يأتيه من حيث شاء، ولا يقتصر في حقه على الوسوسة، بل يتلاعب به كيف أراد، فعلى هذا معنى الحديث: سبب الوسوسة محض الإيمان، أو الوسوسة علامة محض الإيمان، قال علي القاري: "فإن اللص لا يدخل البيت=

﴿لا يَحِقُّ الْعَبْدُ حَقَّ صَرِيحِ الإِيمَانِ حَتَّى يُحِبَّ لِلَّهِ تَعَالَى وَيُبْغِضَ لِلَّهِ فَإِذَا أَحَبَّ لِلَّهِ تبَارَكَ وَتَعَالَى وَأَبْغَضَ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَقَد اسْتَحَقَّ الْوَلاءَ مِن اللَّهِ وَإِنَّ أَوْلِيَائِي مِنْ عِبَادِي وَأَحِبَّائِي مِنْ خَلْقِي الَّذِينَ يُذْكَرُونَ بِذِكْرِي وَأُذْكَرُ بِذِكْرِهِمْ﴾، رواه الإمام احمد[١]، ويشهد له حديث: ﴿من أَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ وَأَعْطَى لِلَّهِ وَمَنَعَ لِلَّهِ فَقَد اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ﴾ رواه أبو داود والترمذي والحاكم[٢].

واعلم أيها الأخ اللبيب، والقارئ العزيز: أن التوحيد والطاعة لا يكفيان إلا بالمحبّة الإلهية معهما،

=الخالي"، ولذا روي عن علي ﷺ وكرم الله وجهه: (أن الصلاة التي لا وسوسة فيها إنما هي صلاة اليهود والنصارى). انظر ((فتح الملهم)): (٢/١٥٠).

(١) ((مسند احمد)): كتاب مسند المكيين . باب حديث عمرو بن الجموح، ((حلية الأولياء)): (١/٦)، وعند الطبراني في "الأوسط": (١/٢٠٣)، بلفظ: ((لا يجد العبد صريح الإيمان حتى يحب ويبغض لله فإذا أحب لله وأبغض لله فقد استحق الولاية من الله وإن أوليائي من عبادي وأحبائي من خلقي الذين يذكرون بذكري وأذكر بذكرهم)).

(٢) ((سنن أبي داود)): كتاب السنة . باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، وصححه الحاكم في "المستدرك" (٢/١٦٤)، ووافقه الذهبي.

والإخلاص من المحبة؛ لقوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴿٣﴾﴾[1]، فإن لم يكن الإخلاص فيه كان الأمر ﴿لَكُمُ﴾، وإذا حصل الإخلاص كان الأمر ﴿لِلَّهِ﴾، كما قال تعالى: ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴿٥﴾﴾[2]، وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾[3]، فذكر القلب دون ذكر اسمه تعالى، لأن الإنابة مبنية على التوحيد والطاعة ـ من الأوامر والنواهي، وقبولها بصدق القلب مع الله ﷻ.

أما القلب السليم: فقد ذكر الحق اسمه تعالى مع القلب لقبوله ﷻ، فقال: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾[4]، أي: صفاءً وتقرباً. كما قال تعالى في الحديث

(١) سورة المائدة.

(٢) سورة البينة.

(٣) سورة ق.

(٤) سورة الشعراء.

القدســـي: ﴿وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً﴾[1]، وفي أخـرى: ﴿إِذَا تَلَقَّانِي عَبْدِي بِشِبْرٍ، تَلَقَّيْتُهُ بِذِرَاعٍ. وإذا تَلَقَّانِي بِذِرَاعٍ، تَلَقَّيْتُهُ بِبَاعٍ. وإذا تَلَقَّانِي بِبَاعٍ، جِئْتُهُ أَتَيْتُهُ بِأَسْرَعَ﴾، رواه الإمام مسلم، في "صحيحه"[2].

ـ وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾﴾[3]، قال أهـل التفسير: أن من شيعة نوح وأهل دينه إبراهيم عليه السلام الذي جاء بقلب سليم؛ أي: عامر بالتوحيد والخير، نقيٌّ من الشرك والآثام، خالصٌ من آفات القلوب وعيوبها، ووصف إبراهيم عليه السلام، بهذا الوصف وهو: سلامة القلب، لما

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب التوحيد ـ باب قول الله تعالى: ((ويحذركم الله نفسه))، ((صحيح مسلم)): كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ـ باب الحث على ذكر الله تعالى.

(٢) ((صحيح مسلم)): كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ـ باب الحث على ذكر الله تعالى.

(٣) سورة الصافات.

فيه عظيم التشريف لهذه الفضيلة وخُص بها ﵇، وهو خليل الرّحمن، وأبو الأنبياء ـ عليه وعليهم الصّلاة والسّلام. فتنبه.

ـ روى الإمام أحمد: إِنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَخْلَصَ قَلْبَهُ لِلإِيمَانِ وَجَعَلَ قَلْبَهُ سَلِيمًا وَلِسَانَهُ صَادِقاً وَنَفْسَهُ مُطْمَئِنَّةً وَخَلِيقَتَهُ مُسْتَقِيمَةً، وَجَعَل أذنه مُسْتَمِعَةً وَعَيْنَهُ نَاظِرَةً، فَأَمَّا الأذن فَقِمَعٌ وَالْعَيْنُ بمقرة لما يُوعِي الْقَلْبُ، وقد افلح من جَعَلَ قَلْبَهُ وَاعِياً﴾ (١)، وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّه ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: ﴿كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ﴾. قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ، نَعْرِفُهُ. فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: ﴿هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ. لا إِثْمَ فِيهِ وَلا بَغْيَ وَلا

---

(١) ((مسند احمد)): كتاب مسند الأنصار . باب حديث أبي ذر الغفاري، ((شعب الإيمان)): (١٣٢/١)، إسناده صحيح رجاله ثقات مشاهير.

غِلَّ وَلا حَسَدَ﴾، رواه ابن ماجه[1]؛ وقال الإمام علي ﷺ وكرّم اللَّه وجهه: (إن لله تعالى في أرضه آنية ـ وهي القلوب، فأحبها إليه تعالى؛ أرقها، وأصفاها، وأصلبها، ثم فسره فقال: أصلبها في الدين، وأصفاها في اليقين، وأرقها على الإخوان)[2]، وفي روايةٍ: (إنَّ لله في أرْضِهِ آنيَةً، وإنَّ مِنْ آنِيَتِهِ فيها القُلُوب، فَلا يَقْبَلُ مِنْهَا إلاَّ مَا صُفِّي وَصَلُبَ وَرَقَّ.

قال الإمام المحاسبي ﷺ: ومعنى ذلك: أن يُصفِّيَ [أي العبدُ] القلبَ لله عزَّ وجلَّ باتّباع أمرِهِ وَنَهْيِهِ ومشاهدةِ الصِّدقِ والإِشفاقِ، وصفَّاهُ لرسول الله ﷺ بقبولِ ما أَتَى بهِ قولاً وعَمَلاً ونَيّةً. وَصَفَّاهُ للمُؤمنينَ بكفِّ الأَذى وإيصالِ النفعِ.

---

(١) ((سنن ابن ماجه)): كتاب الزهد . باب الورع والتقوى. قال في ((تخريج أحاديث الإحياء)): أخرجه ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر "بإسناد صحيح". قال محمد فؤاد عبد الباقي: وفي "الزوائد": هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات.

(٢) ((إحياء علوم الدين)): (١٠/٣).

وأمَّا معنى قولِهِ: "وصَلُبَ" فمعناهُ: قَوِيَ في إقَامَةِ الحدودِ لله تعالى، والأمرِ بالمعرُوف والنهي عن المنْكَر.

وقوله: "ورقَّ" فالرِّقَّة على وجهين: رِقَّةٌ بالبكاء، ورِقَّةٌ بالرَّأفَةِ. انتهى(١).

قال القشيري ﷺ: "قلبٌ سليمٌ": لا آفة فيه. ويقال: لديغٍ مِنَ المحبة. ويقال: سليم من محبة الأغيار. ويقال: سليمٌ من حظوظ نفسه وإرادته. ويقال: مستسلم لله في قضائه واختياره. انتهى(٢).

ويقال: الذي يلقى الله وليس فيه غيره.

قال الإمام الرازي: أصح الأقوال أن المراد منه سلامة النفس عن الجهل، والأخلاق الرديئة(٣).

---

(١) ((رسالة المسترشدين)): لأبي عبد الله الحارث بن أسد المُحاسبي البصري (ت٢٤٣هـ)، (ص٩٦).

(٢) ((لطائف الإشارات)): (٢٣٥/٤).

(٣) ((فتح القدير)): لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، (١٠٦/٤).

ـ وقال بعضهم ﷺ: صفة القلب السليم: يشير بقلبه من تحته إلى الوفاء، ومن فوقه إلى الرضا، ومن يمينه إلى العطاء، ومن يساره إلى المنى، ومن قدامه إلى اللقاء، ومن ورائه إلى البقاء؛ وقالوا: وهو أربع منازل أولها: سلامة القلب من الشك، والثاني: سلامة القلب من الهوى المضل، والثالث: سلامة القلب من الرياء والعجب، والرابع: سلامة القلب من ذكر كل شيء سوى ذكر الله ﷻ.

قال شيخي وأستاذي العلاّمة الربّاني؛ الشيخ مصطفى كمال الدين الهرشمي ـ قدس الله روحه: وتحقيقُ سلامةِ القلبِ ثلاثةٌ: أولاً: (خُلُوّ الجوفِ عن الطعام)، أي: لا إفراطَ ولا تفريطَ؛ لقوله سبحانه: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ٣١﴾[1]،

(١) سورة الأعراف.

ثانياً: (كثرةُ الذكرِ)؛ لقوله تعالى: ﴿ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝٤١﴾ [1]، ثالثاً: (مُصاحبةُ الصادقين)؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝١١٩﴾ [2].

وقال شاه شجاع الكرماني رضي الله عنه: ثلاثة من علامة سلامة الصدر، الثقة بكل أحد، ورؤية الخير في الناس، وطلب العذر لكل الناس.

وسُئل أبو القاسم الحكيم ـ رحمه الله تعالى ـ عن القلب السليم، فقال: له ثلاث علامات: أولاها: أن لا يؤذي أحداً؛ والثانية: أن لا يتأذى من أحد؛ والثالثة: إذا اصطنع مع أحد معروفاً، لم يتوقع منه المكافأة. فإذا هو لم يُؤْذِ أحداً؛ فقد جاء بالورع.

---

(١) سورة الأحزاب.

(٢) سورة التوبة.

وإذا لم يتأذ من أحد؛ فقد جاء بالوفاء. وإذا لم يتوقع المكافأة بالاصطناع؛ فقد جاء بالإخلاص[1].

اللّهم إني أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ في الأَمْـرِ، وَالْعَزِيمَـةَ علـى الرُّشْـدِ، وَأَسْـأَلُكَ شُـكْرَ نِعْمَتِـكَ، وَحُسْـنَ عِبَادَتِـكَ، وَأَسْـأَلُكَ قَلْبًـا سَـلِيمًا، وَلِسَـانًا صَـادِقًا وَأَسْأَلُكَ من خَيْرِ ما تَعْلَمُ، وَأَعُوذُ بِكَ من شَـرِّ مـا تَعْلَمُ،وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ؛إِنَّكَ أَنْتَ عَلامُ الْغُيُوبِ.

ـ ثالثها: القلب الذاكر: قال تعـالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢﴾[2]، وقـال ـ جـلَّ جلالـه: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٤٥﴾[3]، وقـال ـ جـلَّ ذِكـرُهُ: ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ

(١) ((تفسير روح البيان)): لإسماعيل حقي البروسوي (ت ١١٣٧ هـ)، (٢٨٧/٦).
(٢) سورة الأحزاب.
(٣) سورة الأنفال.

﴿أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾[1]، وقال ــ جلَّ ثناؤُهُ: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾[2]، وقال رسول الله ﷺ: «لا تُكْثِرُوا الْكَلامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الْكَلامِ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ قَسْوَةٌ لِلْقَلْبِ، وَإِنَّ أَبْعَدَ النَّاسِ مِن اللَّهِ الْقَلْبُ الْقَاسِي»، رواه الترمذي[3]، وقال ﷺ: «مَنْ قَعَدَ مَقْعَدًا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ فِيهِ، كَانَتْ عَلَيْهِ مِن اللَّهِ تِرَةٌ[4]، ومن قام مقاماً لم يَذْكُر الله فيه، كانت عليه من الله تِرَةٌ، وَمَن اضْطَجَعَ

---

(١) سورة الكهف.

(٢) سورة الأعراف.

(٣) ((سنن الترمذي)): كتاب الزهد، وقال: حديث حسن غريب، قال المنذري في ((الترغيب والترهيب))، (٣/٥٢٠): رواه الترمذي والبيهقي، وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

(٤) أي حسرةٌ وندامة، ونقصٌ وخَسَارة، لفواتِ فضلِ الله وعطائِهِ، بترك الذكر لله سبحانه فيه.

مَضْجَعًا لم يَذْكُر اللَّهَ فِيهِ، كَانَتْ عَلَيْهِ مِن اللَّهِ تِرَةٌ﴾، رواه أبو داود والنسائي[1].

وجاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿مَا مِنْ قَوْمٍ جَلَسُوا مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ، إِلا رَأَوْهُ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، رواه الإمام أحمد[2].

وروى النسائي وابن حِبّان: ﴿مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ، إِلا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً، وَمَا مَشَى أَحَدٌ مَمْشىً لَمْ يَذْكُر اللَّهَ فِيهِ، إِلا كَانَ عَلَيْهِ تِرَةً، وَمَا أَوَى أَحَدٌ إِلَى فِرَاشِهِ وَلَمْ يَذْكُر اللَّهَ فِيهِ، إِلا كَانَ عَلَيْهِ تِرَةً﴾ [3].

---

(١) ((سنن أبي داود)): كتاب الأدب . باب كراهة أن يقوم الرجل من مجلسه ولا يذكر الله تعالى . "بسند حسن"، ((سنن النسائي الكبرى)): (١٠٧/٦)، واللفظ له.

(٢) ((مسند احمد)): مسند المكثرين من الصحابة . باب مسند عبد الله بن عمرو بن العاص، قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد))، (٨٠/١٠): رواه احمد، ورجاله رجال الصحيح.

(٣) ((سنن النسائي الكبرى)): (١٠٧/٦)، ((صحيح ابن حبان)): (١٣٣/٣).

وفي روايةٍ: عن أبي هُرَيْرَةَ قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ: «ما اجْتَمَعَ قَوْمٌ في مَجْلِسٍ فَتَفَرَّقُوا ولم يَذْكُرُوا اللَّهَ عزَّ وجل وَيُصَلُّوا على النّبيّ ﷺ إلا كان مَجْلِسُهُمْ تِرَةً عليهم يوم الْقِيَامَةِ»[1]، وفي روايةٍ أخرى: «ما قعد قوم مقعدا لم يذكروا الله عزَّ وجل فيه ويصلون على النّبيّ ﷺ، إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة، وإن دخلوا الجنة للثواب»[2] أي حسرة وندامة، لأنهم ضيعوا رأس مالهم، وفرقوا ربحهم؛ لأن ذكر الله تعالى، والصّلاة على نبيّه ﷺ سبب لطيب المجلس وألا يعود على أهله حسرة يوم القيامة؛ لما يرون من عظيم ثواب ذكر الله تعالى، والصّلاة على رسول الله ﷺ.

---

(١) ((مسند احمد)): كتاب باقي مسند المكثرين . باب باقي المسند السابق، قال العجلوني في ((كشف الخفاء))، (٢/٢٣٦): رواه احمد وابن حبان عن أبي هريرة بسند صحيح.

(٢) قال المنذري في ((الترغيب والترهيب))، (٢/٢٦٣): رواه احمد بإسناد صحيح وابن حبان في "صحيحه" والحاكم وقال: صحيح على شرط البخاري.

وفي روايـةِ أبــي داود: ﴿مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لا يَـذْكُرُونَ اللَّـهَ فِيـهِ، إِلاّ قَـامُوا عَـنْ مِثْـلِ جِيفَـةِ حِمَارٍ، وَكَانَ عليهم حَسْرَةً﴾[1].

قال الإمام الشوكاني في "التحفة": قولـه ﴿إلا كأنما تفرقوا عن جيفة حمار﴾ أي مثلها في النتن وفي هذا التشبيه غاية التنفير عن تـرك ذكـر الله ﷻ في المجالس، وأنه مما ينبغي لكل أحد أن لا يجلـس فيـه ولا يلابس أهله، وأن يفر عنه كما يفر عـن جيفـة الحمار، فإن كل عاقل يفر عنهـا ولا يقعـد عنـدها، قولـه: ﴿وكان عليهم حسرة يوم القيامة﴾ أي: بسـبب تفريطهم في ذكر الله ﷻ، وذلك لمـا يظهـر لهـم في موقف الحساب من أجور العامرين لمجالسهم بذكر الله ﷻ؛ فينبغي لمن حضر مجالس الغفلة أن لا يخليها

---

(١) ((سنن أبي داود)): كتاب الأدب . باب كراهية أن يقوم الرجل من مجلسه ولا يذكر الله تعالى.

عن شيء من ذكر الله، وأن يأتي عند القيام منها بكفارة المجلس التي أرشد إليها ﷺ؛ كما في حديث عائشة رضي الله عنها ـ عند أبي داود والحاكم أنه ﷺ كان إذا أراد أن يقوم من المجلس قال: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ لَتَقُولُ قَوْلاً مَا كُنْتَ تَقُولُهُ فِيمَا مَضَى، فَقَالَ: «كَفَّارَةٌ لِمَا يَكُونُ فِي الْمَجْلِسِ»[1]، وفي روايةٍ أخرى: «كَلِمَاتٌ لا يَتَكَلَّمُ بِهِنَّ أَحَدٌ في مَجْلِسِهِ عِنْدَ قِيَامِهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ إلا كُفِّرَ بِهِنَّ عنه، ولا يَقُولُهُنَّ فـي مَجْلِسِ خَيْرٍ وَمَجْلِسِ ذِكْرٍ إلا خُتِمَ لهُ بِهِنَّ عليه كما يُختم بِالْخَاتَمِ على

---

(١) ((تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين)): للشوكاني (ص٢٧)، وحديث كفارة المجلس في ((سنن أبي داود)): كتاب الأدب . باب في كفارة المجلس، والطبراني في "الصغير": (١/٣٧٠)، و"الأوسط": (٤/٣٧٢)، و "الكبير": (٤/٢٨٧).

الصَّـحِيفَةِ: سُبْحَانَكَ اللهـم وَبِحَمْـدِكَ، لا إِلَـهَ إلا أنـت، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ﴾(١).

واعلم أيها الأخ الصالح: أن الذكرَ مـن أجـل العبادات، وأعظم القُرُبَات؛ فعَن أَبِي الـدَّرْدَاءِ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ﴿أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْـدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَـا فِـي دَرَجَـاتِكُمْ، وَخَيْـرٌ لَكُـمْ مِـن إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟﴾ قَالُوا: بَلَى قَالَ: ﴿ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى﴾ فقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ﷺ: (مَا شَيْءٌ أَنْجَى مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ)(٢)، لقولـه ﷺ: ﴿مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ عَمَلاً أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اللهِ مِنْ ذِكْرِ

---

(١) ((سنن أبي داود)): كتاب الأدب. باب إذا قام من مجلس ثم رجع.

(٢) رواه الإمام احمد في "المسند": كتاب مسند الأنصار . باب حديث معاذ بن جبل بإسناد حسن، والترمذي في "جامعه" في كتاب الدعاء، وابن ماجه في "سننه" في كتاب الأدب . باب فضل الذكر، والحاكم في "المستدرك"، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأقره الذهبي فقال فيه: "صحيح".

الله﴾[١]، وفي أخرى للإمام أحمد والترمذي عن أبي سعيد الخدري ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ أَيُّ الْعِبَادِ أَفْضَلُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ يوم الْقِيَامَةِ؟ قال: ﴿الذَّاكِرُونَ[٢] اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ﴾ قلت: يا رَسُولَ اللَّهِ، وَمِن الْغَازِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قال: ﴿لَوْ ضَرَبَ بِسَيْفِهِ فِي الْكُفَّارِ وَالْمُشْرِكِينَ حَتَّى يَنْكَسِرَ وَيَخْتَضِبَ دَماً لَكَانَ الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيراً أَفْضَلَ مِنْهُ دَرَجَةً﴾[٣].

---

(١) أخرجه الهيثمي في ((مجمع الزوائد)): (٧٣/١٠)، وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، والمتقي الهندي في ((كنز العمال)): ١٨٥١، والسيوطي في ((الدر المنثور)): (١٥٠/١).

(٢) قال محمد عبد الرحمن المباركفوري: كذا في بعض النسخ بالواو، وكذلك في رواية احمد؛ وهو الظاهر، ووقع في بعضها: ((الذاكرين)) بالياء وهو على الحكاية. قال الله ﷻ: ((إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات)) إلى قوله: ((والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيما)). انظر ((تحفة الأحوذي)): (٢٩٣/٩).

(٣) ((مسند احمد)): كتاب باقي مسند المكثرين . باب مسند أبي سعيد الخدري، ((سنن الترمذي)): كتاب الدعوات . باب ما جاء في فضل الذكر، واللفظ له.

قال الإمام ابن حجر في "الفتح": وطريق الجمع والله اعلم أن المراد بذكر الله في حديث أبي الدرداء الذكر الكامل وهو ما يجتمع فيه ذكر اللسان والقلب بالتفكر في المعنى واستحضار عظمة الله تعالى، وأن الذي يحصل له ذلك يكون أفضل ممن يقاتل الكفار مثلاً من غير استحضار لذلك، وأن أفضلية الجهاد إنما هي بالنسبة إلى ذكر اللسان المجرد، فمن اتفق له أن جمع ذلك كمن يذكر الله بلسانه وقلبه واستحضاره وكل ذلك حال صلاته أو في صيامه أو تصدقه أو قتاله الكفار مثلاً فهو الذي بلغ الغاية القصوى، والعلم عند الله تعالى. وأجاب القاضي أبو بكر بن العربي بأنه ما من عمل صالح إلا والذكر مشترط في تصحيحه، فمن لم يذكر الله بقلبه عند صدقته أو صيامه مثلاً فليس عمله كاملاً؛

فصار الذكر أفضل الأعمال من هذه الحيثية، ويشير إلى ذلك حديث: ﴿نية المؤمن أبلغ من عمله﴾. انتهى[1].

قال الإمام الصنعاني؛ ولا تعارضه أحاديث فضل الجهاد، وأنه أفضل من الذكر؛ لأن المراد بالذكر الأفضل من الجهاد ـ ذكر اللسان والقلب والتفكر في المعنى واستحضار عظمة الله؛ فهذا أفضل من الجهاد، والجهاد أفضل من الذكر باللسان فقط. انتهى[2].

وقال ابن القيم: والتحقيق في ذلك: أن المراتب ثلاثة، المرتبة الأولى: ذكر وجهاد، وهي: أعلى

---

(١) ((فتح الباري)): لأبي الفضل احمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي (ت٨٥٢)، (٢١٠/١١).

(٢) ((سبل السلام)): لمحمد بن إسماعيل الكحلاني ثم الصنعاني المعروف بالأمير (ت١١٨٣هـ)، (٢١٤/٤).

المراتب؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٤٥﴾[1].

المرتبة الثانية: ذكر بلا جهاد؛ فهذه دون الأولى.

المرتبة الثالثة: جهاد بلا ذكر؛ فهي دونهما والذاكر أفضل من هذا. انتهى[2].

قال - تبارك وتعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠﴾[3]، وقال النّبيُّ ﷺ: «الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيراً والذَّاكِرَاتِ هُم السَّابِقُونَ وَالْفَائِزُونَ»، رواه مسلم وأحمد والترمذي.

وروى البخاري ومسلم وغيرهما أن رسول اللَّه ﷺ قال: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي

---

(١) سورة الأنفال.

(٢) ((حاشية ابن القيم على سنن أبي داود)): لمحمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، (ت٧٥١هـ)، (١٦٢/٧).

(٣) سورة الجمعة.

وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي؛ فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً﴾[1].

قلتُ: وتحقيق مسألة الذكر بسره وجهره سنوضحها بتوفيق الله تعالى في هاذين القلبين المذكورين؛ "القلب الذاكر" و"القلب الحاضر". فتنبه. فتح الله عليك. وهو اللطيف الواسع العليم.

ـ قال تعالى: ﴿فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي﴾، قال في "الفتح": أي إن ذكرني بالتنزيه والتقديس سرّاً، ذكرته بالثواب والرحمة سرّاً[2].

---

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب التوحيد . باب قول الله تعالى: ((ويحذركم الله نفسه))، ((صحيح مسلم)): كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار . باب الحث على ذكر الله تعالى.

(٢) ((فتح الباري)): (١٣/٣٨٦).

قلتُ: ومن معانيه "من ذكرني بفكره المرادف للروحِ قلباً، رحمتُهُ رحمةً لا يَطلعُ عليها الملائكةُ"، كما قال رسول الله ﷺ: ﴿الذكر الذي لا يسمعه الحفظة يزيد على الذكر الذي يسمعه الحفظة سبعين ضعفاً﴾، رواه البيهقي[1]؛ وأخرى له: ﴿يفضل أو يضعف الذكر الخفي الذي لا يسمعه الحفظة على الذي تسمعه سبعين ضعفاً﴾[2] وهذا مؤيدٌ بالحديث الذي رواه الإمام أحمد في "المسند" والبيهقي في "شعب الإيمان"، وابن حِبَّان "بسند صحيح"، عَن سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿خَيْرُ الذِّكْرِ الْخَفِيُّ وَخَيْرُ الرِّزْقِ مَا يَكْفِي﴾[3]، ولما روى الإمام

(١) ((شعب الإيمان)): (١/٤٠٧).

(٢) ((شعب الإيمان)): (١/٤٠٨).

(٣) ((مسند احمد)): كتاب مسند العشرة المبشرين بالجنة . باب مسند أبي إسحاق سعد بن أبي وقاص، ((صحيح ابن حبان)): (٣/٩١)، قال الزركشي في ((التذكرة في الأحاديث المشتهرة))، (ص٢٠٢): رواه البيهقي بطرق من حديث سعد بن أبي=

مسلم وغيره: عَن أَبِي مُوسَى. قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ. فَجَعَلَ النَّاسُ يَجْهَـرُونَ بِـالتَّكْبِيرِ. فَقَـالَ النَّبِيُّ ﷺ: ﴿أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ[(١)]، إِنَّكُمْ لَيْسَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلا غَائِبًا. إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا. وَهُوَ مَعَكُمْ﴾، قَالَ: وَأَنَا خَلْفَهُ، وَأَنَا أَقُولُ: لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ. فَقَالَ: ﴿يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ، أَلا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ﴾، فَقُلْتُ: بَلَى يَـا رَسُـولَ اللَّهِ. قَالَ: ﴿قُلْ لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ﴾[(٢)].

ـ وقوله ـ جلَّ وعلا: ﴿وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ﴾، قال في "فَتْحِ الْمُلْهِم": والمراد منه

=وقاص، وقال المنذري في ((الترغيب والترهيب)): (٢/٣٤١): رواه أبو عوانة وابن حبان في "صحيحهما".

(١) اربعوا بكسر همزة الأمر، وبفتح الباء، ومعناه: ارفقوا بأنفسكم واخفضوا أصواتكم. يقال: ربع الرجل يربع إذا رفق وكف وفي "القاموس": وربع كمنع وقف وانتظر وتحبس ومنه قولهم: اربع عليك أو على نفسك.

(٢) ((صحيح البخاري)): كتاب المغازي . باب غزوة خيبر، ((صحيح مسلم)): كتاب الدعاء والتوبة والاستغفار . باب استحباب خفض الصوت بالذكر، واللفظ له، ((مسند احمد)): كتاب أول مسند الكوفيين . باب حديث أبي موسى الأشعري.

الذكر في جماعة، سواء كان الجميع يذكرون الله تعالى، أو يذكر الذاكر بمحضر من الآخرين ﴿ذَكَرْتُهُ فِي مَلإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ﴾ وهم الملائكة(١)؛ ويقال: ذكرته بالرحمة والمغفرة؛ وهو ذكر اللسان مع حضور القلب، وما عليه أحكام الجوارح، وأذكار السنة الطاهرة ـ وأعلاها تلاوة القرآن المجيد. ومنه: الختم الشريف؛ لقوله تعالى: ﴿ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ ،والمعنى:يعمم أغلب الأوقات والأحوال؛ كما قال غير واحد، وقال ابن عباس ومجاهد: الذكر الكثير؛ أن لا يُنسى ـ جلَّ شأنه، وقال ابن السائب، يقال ذكراً كثيراً؛ في الصلوات الخمس، وقال مقاتل وابن حَيّان: هو التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير على كل حال، لقول رسول الله ﷺ: ﴿قال

(١) ((تكملة فتح الملهم)): (١١/٤١٠).

الله تعالى: أَنَا مَعَ عَبْدِي[١] حَيْثُمَا ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ﴾[٢]، وقال رسول الله ﷺ: ﴿إن العبد إذا قال سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر قَبَض عليهن مَلَك فضَمّهُنّ تحت جناحه وصَعَد بهن فلا يمر على جمع مع الملائكة إلا استغفروا لقائلهن حتى يجيء بهن وجه الرحمن جلَّ وعلا، وذلك قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ ﴿١٠﴾﴾، رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد[٣]؛ وروى البخاري ومسلم والبيهقي وغيرهم عَن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿إِنَّ لِلَّهِ مَلائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ، تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ، قَالَ: فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ

(١) أي: عوناً ونصراً وتأييداً وتوفيقاً وتحصيلاً لمرامه.

(٢) ((صحيح البخاري)): كتاب التوحيد . باب قول الله تعالى: ((لا تحرك به لسانك لتعجل به))، ((مسند احمد)): كتاب باقي مسند المكثرين . باب باقي المسند السابق، ((سنن ابن ماجه)): كتاب الأدب . باب فضل الذكر.

(٣) ((المستدرك على الصحيحين)): (٢/٤٦١).

إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ: مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: هَل رَأَوْنِي؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لا وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وَتَحْمِيدًا وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا، قَالَ: يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟ قَالَ: يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ: وَهَل رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: مِن النَّارِ، قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لا وَاللَّهِ مَا رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً، قَالَ: فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ. قَالَ: يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلائِكَةِ: فِيهِمْ فُلانٌ لَيْسَ

مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ! قَالَ: هُمُ الْجُلَسَاءُ لا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ﴾، متفق عليه[1].

قال الإمام الكشميري في "فَيْضِ الباري": واعلم أن ذكرَ الله يُحْدِثُ دائرةً حول الذاكر، كما أنَّك تَقْذِفُ حجراً في الماء، فترى الأمواجَ تتلاطمُ من حوله، تَمْتَدُّ بِقَدْرِ قوة الرامي، وضَعْفِها. فكما أن الماءَ يتحرَّكُ مدى الحركة، كذلك حالُ الأشياءِ التي تشملها دائرةُ الذكر، فإنَّها تصيرُ ذاكرةً.

﴿هُمُ القومُ، لا يَشْقَى جَليسُهُم﴾، فإنَّه بجلوسه بين الذاكرين صار مشمولاً بالذكر، والذاكرين، فكان معهم.

والسِّرُّ فيه: أن ذكرَ الله حياةٌ، فلا يَبْلُغ شيئاً إلاَّ يُحْدِثُ فيه حياةً، وحينئذٍ تَتَّسِعُ دائرةُ الذكر بِقَدْرِ

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب الدعوات . باب فضل ذكر الله ﷻ، ((صحيح مسلم)): كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار . باب فضل مجالس الذكر.

اتساع صوت الذاكر، حتَّى تَصِيرَ الأشياءُ كلُّها حول الذاكر أحياءً ذاكرين.

وإن كنتَ قد ذُقْتَ حلاوةَ ما ألقينا عليك، تبيَّنت معنى تسبيح الجبال، والطير، مع داود عليه الصّلاة والسّلام، كما أخبر به القرآنُ. وهو أن داودَ عليه الصّلاة والسّلام لم يكن يَذْكُرُ ويُسَبِّحُ ربَّه، إلاَّ جَعَلَ ما حوله من الجبال والطير يُسَبِّحُ معه، لدخوله في حلقة ذِكره. وإذ كان نبياً من الأنبياء عليهم السلام، كان ذكرُه أيضاً بِقَدْرِ مرتبته، فكانت الأشياءُ تتأَثَّرُ منه، ما لا تتأَثَّرُ بذكر أحد. ولمَّا أراد اللهُ سبحانه أن يُسْمِعَهُم من ذكرهم، أَسْمَعَهُم إعجازاً. وهو فعَّالٌ لِمَا يشاءُ، ويَحْكُمُ ما يريدُ[1].

(١) ((فيض الباري شرح صحيح البخاري)): للعلاّمة الشيخ محمد أنور الكشميري: (ت١٣٥٢هـ) (٧/٤٨٥).

قلتُ: هذا حال العبد المقصر بهم، فقد انتفع بعمل غيره، فكيف بحال العبد الصادق بدين الله، ومحبته ـ معهم، وبهم إلى الله ﷻ: كما قال تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾[1]، لما روى الإمام الطبراني عن عمرو بن عيينة ـ رضي الله تعالى عنه، قال: سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم، يقول: «عَنْ يَمينِ الرَّحمْنِ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمينٌ: رِجَالٌ لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلا شُهَدَاءَ يَغْشَى[2] بَيَاضُ وُجُوهِهِمْ نَظَرَ النَّاظِرِينَ، يَغْبِطُهُمُ[3] النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ، بِمَقْعَدِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ». قِيلَ: يَا رَسُولِ اللهِ، مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «هُمْ جُمَّاعٌ[4] مِنْ

(١) سورة النساء.

(٢) يغطي ويعم.

(٣) يتمنون أن يكونوا مثلهم في النعيم.

(٤) جماع بضم الجيم، وتشديد الميم: أي أخلاط من قبائل شتى، ومواضع مختلفة.

نَـوَازِعِ[1] الْقَبَائِـلِ يَجْتَمِعُـونَ عَلَـى ذِكْـرِ اللهِ؛ فَيَنْتَقُـونَ أَطَايِبَ الكَلاَمِ كَمَا يَنْتَقي آكِلُ التَّمْرِ أَطَايِبَهُ﴾[2].

وأخرى، للطبراني عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿لَيَبْعَثَنَّ اللهُ أَقْوَاماً يَوْمَ الْقِيَامَةِ في وُجُوهِهِمُ النُّورُ، عَلَى مَنَابِرِ الُّلؤْلُؤ يَغْبِطُهُمُ النَّاسُ، لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ، وَلاَ شُهَدَاءَ﴾ قـال أبـو الـدرداء: فَجَثَـا[3] أَعْرَابِـيٌّ عَلَـى رُكْبَتَيْـهِ فَقَـالَ: يَـا رَسُـولَ اللهِ، حِلَّهُـمْ[4] لَنَـا نَعْـرِفْهُمْ؟ قـالَ: ﴿هُمُ المتَحَـابُّونَ فـي اللهِ مِـنْ قَبَائِـلَ شَـتَّى، وَبِـلاَدٍ شَـتَّى، يَجْتَمِعُونَ عَلَى ذِكْرِ اللهِ يَذْكُرُونَـهُ﴾[5]، وروى الإمـام مالك عَن أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلاَنِيِّ أَنَّـهُ قَـالَ دَخَلْـتُ

---

(١) نوازِع: جمع نازِع، وهو الغريب؛ ومعناه أنهم لم يجتمعوا لقرابة بينهم، ولا نسب، ولا معرفة، وإنما اجتمعوا لذكر الله لا غير

(٢) قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (١٠/٧٨): روا الطبراني ورجاله موثوقون.

(٣) جلس.

(٤) صفهم وعرفنا نزلهم.

(٥) قال المنذري في ((الترغيب والترهيب)) (٤/٤٠٦): رواه الطبراني بإسناد حسن.

مَسْجِدَ دِمَشْقَ، فَإِذَا فَتًى شَابٌّ بَـرَّاقُ الثَّنَايَـا[١]، وَإِذَا النَّاسُ مَعَهُ إِذَا اخْتَلَفُوا فِـي شَـيْءٍ أَسْـنَدُوا إِلَيْـهِ[٢] وَصَدَرُوا عَنْ قَوْلِهِ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ فَقِيلَ: هَذَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ[٣] هَجَّرْتُ[٤] فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي بِالتَّهْجِيرِ، وَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي قَالَ: فَانْتَظَرْتُهُ حَتَّى قَضَى صَلاتَهُ، ثُمَّ جِئْتُهُ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ثُـمَّ قُلْتُ: وَاللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ لِلَّهِ، فَقَالَ: آللَّهِ. فَقُلْتُ: آللَّهِ، فَقَالَ: آللَّهِ. فَقُلْتُ: آللَّهِ. فَقَالَ: آللَّهِ. فَقُلْتُ: آللَّهِ، قَالَ: فَأَخَذَ بِحُبْوَةِ رِدَائِي[٥] فَجَبَذَنِي إِلَيْهِ[٦]، وَقَالَ: أَبْشِـرْ

(١) أسنانه نظيفة لامعة لنضارة جسمه، وبشاشة وجهه، وحلاوة منظره.

(٢) سلموا له زمام الكلام وشاوروه، وعملوا بنصيحته، ونفذوا ما أمر فهو سيدهم.

(٣) اليوم الثاني.

(٤) هجرت: بكرت، والتهجير التبكير إلى كل شيء والمبادرة إليه، أراد المبادرة إلى أول وقت الصلاة.

(٥) بحبوة ردائي: مد يديه لأطراف ثوبي، يقال احتبى الرجل: جمع ظهره وساقيه بثوب أو غيره وقد يحتبي بيديه.

(٦) على معنى التقريب له، والتأنيس، وإظهار القبول، لما أخبر به، وتبشيره بما قاله النبي ﷺ لمن فعل ذلك.

فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ﴿قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ﴾[1]، قوله: ﴿وَجَبَتْ﴾ أي: حقت. ﴿مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ﴾ أي: يتجالسون في محبتي بذكري؛ وكان الإمام الجنيد ـ قدس الله روحه ـ مشغولاً في خلوته فإذا جاء إخوانه خرج وقعد معهم، ويقول: لو أعلم شيئاً أفضل من مجالستكم ما خرجت إليكم؛ وذلك أن لمجالسة الخواص أثراً في صفاء الحضور، ونشر العلوم ما ليس لغيرهم. قوله: ﴿وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ﴾ أي: يبذل كل واحد منهم لصاحبه نفسه وماله في مهماته في جميع حالاته في الله ـ جلَّ وعلا. قوله:

(١) ((موطأ مالك)): للإمام أبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي (ت١٧٩هـ): كتاب الشعر . باب ما جاء في المتحابين في الله، ((صحيح ابن حبان)): (٢/٣٣٥) قال الإمام النووي في ((رياض الصالحين))، (ص٨٧): رواه مالك في "الموطأ" بإسناده الصحيح.

﴿وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ﴾ لا لغرض دنيوي ولا أُخروي، زاد الطبراني في روايته: ﴿والمتصادقين فيَّ﴾ وذلك لأن قلوبهم لهت عن كل شيء سواه ﷻ فتعلقت بتوحيده فألف بينهم بروحه، وروح الجلال أعظم شأناً من أن يوصف، فإذا وجدت قلوبهم نسيم روح الجلال كادت تطير في أماكنها شوقاً إليه، فهم محبوسون بهذا الهيكل فصاروا في اللقاء يهش بعضهم لبعض إئتلافاً وتلذذاً وشوقاً لمحبوبهم الأعظم، فمن ثم وجب لهم الحب ففازوا بكمال القرب [1].

وقال الإمام اللكنوي في رسالته المسمَّاة بـ"سِباحَة الفِكر في الجهرِ بالذِكرِ": ها هنا ذِكرٌ آخر

---

(١) انظر ((شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك)): للإمام محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني: (ت ١١٢٢)، (٣٤٧/٤، ٣٤٨).

غيرُ السِّرِّ والجهرّ، وهو الذكرُ القَلْبِيُّ، وقد أنكـره بعضُ الفقهاء، وقالوا: هو ليس بشيء.

والحقُّ أنه مُكابرة، فـإنَّ الـذكرَ ضِـدُّ النسـيان، وهما في الأصل من أفعالِ القلب لا اللسان، نعـم للذكر اللِّساني آثارٌ مخصوصـة، وأحكـامٌ معلومـة، ليست للذكر القلبي، ولا يَلـزَمُ منـه نفـيُ إطـلاقِ الذكر على فِعلِ القلب، كذا ذكره الشيخ الدِّهْلَوِي في رسالته المسمَّاة بـ "تنبيـه أهـل الـذكر، برعايـةِ آدابِ الذكر".

وفي "الحِرز الثمين شرح الحِصن الحصين" في شـــرح ﴿مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي﴾، الحديث. فيه دليلٌ على أنَّ الذكر القلبي أفضَلُ ثم اللسانيُّ الإخفائيُّ، لما وَرَد أنَّ الذكر الخفي الذي لا

يَسْمَعُه الحَفَظَةُ يُضعَّفُ سبعون ضِعفاً، وورد ﴿خير الذكر الخفي﴾. انتهى.

وفيه عند قولِ المصنف:وكلُّ ذكرٍ مشروع واجباً كان أو مُستحباً لا يُعتَدُّ به حتى يُسمِعَ نفسه الخ.

هذا كلُّه فيما أَمَر الشارعُ بأن يُذكرَ باللسان، كما فِي قراءةِ الصلاةِ والتشهدِ وتسبيحاتِها، وليس معناه أنَّ من يَذكُرُ الله تعالى بقلبِهِ من غيرِ أن يتلفَّظَ بلسانِهِ لا يكونُ فِي الشرع مُعْتَداً به، فإنَّ مُداوَمَةَ الذكرِ لا يُتصوَّرُ بدون اعتبارِهِ، بل هو أفضَلُ أنواعِهِ.

وقد اخرج أبو يَعْلَى المَوْصِلِي فِي "مُسْنَده" عن عائشة مرفوعاً: ﴿أفضَلُ الذكرِ الخفي الذي لا تَسْمَعُه الحَفَظَة، يقال لهم يوم القيامة: انظُرُوا هل بقي له من شيء؟ فيقولون ما تركنا شيئاً مما عَلِمناه وحفظناه إلا

وقد أحصيناه وكتبناه، فيقول الله تعالى: أنَّ لك عندي خَبِيْئَاً لا تعلمه وأنا أَجزيك به، وهو الذكرُ الخفي﴾[1]. كذا ذكره السيوطي في "البُدُور السافِرة، في أحوالِ الآخرة".

وفي "الجامع": ﴿خَيْرُ الذِّكْرِ الْخَفِيُّ وَخَيْرُ الرِّزْقِ مَا يَكْفِي﴾، رواه احمد وابن حِبّان والبيهقي[2]. انتهى.

ومن توابع الذكر القلبيِّ: الذكرُ النَّفَسِيُّ، وهو أن يَحصُلَ بصُعُودِ النَّفَسِ وهُبُوطِه ذِكرٌ لا إلـه إلا الله، هُوَ أو نحوُ ذلك، وهو ذكرٌ حَسَنٌ مُوْجِبٌ لحصولِ التشبُّه بالملائكةِ، لما رواه أبو الشيخ في قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ٢٠﴾[3] عن الحَسَن قال: إنه يقول: جَعلتُ أنفاسَهم لهم تسبيحاً.

---

(١) ((مسند أبي يعلى)): (١٨٢/٨).

(٢) سبق تخريجه في ص٩٩.

(٣) سورة الأنبياء.

ورَوَى ابنُ المنذر وابن أبي حاتم والبيهقـي في "شُعَب الإِيمان" وأبـو الشـيخ عـن عبـد الله بـن الحارث قال: قلتُ لكعبٍ: أرأيـتَ قـولَ الله تعـالى: ﴿لَا يَفْتُرُونَ ۝٢٠﴾[1]، أمـا تَشـغَلُهم رسـالة؟ أمـا تَشغَلُهم حاجَة؟ فقال: جَعَل لهم التسبيح كما جَعَل لهم النَّفَس، ألستَ تأكلُ وتشربُ وتقـومُ وتجلـس وتذهَبُ وتتكلَّمُ وأنت تتنفَّسُ، فكذلك جَعَل لهـم التسبيحَ، فهم يُسبِّحون الليلَ والنهار لا يَفْتُرون.

فهذا الحديثُ أصلٌ أصيل، ومَأخَذٌ جليل للذكرِ النَّفَسِي، فاحفظه فإنه من سَـوَانح الوقـت. انتهـى كلام الإمام اللكنوِي ـ رضي الله عنه[2].

(١) سورة الأنبياء.

(٢) ((سباحة الفكر في الجهر بالذكر)): للإمام أبي الحَسَنات محمد عَبد الحي اللكنوِي الهِندي (ت١٣٠٤هـ): تحقيق عبد الفتاح أبو غدة: (٦٩، ٧١).

ومثله قول الإمام الشافعيّ ﷺ:-

قلبـي برحمتـك اللّهـم ذو انـس   في السرّ والجهر والإصباح والغلس
وما تقلبت من نومي وفي سنتي   إلا وذكـرك بـين الـنفس والـنفس

وقال الإمام الجنيد بن محمد ﷺ أيضاً:-

ذكرتك لا أني نسيتك لمحة   وأيسرها ما في الذكر ذكر لساني

قال شيخنا ـ ﷺ، في "المعالم": أخرج الترمذي في الجامع الصحيح (ج ٤ ص ٦٠٧ ـ ٦٠٨): ((حدثنا أبو عبد الله محمد بن أبي ثَلْج البغدادي ـ صاحب أحمد بن حنبل ـ حدثنا علي بن حفص، حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن حاطب، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله. فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي﴾[1].

---

(١) ((سنن الترمذي)): كتاب الزهد . باب منه.

وأخرج الترمذي (عقيب الحـديث السـابق):

((حدثنا محمد بن بشار، وغير واحد، قالوا: حـدثنا محمد بن يزيد بن خُنيس المكي، قال سمعت سـعيد بن حسان المخزومي قال: حدثتني أم صالح عن صفيّة بنت شيبة عن أمّ حبيبة زوج النّبيّ ﷺ عن النّبيّ ﷺ قال: ﴿كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو ذكر الله﴾[1].

للفظ الذكر ومشتقاتها في اللغة معان عديـدة أكثرها راجع إلى اثنين أحـدهما روحـاني والآخـر

(١) ((سنن الترمذي)): كتاب الزهد . باب منه؛ قال القاري: وظاهر الحديث أنه لا يظهر في الكلام نوع يباح للأنام، اللَّهم إلا أن يحمل على المبالغة، والتأكيد في الزجر عن القول الذي ليس بسديد وقد يقال: إن قوله: ((لا له))، تفسير لقوله: ((عليه))، ولا شَكَّ أن المباح ليس له نفع في العقبى، أو يقال التقدير: كلّ كلام ابن آدم حسرة عليه، لا منفعة له فيه إلاَّ المذكورات وأمثالها، فيوافق بقية الأحاديث المذكورة، وهو مقتبس من قوله تعالى: ((لا خيرَ في كثيرٍ من نجواهم إلا من أمرَ بصدقةٍ أو معروفٍ أو إصلاحٍ بين الناس))، وبه يرتفع اضطراب الشراح في أمر المباح، انتهى كلام القاري، ينظر "المرقاة": (٥/٦٠). قال المؤلف . عفا الله عنه: ينقلب المباح إلى طاعات أو مقربات بالقصد في مرضات الله تقوية للعبادة.

جسماني. أولهما معنى الاستحضار في الفكر أو القلب كما في قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ.....﴾[1]، ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ ....﴿١٣٥﴾﴾[2].

وكما في البيت: ـ

((اذكرونا مثل ذكرانا لكم

رب ذكرى قربت من بُعدا))

والثاني معنى القول والنطق بجهاز الصوت كما في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾﴾[3]. ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ.....﴿٤٢﴾﴾[4]. ثم يتعين المعنى المراد في كل

---

(١) سورة النور.

(٢) سورة آل عمران.

(٣) سورة مريم.

(٤) سورة يوسف.

نص بالعلامات البيانية المعروفة في علوم اللغة والأدب.

ثاني هذين المعنيين هو الظاهر قصده من لفظ الذكر في الحديثين الشريفين اللذين صدّرنا بهما المبحث رجاء التدرج من الأدنى إلى الأعلى من منازل ذكر الإِنسان رب العالمين سبحانه جلّ شأنه. وهذا هو المعروف بذكر اللسان.

ولكي يبلغ ذكر اللسان الحد الأدنى لكونه ذكر الله حقاً يجب أن يصحب الذكر حين النطق به نوع وعي في فكر الناطق به بأنه إنما يذكر الله سبحانه. أما إذا قام يردّد بلسانه اسم الله تعالى وهو غافل عن الله أو سارح الفكر في أعلاق الدنيا فهذا العمل ليس يرقى إلى الحد الأدنى للذكر الشرعي. ذلك لأن الذكر في حقيقته ابتهال ودعاء، وقد ثبت

في الحـــديث: ﴿إن الله لا يقبـل دعـاء مـن قلـب غافـل لاهٍ﴾[1].

(١) أخرجـه الحـاكم عـن انـس مرفوعـاً انظـر ((الـدر المنثـور)): (٤٧٢/١). وفـي ((سـنن الترمذي)): كتاب الدعوات . باب ما جاء في جوامع الدعوات عن النبي ﷺ، بلفظ: ((ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لاهٍ))، قوله: ((وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ)) أي: والحال: أنكم موقون بها؛ أي: كونوا عند الدعاء على حالة، تستحقون بها الإجابة؛ من إتيان المعروف، واجتناب المنكر، ورعاية شروط الدعاء؛ كحضور القلب، وترصُّدِ الأزمنة الشريفة، والأمكنة المنيفة، واغتنام الأحوال اللطيفة؛ كالسجود إلى غير ذلك؛ حتى تكون الإجابة على قلوبكم أغلب من الرد، أو أراد: وأنتم معتقدون: أن الله لا يُخَيِّبُكم؛ لسعة كرمه، وكمال قدرته، وإحاطة علمه لتحقق صدق الرجاء، وخلوص الدعاء؛ لأن الداعي ما لم يكن رجاؤه واثقاً لم يكن دعاؤه صادقاً، ((مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ)) بالإضافة وتركها، أي: معرض عن الله أو عما سأله ((لاهٍ)) من: اللهو، أي: لاعب بما سأله، أو مشتغل بغير الله تعالى، وهذا عمدة آداب الدعاء؛ ولذا خص بالذكر. قوله: (هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ) وأخرجه الحاكم، وقال: مستقيم الإسناد، تفرد به صالح المري، وهو أحد زهاد "البصرة". قال المنذري: صالح المري: لا شك في زُهْدِهِ، ولكن تركه أبو داود، والنسائي. انتهى.

قلت: وللحديث شاهد من حديث عبد الله بن عمرو . رضي الله عنهما . أن رسول الله ﷺ قال: ((الْقُلُوبُ أَوْعِيَةٌ، وَبَعْضُهَا أَوْعَى مِنْ بَعْضٍ، فَإِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ . أَيُّهَا النَّاسُ . فَاسْأَلُوهُ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَجِيبُ لِعَبْدٍ دَعَاهُ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ غَافِلٍ))، أخرجه أحمد، وحَسَّنَ المنذري إسناده. أنظر ((تحفة الأحوذي)): (٤١٦/٩، ٤١٧)، وقال احمد محمد شاكر: إسناده صحيح.

ثم قال ﷺ: هذا. على أن الأول من الحديثين الشريفين يصح فهمه على أن النهي هو عن الإكثار من الكلام في أيّما شأن إكثاراً محفوظاً بدوام الغفلة عن الله تعالى. فالمأمور به فيه هو قطع الغفلة ومعاودة ذكر الله سبحانه، سواء كان الذكر أو كانت المعاودة باللسان أو الفكر أو القلب؛ والحديث مدرك شرعي للذكر على منازله الثلاثة.

فذكر اللسان هو المنزل الأدنى من منازل ذكر الله، وهو عبادة خير، بالشرائط الشرعية التي وصفناها الحائلة دون انقلابه من طاعة إلى معصية.

﴿والكيّس من دان نفسه﴾[1].

---

(١) ((مسند احمد)): كتاب مسند الشاميين . باب حديث شداد بن أوس، ((سنن الترمذي)): كتاب صفة القيامة والرقائق والورع . باب منه، ((سنن ابن ماجه)): كتاب الزهد . باب ذكر الموت والاستعداد له. قوله: ((الكيِّس)) أي: العاقل المتبصر في الأمور، الناظر في العواقب، ((من دان نفسه)) أي: حاسبها، وأذلها، واستعبدها، وقهرها، حتى صارت مطيعة منقادة.

والمنزل الأوسط أي الذي فوق المنزل الأدنى هو ذكر الله سبحانه باللسان والفكر معاً، واللسان فيه تابع للفكر الذاكر ذكراً قوياً. ويجب فيه من باب أولى تحقق الشرائط الشرعية جميعها التي تقدم بيانها مع الحد الأدنى. يبقى أن نعلم حكم الشارع فيه من حيث الجهر به أو الإِسرار. نعلم من أحاديث الأذكار الكثيرة في الصحاح والمدونة في كتب مفردة لها (كالأذكار للنووي رحمه الله وجزاه خيراً) أن ذكر الله يتحقق بصيغ التسبيح والتحميد والتمجيد والدعاء والثناء والتلبية والتكبير وبصيغة التوحيد. وفي هذا المجال صنع رسول الله ـ ﷺ ـ وصنع أصحابه ما يلي بيانه: ـ

١ـ التهليل به في موضعين: مناسك الحج وأيام التشريق؛ وعقيب الصلوات المكتوبات في المساجد دائما.

٢ـ الإسرار به دونما رفع صوت وتهليل ـ كما في غير الوقتين المشار إليهما في الفقرة السابقة.

٣ـ ذكر الله بقلبه الشريف. وههنا لا صوت ولا لفظ.

أما التلبية والتكبيرات في مناسك الحج فمعروفة مشهورة عند المسلمين معرفة تغنينا عن رواية أدلتها الشرعية في هذه الورقات. وقارئ يريدها، فليرجع إلى مباحث الحج في أيّ من المراجع المذكورة في أوائل الفصل الثالث عشر. وأما ذكر القلب فسيأتي بيانه قريباً.

فأما باقي الأحكام التي لخصناها ضمن الأوليين من الفقرات الثلاث المتقدمة فإليك أدلتها التفصيلية من الكتاب والسنة: ـ

ـــــ ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾[1].

والمراد بالسجود الصلاة، أي سبّح أعقاب الصلاة. ومن القراءات السبع ((وإدبار السجود)) بكسر الهمزة، أي فور ما تدبر الصلاة وتنتهي والمعنى واحد هو الأمر بالذكر وجوباً.

ـ أخرج مسلم في صحيحه (القسطلاني ج٤ ص٢٦٥–٢٦٦): ((وحدثنا محمّد بنُ عبد اللَّهِ بن نُمَيْرٍ. حدثنا أبي. حدثنا هِشَامٌ عن أبي الزُّبَيْرِ؛ قال:

---

(١) سورة ق.

كان ابن الزُّبَيْرِ يقول في دُبُرِ كل صَلاةٍ، حين يُسَلِّمُ: ﴿لا إِلَهَ إلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ له. له الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وهو على كل شَيْءٍ قَدِيرٌ. لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا بِاللَّهِ. لا إِلَهَ إلا الله. ولا نَعْبُدُ إلا إِيَّاهُ، له النِّعْمَةُ وَلَهُ الْفَضْلُ. وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ. لا إِلَهَ إلا الله مُخْلِصِينَ له الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[1]. وقال: كان رسول اللَّهِ ﷺ: يُهَلِّلُ بِهِنَّ دُبُرَ كل صَلاةٍ)).

ـ أخرج مسلم في صحيحه (القسطلاني ج٤ ص٢٦٢-٢٦٣): ((حدثنا دَاوُدُ بنُ رُشَيْدٍ. قال: حدثنا الْوَلِيدُ عن الأَوْزَاعِيِّ عن أبي عَمَّارٍ، (اسْمُهُ شَدَّادُ بن عبد اللَّهِ) عن أبي أَسْمَاءَ، عن ثَوْبَانَ؛ قال: كان رسول اللَّهِ ﷺ، إذا انْصَرَفَ من صَلاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلاثًا. وقال: ﴿اللَّهمَّ أنت السَّلامُ وَمِنْكَ السَّلامُ.

---

(١) ((صحيح مسلم)): كتاب المساجد ومواضع الصلاة . باب استحباب الذكر بعد الصلاة، وبيان صفته، ((سنن النسائي)): كتاب الافتتاح . باب التهليل بعد التسليم، ((سنن أبي داود)): كتاب الصلاة . باب ما يقول الرجل إذا سلّم.

تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾... وحـدثناه ابـن نُمَيْـرٍ. قال: حدثنا أبو خَالِدٍ، يَعْنِي الأَحْمَرَ، عن عَاصِمٍ بهذا الإِسناد. وقال: ﴿يا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾[1].

ـ أخرج مسلم في صـحيحه (القسـطلاني ج٤ ص٢٦٧): ((حدثنا عَاصِمُ بنُ النَّضْرِ التَّيْمِيُّ. حدثنا الْمُعْتَمِرُ. حدثنا عُبَيْدُ اللَّهِ ح قال: (وحدثنا قُتَيْبَةُ بن سَعِيدٍ حدثنا لَيْثٌ عن ابْنِ عَجْلانَ) كلاهُمـا عـن سُمَيٍّ، عن أبي صَالِحٍ، عن أبي هُرَيْرَةَ (وَهَذَا حَدِيثُ قُتَيْبَةَ) أَنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ أَتَـوْا رَسُـولَ اللَّـهِ ﷺ فقَـالُوا: قَـدْ ذَهَـبَ أَهْـلُ الـدُّثُورِ [أي الأمـوال] بِالـدَّرَجَاتِ العُلـى وَالنَّعِـيمِ الْمُقِـيمِ. فقـال: ﴿وما ذَاكَ؟﴾. قالوا: يُصَلُّونَ كما نُصَلِّي. وَيَصُومُونَ كمـا نَصُومُ. وَيَتَصَدَّقُونَ ولا نَتَصَدَّقُ. وَيُعْتِقُونَ ولا نُعْتِقُ.

---

(١) ((صحيح مسلم)): كتاب المساجد ومواضع الصلاة . باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته.

فقال رسول اللّـهِ ﷺ: ﴿أَفَلا أُعَلِّمُكُمْ شيئاً تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ وَتَسْبِقُونَ بِهِ من بَعْدَكُمْ؟ ولا يكون أحدٌ أفضل منكم إلا من صَنَعَ مِثْلَ ما صنعتم﴾. قالوا: بَلَى يا رَسُولَ اللَّهِ. قال: ﴿تُسَبِّحُونَ وَتُكَبِّرُونَ وَتَحْمّدُونَ دُبُرَ كل صَلاةٍ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ مَرَّةً﴾[1].

وجدنا في الحديثين الأول والثاني ما جهر به رسول الله ﷺ من الذكر. وفي الحديث الثالث ما أمر به من الذكر. فذهبنا إلى: أن الجهر بالذكر أفضل في المواضع التي جهر به فيها رسول الله ﷺ وبمقدار ما جهر به؛ وأن الإِسرار هو الأفضل في ما عدا ذلك كله. وفي ما ذهبنا إليه بفضل الله وحسن توفيقه تطبيق لقواعد علم أصول الفقه وعلم نقد الحديث ورفع لما ذكره العلامة النووي في شرحه لصحيح

---

(١) ((صحيح مسلم)): كتاب المساجد ومواضع الصلاة . باب استحباب الذكر بعد الصلاة، وبيان صفته.

الإمام مسلم (القسطلاني ج٤ ص٢٥٥ـ٢٥٦) من خلاف بين السلف فبين المتأخرين في استحباب الجهر أو الإِسرار بالذكر والتكبير. ذلك كله ما قال وما عمل الشارع ﷺ.

وكنا قد أشرنا إلى صنيع الأصحاب أيضاً بادىء التقسيم الثلاثي قبل قليل. أما الإِسرار بالذكر على أيامهم كما على أيامنا فواضح أمره حين يسرّ به المسلم مثلما في صلاة السر. وأما جهر الأصحاب ـ صلى الله على رسول الله وآله وأصحابه وسلم ـ عند مناسك الحج فواضح كذلك ومعروف مشهور. فأما جهرهم بالذكر عقيب الصلاة فمأخذه ما رواه البخاري ومسلم بأسانيدهما عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ((أن رفع الصوت بالذكر، حين ينصرف الناس من المكتوبة، كان على عهد النّبيّ

ﷺ))[1]. راجع القسطلاني، للبخاري: ج٢ص٥٠٦؛ ولمسلم: ج ٤ ص٢٥٥). وكيف لا، وقد رأينا كيف كان النّبيّ ﷺ يصنعه.

فأما أفضلية الإِسرار (أعني في ما سوى المواضع التي قلنا الإعلان فيها أفضل) فالأصل فيها من رسول الله ﷺ هذا الحديث:ـ

ـ أخرج مسلم في صحيحه (القسطلاني ج١٢ ص١٠٤ ـ ١٠٥): ((حدثنا أبو بَكْرِ بن أبي شَيْبَةَ حدثنا محمد بن فُضَيْلٍ وأبو مُعَاوِيَةَ عن عَاصِمٍ عن أبي عُثْمَانَ عن أبي مُوسَى قال كنا مع النّبيّ ﷺ في سَفَرٍ فَجَعَلَ الناس يَجْهَرُونَ بِالتَّكْبِيرِ فقال النّبيّ ﷺ: ﴿اربَعوا على أَنْفُسِكُمْ. إِنَّكُمْ ليس تَدْعُونَ أَصَمَّ ولا

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب الأذان . باب الذكر بعد الصلاة، ((صحيح مسلم)): كتاب المساجد ومواضع الصلاة. باب الذكر بعد الصلاة.

غَائِبًا. إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وهو مَعَكُمْ...﴾[1]. رواه مسلم بطرق عديدة عن أبي موسى الأشعري.

والآن إلى المنزل الأعلى من منازل ذكر الله تعالى. هو إذ تنفرد قوة الفكر بذكر الله تعالى، وجهاز الصوت متروك منعزل تمام الانعزال. ومدركه الشرعي قوله تعالى:

- ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٢٠٥ ﴾[2].

وقد تقدم في صدر هذا الفصل أن لفظة النفس استعملت بمعنى الفكر والقلب ولمعان غيرهما. وموضوع الآية الكريمة وسياقها وافيان بأن المراد هو الذكر بالفكر أو القلب أو كليهما دونما

(١) ((صحيح مسلم)): كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار . باب استحباب خفض الصوت بالذكر.

(٢) سورة الأعراف.

قول مجهور به. أما القول الذي هو في النفس فكراً كانت هذه أو قلباً فهو غير مشمول بالاستثناء والعزل ـ كما لا يخفى. ولينتبه الرفيق القارئ إلى أن الكلام ينشأ في فكر الإنسان ثم يتلفظ هو به ويخرجه بجهاز الصوت. ولما كان الأمر في الآية الكريمة بذكر الرب في النفس خاصة فهمنا أن ليس المراد من الجهر هنا ما يقابل الإِسرار بالقول والصوت، بل المراد هو ما يقابل القول داخل النفس أي المجرد من كل تلفظ بجهاز الصوت لا مسرّا به ولا مجهوراً.

فالذاكر يصدف عن جهاز الصوت واللفظ وينساه ويذكر الله تبارك وتعالى بفكره مستغرق الفكر في الله سبحانه. وهذا هو المنزل الأرفع والحد الأعلى للذكر بقوة الفكر من قوى الروح.

بيد أن معارج ذكر الله جلّ جلاله وعمًّ نواله لا تنتهي عند هذا الحد. فهذا منزل يعرج منه إلى "مقام الإحسان". وفي النهج البادئ من هذا المقام صنف آخر من الذكر هو بقوة القلب وحده لا الفكر.وإنما يتضح ذلك بعد العلم بمقام الإِحسان، وإنما ينكشف بعد الوصول إلى مقام الإحسان.اهـ[1].

واعلم: أن الذكر باللسان ـ لفظٌ مركبٌ من الأصوات والحروف لا يتيسر للذاكر في جميع الأوقات، فإن البيع والشراء وغيرهما يُلهي الذاكر عنه، بخلاف الذكر القلبي، والحضور مع الله ـ في المراقبة، فلا يُلهي شيء عن ذكر ربّه حضوراً بالفكر، أو ذكراً بالقلب: لقوله ـ عليه الصّلاة

(١) ((معالم الطريق)): (٢٨٩، ٢٩٦).

والسّــلام: «أفضـل الإيمـان أن تعلـم أنَّ الله معـك حيثما كنت»، رواه الطبراني[1].

قال العلاّمة المناوي: فإن من علم ذلك استوت سريرته وعلانيته، فهابه في كل مكان، واستحيى منه في كل زمان، والهيبة والحياء وثاقان لنفس العبد من كل ما ذكره الله سراً وجهراً، وبطناً وظهراً، فالنفس في هذه الأحوال الأربع تخشع لهيبته، وتـذل وتخمـد شهواتها وتقل حركاتها، فإذا كـان مـن الله لعبـده تأييد بهذين فقد استقام والمراد بذلك علم القلب لا علم اللسان فقد علـم الموحـدون أن الله معهـم بـالنص القرآنـي ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴿٧﴾﴾[2]، الآية لأن الإيمان شهادة القلب لأنه

(١) ((المعجم الأوسط)): (٨/٣٣٦).

(٢) سورة المجادلة.

سبحانه حي قائم موجود وإله واحد معبود، فهذا هو الإيمان العام الذي من سلبه غير مؤمن ثم لشهود القلب مراتب ومن أفضلها شهوده لله في كل مكان يكون فيه العبد على أي حال كان من خلاء وملاء، وسراء وضراء، ونعيم وبؤس، وطاعة وعصيان، فيكون في حال الخلاء مستحياً، وفي هذا الملاء متوكلاً، وفي السراء حامداً، وفي الضراء راضياً، وفي الغنى بالأفضال، وفي الإقلال بالصبر، وفي الطاعة بالإخلاص، وفي المعصية بطلب الخلاص[1].

وكان الإمام احمد رحمه الله ينشد هذين البيتين[2]:

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل خلوت ولكن قل عليَّ رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أنَّ ما تخفى عليه يغيب

(١) ((فيض القدير)): (٢/٤٢).
(٢) ((تفسير ابن كثير)): (٤/٣٠٥).

قال الحافظ أبو نعيم في "الحلية": حدثنا أبو الحسن علي بن هارون قال: سمعت أبا القاسم الجنيد بن محمد يقول وسأله جعفر: ما تقول أكرمك الله في الذكر الخفي ما هو الذي لا تعلمه الحفظة، ومن أين زاد عمل السر على عمل العلانية سبعين ضعفا؟ فأجابه فقال: وفقنا الله وإياكم لأرشد الأمور وأقربها إليه، واستعملنا وإياكم بأرضى الأمور وأحبها إليه، وختم لنا ولكم بخير. فأما الذكر الذي يستأثر الله بعلمه دون غيره فهو ما اعتقدته القلوب وطويت عليه الضمائر مما لا تحرك به الألسنة والجوارح، وهو مثل الهيبة لله والتعظيم لله والاجلال لله، واعتقاد الخوف من الله، وذلك كله فيما بين العبد وربه، لا يعلمه إلا من يعلم الغيب. والدليل على ذلك قوله ﷻ: ﴿يَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ وَمَا

﴿يُعۡلِنُونَ ٦٩﴾ [1]، وأشباه ذلك وهذه أشياء امتـدح الله بها فهي له وحده ـ جلَّ ثناؤه. وأما مـا تعلمـه الحفظة فما وكلت به وهو قوله: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ١٨﴾ [2]، وقوله: ﴿كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ١٢﴾ [3]، فهـذا الـذي وكـل بـه الملائكـة الحافظون ما لفظ به وبدا من لسانه. ومـا يعلنـون ويفعلون هو مـا ظهـر بـه السـعي، ومـا أضـمرته القلوب، مما لم يظهـر علـى الجـوارح، ومـا تعتقـده القلوب فذلك يعلمه ـ جـلَّ ثنـاؤه، وكـل أعمـال القلوب ما عقد لا يجاوز الضمير فهـو مثـل ذلـك والله أعلم. وما روي في الخبر من فضل عمل السر على عمل العلانية وأن عمل السر يزيد على عمل

---

(١) سورة القصص.

(٢) سورة ق.

(٣) سورة الانفطار.

العلانية سبعين ضعفا، فذلك والله أعلم لأن من عمل لله عملاً فأسره فقد أحب أن ينفرد الله ﷻ بعلم ذلك العمل منه ومعناه: أن الله يستغني بعلم الله في عمله عن علم غيره، وإذا استغنى القلب بعلم الله أخلص العمل فيه ولم يعرج على من دونه، فإذا علم ـ جلَّ ذكره ـ بصدق قصد العبد إليه وحده وسقط عن ذكر من دونه أثبت ذلك العمل في أعمال الخالصين الصالحين المؤثرين الله على من سواه، وجازاه الله بعلمه بصدقه من الثواب سبعين ضعفا على ما عمل من لا يحل محله والله أعلم. انتهى[1].

(١) ((حليه الأولياء)): (١٠/٢٦٤، ٢٦٥).

قال العالم الربّاني الشيخ عبد القادر الجيلاني ـ ﷺ، في "الفتح الربّاني"[1]: عليك بالسكوت بين يديه (جلَّ وعلا) والخمـول والـتغمض والإطـراق والخرس، إلى أن يأتيك الإذن منه بالنطق فتنطق به لا بك فيكون نطقك دواء لأمراض القلوب، وشفاء للأسرار، وضياء للعقول. انتهى.

اللّهم اجعلني لـك شـكاراً، لـك ذكـاراً، لـك رهاباً لك مطيعاً، إليك مخبتاً، إليك أواهاً منيباً.

اللّهم؛ نوّر قلوبنا ودلها عليك، وصفِ أسرارنا وقربها منك. يا الله. آمين آمين.

ـ رابعاً: القلب الحاضر: قال تعـالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴿٣٣﴾﴾[2]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم

(١) المجلس الثالث والأربعون؛ من دروس الشيخ ـ قدس الله روحه ـ في "الفتح الرباني" (ص١٤٢).

(٢) سورة الرعد.

بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ ﴾[(١)]، وقال ـ عزَّ وجل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾[(٢)]، وقال جلَّ ثناؤه: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ ﴿٣٧﴾ ﴾[(٣)]، أي: حاضر القلب مع الله، وكأنه يراه سبحانه، ويسمع به ـ جلَّ وعلا، فإن لم يكن يراه؛ فإنه ﷻ يراه؛ كما قال ﷺ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، متفق عليه[(٤)].

وفي رواية الإمام أحمد عَن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِبَعْضِ جَسَدِي فَقَالَ: «اعْبُد اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، وَكُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»[(٥)]؛ فيكون القلب عند ذلك أهلاً لمشاهدة

(١) سورة العلق.

(٢) سورة النساء.

(٣) سورة ق.

(٤) سبق تخريجه في ص٦٥.

(٥) ((مسند احمد)): كتاب مسند المكثرين من الصحابة. باب باقي المسند السابق.

الحق وتجلياته؛ وهي حالة المراقبة، لأن المراقبة: علم العبد لاطلاع الرب سبحانه عليه واستدامته لهـذا العلم مراقبة لربه، وهذا أصل كل خير، ولا يكـاد يصل إلى هذه المرتبة إلا بعد فراغه عن المحاسبة، فإذا حاسب نفسه على ما سلف، وأصلح حاله في الوقت، ولازم طريق الحق، وأحسن بينه وبين الله مراعاة القلب، وحفظ مع الله الأنفاس راقب الله في عموم أحواله؛ فيعلم أنه سبحانه عليه رقيب ومن قلبه قريب يعلم أحواله، ويرى أفعاله، ويسمع قوله، ومن تغافل عن هذه الجملة فهو بمعزل عن بداية الوصلة، فكيف عن حقائق القربة؛ قال الشيخ عبد القادر الكَيلاني ﷺ: اليوم ترون ربكم بعيون قلوبكم، وغداً ترونه بعيون رؤوسكم. قوله ﷺ: ﴿أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ﴾،

قال النووي: "وهذا القدر من الحديث أصل عظيم من أصول الدين، وقاعدة مهمة من قواعد المسلمين، وهو عمدة الصديقين، وبغية السالكين، وكنز العارفين، ودأب الصالحين، وهو من جوامع الكلم التي أوتيها ﷺ، وقد ندب أهل التحقيق إلى مجالسة الصالحين، ليكون ذلك مانعاً من التلبس بشيء من النقائص، احتراماً لهم واستحياءً منهم، فكيف بمن لا يزال الله مطلعاً عليه في سرّه وعلانيته". اهـ[1].

وقال صاحب "فتح الملهم": وهذا من جوامع كلمه ﷺ: إذ هو شاملٌ لمقام المشاهدة، ومقام المراقبة، ويتضح لك ذلك بأن تعرف أن للعبد في عبادته ثلاثة مقامات: الأول أن يفعلها على الوجه الذي

(١) ((موسوعة فتح الملهم)): (١/٤٦١).

تسقط معه وظيفة التكليف باستيفاء الشرائط والأركان.

الثاني: أن يفعلها كذلك، وقد استغرق في بحار المكاشفة، حتى كأنه يرى الله تعالى، وهذا مقامه ﷺ، قال: ﴿وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاةِ﴾[1] لحصول الاستلذاذ بالطاعة، والراحة بالعبادة، وانسداد مسالك الالتفات إلى الغير باستيلاء أنوار الكشف عليه، وهو ثمرة امتلاء زوايا القلب من المحبوب، واشتغال السر به، ونتيجته نسيان الأحوال من المعلوم، واضمحلال الرسوم.

الثالث: أن يفعلها وقد غلب عليه أن الله تعالى يشاهده، وهذا هو مقام المراقبة، فقوله: ﴿فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ﴾ نزول عن مقام المكاشفة إلى مقام المراقبة، أي:

(١) ((سنن النسائي)): كتاب عشرة النساء . باب حب النساء، ((مسند احمد)): كتاب باقي مسند المكثرين . باب باقي المسند السابق.

أن لم تعبده وأنت من أهل الرؤية المعنوية فاعبـده، وأنت بحيث إنه يراك، وكل مـن المقامـات الثلاثـة إحسان إلا أن الإحسان الذي هو شـرط في صـحة العبادة إنما هو الأول؛ لأن الإحسان بـالآخرين مـن صفة الخواص[1].

وقال ـ جلَّ ذكره: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾[2]، أي عسى أن يكونوا أهلاً لإدامة الذكر في جميع الأحوال والأوقات ـ إلى منازل الذكر وتحقيقه؛ ومراتبه أربعة: المرتبة الأولى: ذكر اللسان وهو: عبادة شريفة، ومنه أفعال الجوارح، وأذكار السنة وغير ذلك. المرتبة

---

(١) ((موسوعة فتح الملهم)): (١/٤٥٢، ٤٥٣).

(٢) سورة آل عمران.

الثانية: ذكر القلب، ونحن بصدد الأقرب إلى الله ﷻ. المرتبة الثالثة: الحضور بالفكر وهي: المراقبة لله ﷻ. المرتبة الرابعة: ذكر الاستغراق هو: محبة ومشاهدة وهو: للوصلة والمعرفة، وهو: إدامة الحضور والذكر معاً، أو دوام الحضور والمشاهدة.

قال الحافظ العسقلاني في "الفتح": ثم الذكر يقع تارة باللسان، ويؤجر عليه الناطق، ولا يشترط استحضاره؛ لمعناه، ولكن يشترط ألا يقصد به غير معناه وإن انضاف إلى النطق الذكر بالقلب؛ فهو أكمل؛ فإن انضاف إلى ذلك استحضار معنى الذكر، وما اشتمل عليه، من تعظيم الله تعالى ـ ونفي النقائص عنه؛ ازداد كمالاً، فإن وقع ذلك في عمل صالح مهما فرض من صلاة، أو جهاد، أو غيرها؛

إزداد كمالاً، فإن صحح التوجه، وأخلص لله تعالى ـ في ذلك، فهو أبلغ الكمال[1].

قال الإمام أبو نصر السَّراج الطُّوسي في "اللمع": سمعت ابن سالم يقول، وسئل عن الذكر، فقال: "الذكر على ثلاث فذكرٌ باللسان، فذلك الحسنة بعشرة، وذكر بالقلب، فذلك الحسنة بسبعمائة، وذكر لا يوزن ثوابه، ولا يُعَدُّ، وهو الامتلاء من المحبة، والحياء من قربه"[2].

وقال ابن عطاء الله الإسكندري ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه المسمى بـ "القَصد المجرَّد في مَعرفةِ الاسمِ المفرد": وللذكر ثلاثة مقامات: ذكرٌ باللسان، وهو ذكر عامة الخلق. وذكر بالقلب، وهو ذكر

(١) ((فتح الباري)): (٢٠٩/١١).

(٢) ((اللمع)): للإمام أبي نصر عبد الله بن علي السرَّاج الطوسي: (ت٣٧٨هـ)، (ص٢٩٠)، تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود، وطه عبد الباقي سرور.

خواص المؤمنين، وذكر بالروح، وهو لخاصة الخاصة، وهو ذكر العارفين بفنائهم عن ذكرهم وشهودهم إلى ذاكرهم، ومنّته عليهم.

وقال: والذكر تختلف أنواعه وتتعدد. والمذكور واحد لا يتعدد ولا يتحدد. وأهل الذكر هم أحباب الحق من حيث اللوازم، وهو على ثلاثة أقسام: ذكرٌ جلي، وذكرٌ خفي، وذكرٌ حقيقي. فالذكر الجلي لأهل البداية وهو ذكر اللسان يصرف الشكر والثناء والحمد بتعظيم النعم والآلاء ورعي العهد، وحسنته بعشرة إلى سبعين. والذكر الباطن الخفي لأهل الولاية وهو ذكر سر القلب بالخلاص من الفترة. والبقاء مع المشاهدة بلزوم مشاهدة الحضرة [أي الإلهية]، وحسنته بسبعين إلى سبعمائة. والذكر الكامل الحقيقي لأهل النهاية، وهو ذكر الروح

بشهود الحق إلى العبد. والتخلص من شهود ذكره ببقائه بالرسم والحكم، وحسنته بسبعمائة إلى ما لانهاية له بالتضعيف لأن المشاهدة فناء لا لذة فيها والروح له ذكر الذات، والقلب له ذكر الصفات، واللسان له ذكر العادة للتعرضات، فإذا صح ذكر الروح مكث القلب عن ذكره ذلك وذكر هيبة الذات. وفيه إشارة إلى التحقيق بالفناء، وإشعار بالقرب. وإذا صح ذكر القلب سكت اللسان وفتر عن ذكره وذلك ذكر الآلاء ونعمها أثر الصفات. وفيه إشارة إلى استدعاء وجود بقية دون فناء، وإشعار تضعيف القبول. فإذا غفل القلب عن الذكر أقبل اللسان على الذكر عادة وتعرضاً.

ثم الناس في الذكر على ثلاثة أقسام: عامة مفادون، وخاصة مجتهدون، وخاصة الخاصة مهتدون.

فذكر العامة بداية للتطهير، وذكر الخاصة وسط للتقدير، وذكر خاصة الخاصة نهاية للتبصير. فذكر العامة بين نفي وإثبات، وذكر الخاصة إثبات في إثبات، وذكر خاصة الخاصة حقٌّ بحقٍ إثبات الإثبات، من غير رؤية واسعة ولا التفات.

وكيفية الذكر على ثلاثة أحوال: فذكر البداية للحياة واليقظة، وذكر التوسُّط للتنزيه والطهارة، وذكر النهاية للوصلة والمعرفة.

وللذكر ثلاث مراتب: منها ذكر الغفلة؛ وجزاؤه الطرد واللعن، وذكر الحضور؛ قرب وزيادة وفضل، وذكر الاستغراق: محبة ومشاهدة ووصل.

واعلم أن الذكر لا يخلو من ثلاثة أشياء: إما ذكر اللسان بقرع باب الملك؛ وهو كفارة ودرجات. وإما ذكر القلب بإذن مخاطبة الملك؛ وهو زلفا

وقربات. وإما ذكر الروح بمكالمة الملك ومحادثته؛ وهو حضورٌ ومشاهدة. انتهى[1].

وهذا تحقيق الذكر إلى منازل المعرفة الإلهية، من إتباع ومحبة، أو عبادة وقرب.

وأعلم أيها الأخ الصالح: أن مدارج القرب والتحقيق ثلاثة: أولاً: (من الذكر إلى تحقيقه)؛ ثانياً: (من الصلة إلى عظيم الصلة)؛ ثالثاً: (من الحب إلى فناء الحب).

واعلم جيداً: أن الحضورَ والذكر بالقلب معاً هو:ذِكْر العارفين بالله تعالى جلَّ جلاله وعمَّ نواله؛ قال مفتي الحنابلة ببغدادَ؛ الشيخ عبد القادر الجيّلاني رضي الله عنه: إذا دام القلب على ذكر الحق عز وجل جاءت إليه المعرفة والعلم والتوحيد والتوكل

(١) ((القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد)): لتاج الدين احمد بن محمد ابن عطاء الله السّكندري (ت٧٠٩هـ) (ص٧٨ ، ٨٢، ٨٤، ٨٥، ٨٦).

والإعراض عما سواه في الجملة، دوام الذكر سببٌ لدوام الخير في الدنيا والآخرة، إذا صح القلب صار الذكر دائماً فيه يُكتب في جوانبه وعلى جملته فتنام عيناه وقلبه ذاكر لربه ﷻ يرث ذلك عن نبيه ﷺ، القائل: ﴿إِنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ وَلا يَنَامُ قَلْبِي﴾[١].

وقال ﷺ: الذاكر لله ﷻ أبداً حي ينتقل من حياة إلى حياة فلا موت له سوى لحظة؛ إذا تمكن الذكر بالقلب دام ذكر العبد لله ﷻ وإن لم يذكره بلسانه، كلما دام العبد لذكر الله ﷻ دامت موافقته له ورضاه بأفعاله[٢].

---

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب الجمعة . باب قيام النبي ﷺ بالليل في رمضان وغيره، ((صحيح مسلم)): كتاب صلاة المسافرين وقصرها . باب صلاة النبي ﷺ في الليل وأن الوتر ركعة،وأن الركعة صلاة صحيحة،((سنن أبي داود)): كتاب الصلاة . باب صلاة الليل،((مسند احمد)):كتاب باقي مسند الأنصار . باب حديث السيدة عائشة، ((سنن الترمذي)):كتاب الصلاة . باب ما جاء في وصف صلاة النبي ﷺ بالليل.

(٢) ((الفتح الرباني)) للإمام الشيخ عبد القادر الكَيلاني . قدس الله سره: (ت٥٦١هـ)، (ص٢٠٦).

وقال الشيخ السيد أحمد الرفاعي ﷺ: قال أهل اللَّه ﷺ: من ذكر اللَّه فهو على نورٍ من ربه، وعلى طمأنينة من قلبه، وعلى سلامةٍ من عدوه. وقـالوا: ذكر اللَّه طعامُ الروح، والثناءُ عليه تعالى شـرابُها. والحياء منه لباسُها. وقالوا: ما تنَعم المتنعمون بمثـل انسه، ولا تلذذ المتلذذون بمثل ذكره. وجاء في بعض الكتب الإِلهية أن الله تعـالى قـال: (مـن ذكرنـي في نفسه ذكرته في نفسي. ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ. ومن ذكرني من حيث هو ذكرته من حيث أنا. ومن ذكرني من حيث هو أعطيته من حيـث أنـا)، القـوم شـغلهم ذكـره ومقصـدهم هـو. يـرون أن الحـوادث الكونيـة تقـوم بقضـائه وقـدره. فـلا

يعارضونها لا بقلب ولا بلسان ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ (١).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: (ما من مؤمن إلا وعلى قلبه شيطان، إذا ذكر الله خنس، وإذا نسي الله وسوس)(٢).

وقال ﷺ: لله ملائكة جرد مرد تحت العرش يرقصون ويذكرونه تعالى ويهتزون لذكره. هذه أرواح رقصت بالله لله. وأنت يا مسكين ترقص بنفسك لنفسك. أولئك الذاكرون، وأنت المغبون

---

(١) سورة الأعراف.

(٢) ((أضواء البيان)): لمحمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي: (ت١٣٩٣هـ)، (٩/١٨٠)، وذكر ابن كثير في "تفسيره": (٤/٥٦٧)، عن ابن عباس ومجاهد: (أن الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فإذا سها وغفل وسوس وإذا ذكر الله خنس).

وقال رسول الله ﷺ: ((إنَّ الشيطانَ واضعٌ خَطْمَهُ [أي فَمَهُ] على قلبِ ابنِ آدمَ، فَإنْ ذَكَرَ اللهَ خَنَسَ، وإن نَسِيَ الْتَقَمَ قَلْبَهُ فذلك الوسواس الخناس))، انظر ((مسند أبي يعلى)): (٧/٢٧٨)، قال المنذري في ((الترغيب والترهيب))، (٢/٤٠٠): رواه ابن أبي الدنيا وأبو يعلى والبيهقي.

المفتون. سمى القوم الهز بالذكر رقصاً إذا كـان وارد الهزة من الروح، فنسبوا الرقص للروح لا للجسم، وإلا فأين الراقصون؟ وأين الذاكرون؟ طلب هؤلاء حق. وطلب هؤلاء ضلال.

سارت مشرقة وسرت مغربا شتان بين مشرق ومغرب

الرقاصون كذابون. والذاكرون مذكورون. انتهى[1].

وقال الإمام الغزّالي ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه المسمى بـ "الأربعين في أصول الدين": واعلم: أنه قد انكشف لأرباب البصائر: أنَّ الـذكر أفضـل الأعمال. ولكن له أيضاً قشور ثلاثة، بعضها أقرب إلى اللب من بعض، وله لب وراء القشور الثلاثة. وإنما فضّل القشور لكونها طريقاً إليه. فالقشـر الأعلى منه، ذكر اللسان فقط، والثاني: القلـب إذا

(١) ((البرهان المؤيد)): للإمام الرباني السيد احمد الرفاعي. قدس الله سره: (ت٥٧٨هـ)، (ص٤٧ و ٥٧).

كان القلب يحتاج إلى موافقته حتى يحضر مع الذكر، ولـو تـرك وطبعـه لاسترسـل في أوديـة الأفكـار. والثالث: أن يستمكن الذكر من القلب ويستولي عليه، بحيث يحتاج إلى تكلف في صرفه عنه إلى غيره. كمـا احتـيج في الثـاني إلى تكلـف في قـرارِه معـه ودوامه عليه. والرابع ـ وهو اللبّاب ـ أن يستمكن المذكور من القلب، وينمحي الذكر ويخفـى، وهـو اللبّاب المطلوب. وذلك بأن لا يلتفت إلى الذكر ولا إلى القلب. بل يستغرق المذكور جملته. انتهى(١).

وقال الشيخ ابـن القـيم ـ رحمـه اللّـه تعـالى: والتذكر والتفكر منزلان يثمـران أنـواع المعـارف وحقائق الإيمان والإحسان، والعارف لا يزال يعـود بتفكره على تذكره وبتذكره على تفكره حتى يفتح

(١) ((كتاب الأربعين في أصول الدين)): للإمام الغزالي: (ت٥٠٥هـ)، (ص٤٢).

قفل قلبه بإذن الفتاح العليم؛ قال الحسن البصري: ما زال أهل العلم يعودون بالتذكر على التفكر وبالتفكر على التذكر ويناطقون القلوب حتى نطقت). انتهى[1].

ـ روى الإمام القشيري في "التحبير": أن أبا الحسين النوري بقى سبعة أيام قائماً لم يأكل ولم يشرب ولم ينم، وهو يقول: الله الله. فأُخبر الجنيد بذلك، فقال: انظروا أمحفوظةٌ عليه أوقاته أم لا؟، فقيل له: إنه يصلي الفرائض. فقال: الحمد لله الذي لم يجعل للشيطان سبيلا، ثم قال: قوموا نَزره فإما نستفيد منه أو نفيده، فدخل عليه فقال: يا أبا الحسن، ما الذي دهاك؟.

فقال: أقول: الله الله ... زيدوا عليَّ.

(١) ((مدارج السالكين)): (١/٤٤١).

فقال الجنيد: انظر هل قولك الله بالله أم بقولك أنت؟ فإن كان بالله فلست القائل له، وإن كان قولك لنفسك فأنت مع نفسك؛ فما معنى الوله والحيرة؟ فقال: نِعْمَ المؤدب أنت، وسَكنَ ولهُهُ.

واعلم: أن أسماء الله تعالى للتخلق، ومحله اللسان مع القلب، أما اسم الذات (الله) الذي لم يسمَّ به غيره تعالى؛ فإنه للتعلق دون التخلق.

واسمُ اللهِ الأعظم هو "اللهُ بالقلب".

لطيفة للخاصة: حكي أن الشبلي قال في مجلس الجنيد رضي الله عنه في ولهه: (الله) فقال له الجنيد: يا أبا بكر، الغيبة حرام. أي إذا كنت غائباً فذكر الغائب غيبة، وإن كنت حاضراً فهو ترك الحرمة[1]. قلتُ: فإن للذكر منازلاً إلى تحقيقه في مقام المعرفة الإلهية؛

---

(١) انظر: ((التحبير في التذكير، شرح أسماء الله الحسنى)): للإمام القشيري: (ص٢٣، ٢٤).

فالحضور بالفكر ـ وهي المراقبة، والمراقبة: من مقامات الأولياء ﷺ، وذكر الله بالقلب هو عبادة أولياء الله تعالى ﷺ؛ والجمع بينهما، أي: الحضور والذكر معاً في الأوقات كلِّها ـ من مقامات العارفين بالله تعالى، وإذا ما تحقق ذلك فهو سيرٌ إلى منازل الصديقية، والصديقية هي المعرفة بالله، والعبادة له تعالى.

"أي أخي"، قال الكبار ﷺ: الحضور والذكر للمنتهي، فيعمل البادئ بعمل المنتهي بهم؛ أي: إذا وجدَ المرشد الوارث؛ لقوله ﷺ: ﴿أولياء الله الذين إذا رُؤُا ذكر الله﴾[1]، فمقام "الإحسان والصحبة": هما للقرب والاحتظاظ برضى الله تعالى ورسوله ﷺ.

---

(١) قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (١٠/٨٠): رواه البزار عن شيخه علي بن حرب، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات. قال الألباني: "صحيح" أنظر حديث رقم: ٢٩٨٧ في "صحيح الجامع"، و ((السلسلة الصحيحة)): حديث رقم: ١٧٣٣.

فإلى محض الفضل والجود والكرم من الله ـ جلَّ جلالُهُ، وعمَّ نوالُهُ؛ ألا وهو "القلب الصادق".

اللَّهُمَّ؛ إني أسألُك عِلْمَ الخائفين منك، وخَوْف العالمين بك، ويقينَ المتوكِّلين عليك، وتوكُّل الموقنين بك، وإنابة المُخْبتين إليك، وإخباتَ المنيبين إليك، وشُكْرَ الصابرين لك، وصَبْرَ الشاكرين لك، ولَحاقاً بالأحياء المَرْزُوقين عِنْدَك. آمين آمين.

خامسها: القلب الصادق: كما قال الله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾﴾[1]، والصادقون: هم أهلُ الخصائص العليا ـ لأهل الإيمان والتقوى ومنازل القرب.

(١) سورة الحشر.

والصادقون، أي: الكاملون في صدقِ دعواهم الإيماني، الممتثلون بالدين الكامل، المتحملون في سبيل الله ﷻ؛ كما قال جلَّ ثناؤه: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ٢٣﴾[1]. والقلب الصادق: هو الذي جُمِعَ فيه الإخلاص ـ في العلم والتقوى والجهاد، بدين الله الإسلام ـ نيةً وقولاً وعملاً.

وقال ـ سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾[2]، أي: كونوا مثلهم في صدقهم وثباتهم؛ لما أخرج عبد الرزاق وابن أبي شيبة والبخاري ومسلم وأحمد والبيهقي من طريق الزهري قال: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، قالَ:

(١) سورة الأحزاب.

(٢) سورة التوبة.

حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، وَكَانَ قَائِدَ كَعْبٍ مِنْ بَنِيهِ حِينَ عَمِيَ، قَالَ: سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ يُحَدِّثُ حِينَ تَخَلَّفَ، عَنْ قِصَّةِ تَبُوكَ، قَالَ كَعْبٌ: لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا إِلا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ تَخَلَّفْتُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَلَمْ يُعَاتِبْ أَحَدًا تَخَلَّفَ عَنْهَا، إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُرِيدُ عِيرَ قُرَيْشٍ، حَتَّى جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ، وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ، حِينَ تَوَاثَقْنَا[1] عَلَى الإِسْلامِ، وَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهَا مَشْهَدَ بَدْرٍ، وَإِنْ كَانَتْ بَدْرٌ أَذْكَرَ[2] فِي النَّاسِ مِنْهَا.

(١) تعاهدنا وتبايعنا.

(٢) أشهر عند الناس بالفضيلة.

كَانَ مِنْ خَبَرِي: أَنِّي لَمْ أَكُنْ قَطُّ أَقْوَى وَلا أَيْسَرَ حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْهُ فِي تِلْكَ الْغَزَاةِ، وَاللَّهِ مَا اجْتَمَعَتْ عِنْدِي قَبْلَهُ رَاحِلَتَانِ قَطُّ، حَتَّى جَمَعْتُهُمَا فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ، وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُرِيدُ غَزْوَةً إِلا وَرَّى بِغَيْرِهَا، حَتَّى كَانَتْ تِلْكَ الْغَزْوَةُ، غَزَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ، وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا، وَمَفَازًا[1]، وَعَدُوًّا كَثِيرًا، فَجَلَّى[2] لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ لِيَتَأَهَّبُوا أُهْبَةَ غَزْوِهِمْ، فَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِ الَّذِي يُرِيدُ، وَالْمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَثِيرٌ، وَلا يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ، يُرِيدُ الدِّيوَانَ، قَالَ كَعْبٌ: فَمَا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ إِلا ظَنَّ أَنْ سَيَخْفَى لَهُ، مَا لَمْ يَنْزِل فِيهِ وَحْيُ اللَّهِ، وَغَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تِلْكَ الْغَزْوَةَ حِينَ طَابَتِ الثِّمَارُ وَالظِّلالُ، وَتَجَهَّزَ رَسُولُ

---

(١) البرية القفر.

(٢) الجلاء: الوضوح والظهور.

اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ، فَطَفِقْتُ[1] أَغْدُو[2] لِكَيْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُمْ، فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: أَنَا قَادِرٌ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَزَل يَتَمَادَى بِي[3] حَتَّى اشْتَدَّ بِالنَّاسِ الْجِدُّ، فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ، وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جَهَازِي شَيْئًا، فَقُلْتُ: أَتَجَهَّزُ بَعْدَهُ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ ثُمَّ أَلْحَقُهُمْ، فَغَدَوْتُ بَعْدَ أَنْ فَصَلُوا لأَتَجَهَّزَ، فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، ثُمَّ غَدَوْتُ ثُمَّ رَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، فَلَمْ يَزَلْ بِي حَتَّى أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ[4] الْغَزْوُ، وَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَحِلَ فَأُدْرِكَهُمْ، وَلَيْتَنِي فَعَلْتُ، فَلَمْ يُقَدَّرْ لِي ذَلِكَ، فَكُنْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَطُفْتُ فِيهِمْ، أَحْزَنَنِي أَنِّي لا أَرَى إِلا رَجُلاً

---

(١) طفق: شرع وبدأ.

(٢) الغدو: الخروج أول النهار.

(٣) يستمر بي التسويف والكسل.

(٤) تقدم الغزاة وسبقوا.

مَغْمُوصًا[١] عَلَيْهِ النِّفَاقُ أَوْ رَجُلاً مِمَّنْ عَذَرَ اللَّهُ مِنْ الضُّعَفَاءِ، وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ حَتَّـى بَلَـغَ تَبُوكَ، فَقَالَ، وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتَبُوكَ: «مَا فَعَلَ كَعْبُ؟»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ: يَا رَسُولَ اللَّـهِ، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ[٢] وَنَظَرُهُ فِي عِطْفِيهِ[٣]. فَقَالَ مُعَـاذُ بْـنُ جَبَلٍ: بِئْسَ مَا قُلْتَ، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلِمْنَـا عَلَيْهِ إِلا خَيْرًا. فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ: فَلَمَّـا بَلَغَنِـي أَنَّـهُ تَوَجَّـهَ قَافِلاً[٤]، حَضَرَنِي هَمِّي، فَطَفِقْـتُ أَتَـذَكَّرُ الْكَـذِبَ وَأَقُولُ: بِمَاذَا أَخْـرُجُ مِـنْ سَخَطِهِ غَـدًا، وَاسْـتَعَنْتُ عَلَى ذَلِكَ بِكُلِّ ذِي رَأْيٍ مِن أَهْلِي، فَلَمَّـا قِيـلَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَـدْ أَظَـلَّ قَادِمًـا زَاحَ عَنِّـي الْبَاطِـلُ،

---

(١) مطعونا في دينه، متهماً بالنفاق.

(٢) البُردَ: رداء يلبس فوق الثياب.

(٣) عطفيه: جانبيه، والمراد إعجابه بنفسه ولباسه.

(٤) القفول: الرجوع.

وَعَرَفْتُ أَنِّي لَنْ أَخْرُجَ مِنْهُ أَبَدًا بِشَيْءٍ فِيهِ كَذِبٌ، فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ، وَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَادِمًا، وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَيَرْكَعُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ، فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ وَيَحْلِفُونَ لَهُ، وَكَانُوا بِضْعَةً وَثَمَانِينَ رَجُلاً، فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلانِيَتَهُمْ، وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ، فَجِئْتُهُ، فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ، ثُمَّ قَالَ: «تَعَالَ» فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لِي: «مَا خَلَّفَكَ أَلَمْ تَكُنْ قَدْ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ؟» فَقُلْتُ: بَلَى - إِنِّي وَاللَّهِ - لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِن أَهْلِ الدُّنْيَا، لَرَأَيْتُ أَنْ سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلاً[1]، وَلَكِنِّي وَاللَّهِ، لَقَدْ

---

(١) جدلاً: براعة وقوة في المنطق والكلام.

عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي، لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ، وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ[1] عَلَيَّ فِيهِ، إِنِّي لأَرْجُو فِيهِ عَفْوَ اللَّهِ، لا وَاللَّهِ، مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ، وَاللَّهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى وَلا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ﴾،فَقُمْتُ، وَثَارَ[2] رِجَالٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ فَاتَّبَعُونِي، فَقَالُوا لِي: وَاللَّهِ مَا عَلِمْنَاكَ كُنْتَ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا، وَلَقَدْ عَجَزْتَ أَنْ لا تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَا اعْتَذَرَ إِلَيْهِ الْمُتَخَلِّفُونَ، قَدْ كَانَ كَافِيَكَ ذَنْبَكَ اسْتِغْفَارُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَكَ. فَوَاللَّهِ مَا زَالُوا يُؤَنِّبُونِي حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ فَأُكَذِّبَ نَفْسِي، ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ: هَلْ لَقِيَ هَذَا مَعِي

(١) الوجد: الحزن، وقيل الغضب.

(٢) ثار: غضب.

أَحَدٌ؟ قَالُوا: نَعَمْ، رَجُلانِ قَالا مِثْلَ مَا قُلْتَ، فَقِيلَ لَهُمَا مِثْلُ مَا قِيلَ لَكَ، فَقُلْتُ: مَنْ هُمَا؟ قَالُوا: مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ الْعَمْرِيُّ، وَهِلالُ بْنُ أُمَيَّةَ الْوَاقِفِيُّ، فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ، قَدْ شَهِدَا بَدْرًا، فِيهِمَا أُسْوَةٌ، فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي.

وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلامِنَا أَيُّهَا الثَّلاثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ، فَاجْتَنَبَنَا النَّاسُ وَتَغَيَّرُوا لَنَا، حَتَّى تَنَكَّرَتْ فِي نَفْسِي الأَرْضُ فَمَا هِيَ الَّتِي أَعْرِفُ، فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً.

فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكَانَا وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا يَبْكِيَانِ، وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلاةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَطُوفُ فِي الأَسْوَاقِ وَلا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ، وَآتِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلاةِ، فَأَقُولُ فِي

نَفْسِي هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلامِ عَلَيَّ أَمْ لا؟ ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيبًا مِنْهُ، فَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلاتِي أَقْبَلَ إِلَيَّ، وَإِذَا الْتَفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي، حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَيَّ ذَلِكَ مِنْ جَفْوَةِ النَّاسِ، مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ[1] جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَوَاللَّهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلامَ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا قَتَادَةَ، أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ[2] هَلْ تَعْلَمُنِي أُحِبّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ؟ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ، فَسَكَتَ، فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ، فَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَفَاضَتْ عَيْنَايَ، وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ الْجِدَارَ.

قَالَ: فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي بِسُوقِ الْمَدِينَةِ، إِذَا نَبَطِيٌّ مِن أَنْبَاطِ أَهْلِ الشَّأْمِ، مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ

---

(١) تسور: علا وصعد السور.

(٢) أنشده بالله: سأله وأقسم عليه.

بِالْمَدِينَةِ، يَقُولُ: مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ؟ فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ، حَتَّى إِذَا جَاءَنِي دَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ، فَإِذَا فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ، وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللَّهُ بِدَارِ هَوَانٍ وَلا مَضْيَعَةٍ، فَالْحَقْ بِنَا نُوَاسِكَ. فَقُلْتُ لَمَّا قَرَأْتُهَا: وَهَذَا أَيْضًا مِن الْبَلاءِ، فَتَيَمَّمْتُ(١) بِهَا التَّنُّورَ فَسَجَرْتُهُ بِهَا.

حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً مِن الْخَمْسِينَ، إِذَا رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَأْتِينِي فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزِلَ امْرَأَتَكَ، فَقُلْتُ: أُطَلِّقُهَا أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ؟ قَالَ: لا، بَلْ اعْتَزِلْهَا وَلا تَقْرَبْهَا، وَأَرْسَلَ إِلَى صَاحِبَيَّ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقُلْتُ لامْرَأَتِي: الْحَقِي بِأَهْلِكِ، فَتَكُونِي عِنْدَهُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِي هَذَا الأَمْرِ.

---

(١) يمم: قصد واتجه.

قَالَ كَعْبٌ: فَجَاءَتِ امْرَأَةُ هِلالِ بْنِ أُمَيَّةَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هِلالَ بْنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ[1] لَيسَ لَهُ خَادِمٌ، فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدُمَهُ؟ قَالَ: «لا، وَلَكِنْ لا يَقْرَبْكِ». قَالَتْ: إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا بِهِ حَرَكَةٌ إِلَى شَيْءٍ، وَاللَّهِ مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا.

فَقَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي: لَوْ اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي امْرَأَتِكَ، كَمَا أَذِنَ لامْرَأَةِ هِلالِ بْنِ أُمَيَّةَ أَنْ تَخْدُمَهُ؟ فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لا أَسْتَأْذِنُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَمَا يُدْرِينِي مَا يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اسْتَأْذَنْتُهُ فِيهَا، وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ؟.

فَلَبِثْتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ، حَتَّى كَمَلَتْ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ

(١) ضائع: فقير ذو عيال.

كَلامِنَا، فَلَمَّا صَلَّيْتُ صَلاةَ الْفَجْرِ صُبْحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، وَأَنَا عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ، قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي، وَضَاقَتْ عَلَيَّ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ، أَوْفَى[1] عَلَى جَبَلِ سَلْعٍ، بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا كَعْبُ بْنَ مَالِكٍ أَبْشِرْ، قَالَ: فَخَرَرْتُ سَاجِداً، وَعَرَفْتُ أَنْ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ، وَآذَنَ[2] رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلاةَ الْفَجْرِ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا، وَذَهَبَ قِبَلَ صَاحِبَيَّ مُبَشِّرُونَ، وَرَكَّضَ إِلَيَّ رَجُلٌ فَرَساً، وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ، فَأَوْفَى عَلَى الْجَبَلِ، وَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الْفَرَسِ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي

---

(١) أوفى: صعد وارتفع.

(٢) آذن: اعلم وأخبر.

نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ، فَكَسَوْتُهُ إِيَّاهُمَا بِبُشْرَاهُ[1]، وَاللَّهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ، وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا، وَانْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَيَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا، يُهَنُّونِي بِالتَّوْبَةِ، يَقُولُونَ: لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ، قَالَ كَعْبٌ: حَتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ، فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ يُهَرْوِلُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّانِي،

---

(١) لمَّا كان من سُنَّةِ المُبَشِّر أن يُعْطَى له شيئاً، كَسَى كعب ثوبيه من كان بشَّرَهُ بقَبول توبته. ومن هذا الباب: ما جرى بين الشافعيِّ، وأحمد، فإن الشافعيَّ سافر من الحجاز مرتين: مرَّة إلى محمد بن الحسن، ومرَّة إلى الإمام أحمد، فلمَّا قَفَلَ إلى مصر رأى رؤيا: أن النبيَّ ﷺ يقول: بشِّر أحمدَ على بلوى تُصِيبُهُ، فقال لأصحابه: من يقوم منكم بهذا الأمر؟ قال له المُزَنيّ وهو خالُ الطحاويِّ: أنا. فلمَّا بلغَ أحمد، وبشَّره به، بكى، وقال: لعلَّ النبيَّ ﷺ اسْتَشْعَرَ بي ضعفاً وخشوعاً، ثم نَزَع قميصه وأعطاه. فلمّا رَجَعَ المُزَنيّ إلى الشافعيِّ، وقص عليه أمره، سأله أنه هل أعطاه شيئاً؟ قال: نعم، هذا قميصه. قال له الشافعيُّ: إني لا أُجْهِدُكَ اليوم، ولا أقول: أن تسمح لي بقميصه. ولكن أرجو منك أن تَبُلَّهُ في الماء، ثم تَعْصره، فتعطيني عُصارتَهُ، ففعله. فلمَّا جاءه بالماء المطلوب شَرِبَ بعضه، ومسح ببعضه. فهذا شأن الأئمة، وهداه الدين فيما بينهم رحمهم الله تعالى. انظر: ((فيض الباري)): للكشميري (١٧٢/٦، ١٧١).

وَاللَّهِ مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِـنَ الْمُهَـاجِرِينَ غَيْـرَهُ، وَلا أَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ.

قَالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُـولِ اللَّـهِ ﷺ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنْ السُّـرُورِ: «أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ»، قَـالَ: قُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمْ مِـنْ عِنْـدِ اللَّـهِ؟ قَالَ: «لا، بَلْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ»، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ، فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْـتُ: يَـا رَسُـولَ اللَّهِ، إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَـى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِ اللَّهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قُلْتُ: فَإِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي بِخَيْبَرَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا نَجَّانِي بِالصِّدْقِ، وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لا أُحَـدِّثَ

إلا صِدْقًا مَا بَقِيتُ. فَوَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنْ الْمُسْلِمِينَ أَبْلاهُ[1] اللَّهُ فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلانِي، مَا تَعَمَّدْتُ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى يَوْمِي هَذَا كَذِبًا، وَإِنِّي لأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللَّهُ فِيمَا بَقِيتُ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ ﴿١١٧﴾﴾[2] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾[3]، فَوَاللَّهِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ

---

(١) أبلاه: أنعم عليه.

(٢) سورة التوبة. واختلف العلماء في هذه التوبة التي تابها الله على النبي ﷺ والمهاجرين والأنصار على أقوال فقال ابن عباس: كانت التوبة على النبي ﷺ لأجل إذنه للمنافقين في القعود دليله قوله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة التوبة] وعلى المؤمنين من ميل قلوب بعضهم إلى التخلف عنه وقيل: توبة الله عليهم استنقاذهم من شدة العسرة وقيل: خلاصهم من نكاية العدو وعبر عن ذلك بالتوبة وإن خرج عن عرفها لوجود معنى التوبة فيه وهو الرجوع إلى الحالة الأولى وقال أهل المعاني: إنما ذكر النبي ﷺ في التوبة لأنه لما كان سبب توبتهم ذكر معهم، للتبرك كقوله: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ ﴿٤١﴾﴾ [سورة الأنفال].

(٣) سورة التوبة.

نِعْمَةٍ قَطُّ، بَعْدَ أَنْ هَدَانِي لِلإِسْلامِ، أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنْ لا أَكُونَ كَذَبْتُهُ فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا، فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوا ـ حِينَ أَنْزَلَ الْوَحْيَ ـ شَرَّ مَا قَالَ لأَحَدٍ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ ﴿٩٥﴾﴾ [1] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [2] قَالَ كَعْبٌ: وَكُنَّا تَخَلَّفْنَا أَيُّهَا الثَّلاثَةُ عَن أَمْرِ أُولَئِكَ الَّذِينَ قَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ حَلَفُوا لَهُ، فَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَأَرْجَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمْرَنَا حَتَّى قَضَى اللَّهُ فِيهِ، فَبِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ ﴿١١٨﴾﴾ [3]، وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ مِمَّا خُلِّفْنَا عَن الْغَزْوِ، إِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ

(١) سورة التوبة.

(٢) سورة التوبة.

(٣) سورة التوبة.

إِيَّانَا، وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا، عَمَّنْ حَلَفَ لَـهُ وَاعْتَـذَرَ إِلَيْـهِ فَقَبِلَ مِنْهُ)[1].

وقـال تعـالى: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾[2]، وفي قراءة: ﴿وَكُونُواْ من ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، لما أخـرج ابـن الأنباري، عن ابن عباس والبيهقي عن ابن مسعود هكذا قرئا[3].

والصديقون هم: الذين يتأخرون على الأنبياء عليهم السّلام ـ في المعرفة، وقدجاءت مرتبتهم بعد الأنبياء؛ كما قال ـ جلّـتْ عظمتـه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب المغازي . باب حديث كعب بن مالك، وقول الله ﷻ: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ ١١٨﴾ [سورة التوبة]. ((صحيح مسلم)): كتاب التوبة . باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، ((مسند احمد)): كتاب مسند المكيين . باب حديث كعب بن مالك الأنصاري،(سنن البيهقي الكبرى)): (٩/٣٥).

(٢) سورة التوبة.

(٣) ((تفسير الطبري)): (١١/٦٣)، و ((روح المعاني)): (١١/٤٥).

﴿وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾[1]،

ذكر الله سبحانه للذين أنعم الله عليهم أربعة أصناف على ترتيب منازلهم في القرب، وحثّ كافة الناس أن لا يتأخروا عنهم: أوّل الأصناف الأنبياء عليهم السّلام ـ الذين مبادي تعيناتهم صفات الله تعالى ـ وهم المستغرقون بالتجليات الذاتية الصرفة الدائمية بلا حجاب الصفات المعبر عنها بكمالات النبوة الفائزون الراسخون في هذا المقام بالأصالة، المبعوثون لتكميل الخلائق، وجذبهم إلى مراتب القرب على حسب استعداد أفراد الأمة وكسبهم، وحسب مشيئة الله تعالى ـ المبلّغون من الله تعالى أحكامه إلى الناس ما يصلح دنياهم وآخرتهم،

---

(١) سورة النساء.

وثانيهم: الصدّيقون وهم المبالغون في الصدق المتصفون بكمال متابعة الأنبياء ظاهراً وباطناً، المستغرقون في كمالات النبوة والتجلّيات الذاتية الصرفة الدائمية بلا حجاب بالوراثة والتبعية، وثالثهم: الشهداء الباذلون أنفسهم في سبيل الله ليفاض عليهم نوعاً من التجلّيات الذاتية بسبب بذلهم ذواتهم في سبيل الله، ورابعهم: الصالحون الذين أصلحوا أنفسهم بإزالة الرذائل، وقلوبهم بشرب بحار الحبّ، ودوام الذكر المانع عن الاشتغال بغير الله سبحانه، وأبدانهم عن المعاصي فصلحوا لتجلّيات الظِلال والأفعال بعد حصول الفناء والبقاء على الكمال، وتحصلوا من التجلّيات الذاتية إن شاء الله تعالى ولو من وراء حجب الصّفات، وهم الذين سموا بلسان القوم بالأولياء،

ووعد الله سبحانه سائر المؤمنين بعد دخـول الجنـة معيــتهم وزيــادتهم علـــى قـــدر مـــا أطــاعوا الله

وقال الإمام الآلوسي: والثاني منازل الصديقين وهم الذين يتأخرون على الأنبياء عليهم السّلام في المعرفة، ومثلهم كمن يرى الشيء عياناً من بعيـد، وإياه عنى علي كرم الله تعالى وجهه حيث قيل لـه: هل رأيت الله تعالى؟ فقال: ما كنت لأعبد رباً لم أره، ثم قال: لم تره العيون بشواهد العيان ولكن رأتـه القلوب بحقائق الإيمان. انتهى[٢].

واعلـم أيهـا الأخ: أن الصـدق مـن صـفات الكمال أي: الكمـال النسـبي، أو كمـال الأحـوال والمقامات. "ولله الكمال المطلق"؛ كما قال رسـول

---

(١) ((تفسير المظهري)): للقاضي محمد ثناء الله العثماني الحنفي المظهري النقشبندي (ت١١٢٥هـ)، (٢/٣٧٦، ٣٧٧).

(٢) ((روح المعاني)): (٥/٧٦).

الله ﷺ: ﴿كَمَلَ مِن الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِن النِّسَاءِ إلا آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِد وفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمّدٍ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ﴾[1]، رواه البخاري ومسلم والترمذي، وفي روايةِ الإمام احمد وغيره، عن ابن عباس، قال: قال ـ عليه الصّلاة والسّلام: ﴿أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَآسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ أَجْمَعِينَ﴾[2].

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب أحاديث الأنبياء . باب قول الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ ﴿١١﴾﴾ [سورة التحريم]. ((صحيح مسلم)): كتاب فضائل الصحابة . باب فضل خديجة أم المؤمنين، ((سنن الترمذي)): كتاب الأطعمة . باب ما جاء في فضل الثريد.

(٢) ((مسند احمد)): كتاب مسند بني هاشم . باب مسند عبد الله بن العباس.

وأخرج الحافظ ابن عساكر عن مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس عن النَّبيِّ ﷺ قال: ﴿أربع نسوة سادات نساء عالمهن؛ مريمُ بنت عمران، وآسيةُ بنت مزاحم، وخديجةُ بنت خويلد، وفاطمةُ بنت محمّدٍ؛ وأفضلهُنَّ عالماً فاطمة﴾[1].

وقال الإمام السبكي: (والذي ندين الله به أن فاطمة أفضل، ثم خديجة، ثم عائشة. والخلاف شهير، ولكن الحق أحق أن يتبع)[2].

ولقد ذهب العلماء في تقسيم الصدق إلى مذاهب شتى، فمنهم من أسهب في التفصيل والتفريع، ومنهم من سلك مسلك الاستيعاب والإيجاز.

(١) أنظر ((تاريخ مدينة دمشق)): لابن عساكر: (١٠٨/٧٠)، و ((روح المعاني)): (١٥٥/٣)، و((فتح القدير)): (٣٤٠/١)، وقال الهندي في ((كنز العمال)) (٦٦/١٢): رواه البيهقي عن ابن عباس. رضي الله عنهما.

(٢) ((فتح الملهم)): (١١٠/١١).

قــال الإمــام الجرجــاني ﷺ في "التعريفــات":

الصدق لغةً: مطابقة الحكم للواقع، وفي اصـطلاح أهل الحقيقة: قول الحق في مواطن الهلاك. وقيل: أن تصلق في موضع لا ينجيك منـه إلا الكـذب. قـال القشيري: الصدق أن لا يكون في أحوالك شـوبٌ، ولا في اعتقادك ريبٌ، ولا في أعمالك عيبٌ، وقيل: الصدق ضد الكذب، وهـو الابانـة عمـا يخـبر بـه على ما كان.

والصديق: هو الذي لم يـدع شـيئاً ممـا أظهـره باللسان إلا حققه بقلبه وعمله. انتهى[1].

قال الإمام الغزالي ﷺ: اعلم أن لفظ الصدق يستعمل في ستة معان: صدق في القول، وصـلق في النية والإرادة، وصدق في العزم، وصـدق في الوفـاء

(١) ((التعريفات)): للشريف الجرجاني (ص١٣٢).

بالعزم، وصدق في العمل، وصدق في تحقيق مقامات الدين كلها، فمن اتصف بالصدق في جميـع ذلـك فهو صدّيق لأنه مبالغة في الصدق.

ثم هم أيضاً على درجات فمن كان له حظ في الصدق في شيء من الجملة فهو صادق بالاضافة إلى ما فيه صدقه.

الصدق الأول: صدق اللسان وذلـك لا يكـون إلا في الاخبار، وفيه يدخل الوفاء بالوعد والحلـف فيه. وحق على كل عبد أن يحفظ ألفاظه فلا يتكلم إلا بالصدق.

والثاني: صدق في النية والإرادة، ويرجع ذلـك إلى الإخـلاص، وهـو: أن لا يكـون لـه باعـث في الحركات والسكنات إلا الله تعالى.

فيرجع أحد معاني الصدق إلى خلوص النية وهو الإخلاص، فكل صادق فلا بدّ وأن يكون مخلصا.

والثالث: صدق العزم على العمل لله تعالى.

والرابع: صدق الوفاء بالعزم بتذليل العقبات والوفاء بالعهد.

والخامس: صدق في الأعمال، وهو أن يجتهد حتى لا تدل أعماله الظاهرة على أمر في باطنه لا يتصف هو به لا بأن يترك الأعمال ولكن بأن يستجرّ الباطن إلى تصديق الظاهر لقول رسول الله ﷺ: ﴿اللهم اجْعَلْ سَرِيرَتِي خَيْرًا من عَلانِيَتِي وَاجْعَلْ عَلانِيَتِي صَالِحَةً﴾[١].

(١) ((سنن الترمذي)): كتاب الدعوات . باب في دعاء يوم عرفة. وقال في ((نوادر الأصول))، (٢/٨٠): العلانية الصالحة: مرضاة الله تعالى من الائتمار بأمر الله تعالى و التناهي عن نهيه، والسريرة التي هي خير من العلانية: تعظيم أمره ونهيه=

السادس: وهو أعلى الدرجات وأعزها الصدق في مقامات الدين ـ كالصدق في الخوف والرجاء، والتعظيم والزهد، والرضا والتوكل والحب وسائر هذه الأمور. فإن هذه الأمور لها مباد ينطلق الاسم بظهورها، ثم لها غايات وحقائق والصادق المحقق من نال حقيقتها، وإذا غلب الشيء وتمت حقيقته سمى صاحبه صادقاً فيه. انتهى[1].

قال القاضي زكريا الأنصاري ﷺ: (الصدق في الحكم المطابق للواقع، ومحله اللسان والقلب والأفعال وكل منها يحتاج إلى وصف يخصه، فهو في اللسان: الاخبار عن الشيء على ما هو عليه، وفي

=والوقوف عند حكمه، وترك الاختيار في جميع أحواله وموافقته في مشيئته حتى ما يحب إلا ما يحب، ولا يكره إلا ما يكره، و لا يريد إلا ما يريد.

(١) ((إحياء علوم الدين)): (٤/٣٨٨-٣٨٩). ثم شرح الإمام رحمه الله هذه الأقسام كلّها ببسط، فراجعه للتفصيل.

القلب: العزم الأكيد. وفي الأفعـال: إيقاعهـا علـى وجه النشاط والجد. وسببه الوثوق بخبر المتصف به. وثمرته: مدحُ الله، والخلق للمتصف به). انتهى[1].

إذن: كونوا مثلهم، أي في صدقهم وتوبتهم.

وكونوا من الصادقين: الذين صـدقوا مـع الله تبارك وتعالى ـ بإتباع دينه الحنيف، والحبّ الخالص لوجهـه الكـريم، وإخـلاص الـدعوة ـ بالحكمـة والموعظـة الحسـنة لهـذه الأمـة المرحومـة، بالهمـة والتحمل في سبيل الله تعالى.

ـ أما كونوا مع الصادقين، فمن معانيها: كونوا مع العالم الـولي المرشـد، ومـا يسـمى "بـالوارث المحمدي": كما قال تعـالى: ﴿وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ

---

(١) ((شرح الرسالة القشيرية)): للقاضي زكريا بن محمد بن احمد بن زكريا الأنصاري: (ت٩٢٦هـ)، (١٣٧/٣).

﴿وَلِيًّا مُّرْشِدًا ١٧﴾ [1]؛ فالأولياء المرشدون هم الورّاث الكاملون للأنبياء ـ عليهم السّلام، فهم على عظيم الإتباع التبعي والصفتي، أو بالتبعية والوراثة؛ كما قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ٢١﴾ [2]، فيكـــون المرشد الكامل له الأسوة الحسنة برسول الله ﷺ، في العلم، والعبادة، والأدب، والمحبة، والشفقة على هذه الأمة المرحومـة، داعيـاً إلى الله بالحكمـة والموعظـة الحسنة، وله قوة التأثير الروحي الإسلامي في تربية المسلم وترقيه: كما قـال الله تعـالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ

(١) سورة الكهف.

(٢) سورة الأحزاب.

﴿مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤﴾ [1]، و﴿مَنَّ﴾ في الآية، أي: مَنَحَ وهي: المُنحة النبوية المؤثرة في القلوب، وهي من معجزاته عليه السلام، فقد صرح تعالى بأنه قد أنعم على النّبيِّ محمّدٍ ﷺ، مُنْحَة التصرف في القلوب؛ فبنور قلبه يتصرف بأذن الله تعالى ـ في قلوب الناس فيجعله ذاكراً، والنفس زاكيةً، أو رذائلها خافضة؛ وكان يحصل لأصحابه ـ صلوات ربي عليه وعليهم أجمعين ـ في حضوره ﷺ، من الأنوار والتجلّيات الإلهية ما شاء الله ربُّ العالمين؛ كما وقع لحنظلة رضي الله عنه قال: لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ. قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ

---

(١) سورة آل عمران.

وَالْجَنَّةِ. حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ[1]، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، عَافَسْنَا[2] الأَزْوَاجَ وَالأَوْلادَ وَالضَّيْعَاتِ[3]. فَنَسِينَا كَثِيرًا. قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللَّهِ، إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ. يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَمَا ذَاكَ؟»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَكُونُ عِنْدَكَ. تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ، عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلادَ وَالضَّيْعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا. فَقَالَ

(١) (رأيُ عين) قال في ((فتح الملهم)): قال القاضي: ضبطناه بالضم، أي: كأنّا بحال من يراها بعينه. ويصح النصب على المصدر، أي: يراها رأي عين والحاصل أنّنا نستحضر الجنة والنّار نراها بأعيننا.

(٢) المعافسة: المعالجة والمخالطة، يعني أنهم إذا خرجوا من عند رسول الله ﷺ اشتغلوا بالأزواج والأولاد والضيعات، وتركوا تلك الحالة الشريفة التي كانوا عليها بمحضر من رسول الله ﷺ وفقدوا ذلك الاستحضار. وظنّ حنظلة ﷺ أن هذا الفرق بين الحالتين شعبة من النفاق.

(٣) الضيعات: جمع ضَيْعة، بفتح الضاد، وهي العقار والأرض كما في "القاموس"، وربما تستعار لمعاش الرجل من مال أو حرفة أو صناعة.

رَسُــولُ اللَّــهِﷺ: ﴿وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي[1]، وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمْ الْمَلائِكَةُ[2] عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ. وَلَكِنْ، يَا حَنْظَلَةُ، سَاعَةً وَسَاعَةً﴾، ثَلاثَ مَرَّاتٍ. رواه مسلم وأحمد والترمذي، وفي روايةٍ لهم: ﴿لَوْ تَدُومُونَ عَلَى الْحَالِ الَّذِي تَقُومُونَ بِهَا مِنْ عِنْدِي لَصَافَحَتْكُمْ الْمَلائِكَةُ فِي مَجَالِسِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ وَعَلَى فُرُشِكُمْ وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ، سَاعَةً وَسَاعَةً وَسَاعَةً﴾[3]، وفي رواية

---

(١) قال المناوي في ((التيسير بشرح الجامع الصغير))، (٢/٣٠٥، ٣٠٦): معناه لو أنكم في معاشكم وأحوالكم كحالتكم عندي لأظلتكم الملائكة؛ لأن حالة كونكم عندي حالة مواجيد، وكان الذي يجدونه معه خلاف المعهود إذا رأوا المال والأهل، ومعه يرون سلطان الحق.

(٢) أي: مصافحة معاينة وإلا فالملائكة يصافحون أهل الذكر، وذلك لأن حالتهم عنده حالة خشية من الله خص الطرق لأنها محل الغفلات؛ فإذا صافحتهم فيها ففي غيرها أولى، قال الكمال بن أبي شريف: وأشار بذلك إلى التفاوت باعتبار اعتراض الغفلات فنبه على أن الغفلة تختلسهم في غيبتهم عنه وتتحاماهم بحضرته. انتهى.

(٣) ((صحيح مسلم)): كتاب التوبة . باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة، والمراقبة، وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات، والاشتغال بالدنيا، ((مسند احمد)): أول مسند الكوفيين . باب بقية حديث حنظلة الكاتب، ((سنن الترمذي)): كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وقال: حديث حسن صحيح.

مسلم: ﴿يا حَنْظَلَةُ، سَاعَةً وَسَاعَةً. وَلَوْ كانت تَكُونُ قُلُوبُكُمْ كما تَكُونُ عِنْدَ الذِّكْرِ. لَصَافَحَتْكُم الْمَلائِكَةُ. حتى تُسَلِّمَ عَلَيْكُمْ في الطُّرُقِ﴾[١].

ـ ولما وقع لقلوب الصحابة بعد انتقال الرسول الأعظم ﷺ إلى الرفيق الأعلى، قال أنس: (لَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ أَضَاءَ مِن الْمَدِينَةِ كُلُّ شَيْءٍ فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَظْلَمَ مِن الْمَدِينَةِ كُلُّ شَيْءٍ وَمَا فَرَغْنَا مِنْ دَفْنِهِ حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا). رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه[٢].

(١) ((صحيح مسلم)): كتاب التوبة . باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة، والمراقبة، وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات، والاشتغال بالدنيا.

(٢) ((مسند احمد)): كتاب باقي مسند المكثرين . باب باقي المسند السابق، ((سنن الترمذي)): كتاب المناقب . باب في فضل النبي ﷺ، ((سنن ابن ماجه)): كتاب ما جاء في الجنائز . باب ذكر وفاته ودفنه ﷺ.

قال في "تحفة الأحوذي": قال التوربشتي؛ يريد أنهم لم يجدوا قلوبهم على ما كانت عليه من الصفاء والألفة لانقطاع مادة الوحي وفقدان ما كان يمدهم من الرسول ﷺ من التأييد والتعليم ولم يرد أنهم لم يجدوها على ما كانت عليه من التصديق. انتهى. وقال في "اللمعات": لم يرد عدم التصديق الإيماني بل هو كناية عن عدم وجدان النورانية والصفاء الذي كان حاصلاً من مشاهدته وحضوره ﷺ لتفاوت حال الحضور والغيبة. انتهى[1].

فالمُنحة: هي أن كل من رأى النّبيّ ﷺ دون إنكار؛ أو تخيله في غيابه يصير قلبه ذاكراً، ورذائله النفسانية خافضه؛ كما أشار سبحانه بقوله: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ أي: يُطهر نفوسهم من الرذائل

---

(١) ((تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي)): لأبي العلا محمد عبد الرحمن ابن عبد الرحيم المباركفوُري: (ت١٣٥٣هـ)، (١٠/٦٣).

بالتصرف القلبي الممنوح إليه من ربه ﷻ هذا التصرف ممنوح إليه أصالةً؛ وهي البعثة الأصلية، وهذا التصرف القلبي يمنحه الله بلطفه إلى بعض خواص أمته بتبعيته ﷺ وتسمى بعثةً تبعيةً ونيابية؛ وأشار الحق جلَّ وعلا ـ إلى ذلك بقوله: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴿١٠٨﴾﴾[1]، وقال جلَّ ذكره: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴿١٥﴾﴾[2]، وقال جلَّ شأنه: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَاۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾[3]، وقال عليه الصّلاة والسّلام: «إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ

(١) سورة يوسف.

(٢) سورة لقمان.

(٣) سورة فاطر.

الأَنْبِيَـاءِ وَإِنَّ الأَنْبِيَـاءَ لـم يُوَرِّثُـوا دِينَـارًا ولا دِرْهَمًـا وَرَّثُـوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»[1].

أيها الأخ الحبيب: إن الصحبة مـع أحبـاب الله الصادقين هي: أقرب الطرق إلى الله ﷻ؛ في العلـم والتربية التي تتعافَ منها ـ كمرض الغرور والكبر والرياء وغير ذلك، وتأخـذ مـن بركـات أحـوالهم وسمت العلماء وآدابهم وأحوالهم التي اقتبسوها من نبيهم ﷺ، فهم الوارثون الذين ينقلون إلى النـاس الدين الحنيف ـ ممثلاً في سلوكهم، حياً في أحوالهم، واضـحاً في حركـاتهم وسـكناتهم؛ وبالْمُنْحَـة الـتي أكرمها الله تعالى ـ لنبيهم ﷺ، كرامةً لهم ﭫ؛ لقوله

---

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب العلم . باب العلم قبل القول والعمل (٣٧/١)، وأخرجه أيضاً الأمام البخاري في ((التاريخ الكبير))بطرق متعددة؛((سنن أبي داود)):كتاب العلم ـ باب الحث على طلب العلم: (٣٤١/٢)، ((سنن الترمذي)):كتاب العلم . باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة: (٤٨/٥)، ((صحيح ابن حبان)): (٢٨٩/١).

ﷺ: ﴿خِيَارُكُمُ الَّذِينَ إِذَا رُؤُا، ذُكِرَ اللَّهُ ﷻ ﴾[1]، ولقوله ﷺ: ﴿أفضلكم الذين إذا رُؤُا، ذكر الله تعالى لرؤيتهم﴾[2]، ولقوله ﷺ: ﴿أولياءُ الله الذين إذا رُؤُا ذُكر الله﴾[3]، وفي روايةٍ: ﴿أولياءُ الله هم الذين يُذكر الله لرؤيتهم﴾[4]، وعن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما: قيل: يا رسول الله، أي جلسائنا خير؟ قال: ﴿من ذكركم الله رؤيته، وزاد في علمكم منطقه، وذكركم

---

(١) ((شعب الإيمان)): (٢٧٩/٥).

(٢) ((سنن ابن ماجه)): كتاب الزهد . باب من لايؤبه له، وفي ((مسند احمد)): كتاب من مسند القبائل . باب من حديث أسماء ابنة يزيد، والبخاري في ((الأدب المفرد)): (ص١١٩)، بلفظ: ((أَلا أُخْبِرُكُمْ بِخِيَارِكُمْ؟)) قَالُوا: بَلَى، قَالَ: ((فَخِيَارُكُمْ الَّذِينَ إِذَا رُءُوا ذُكِرَ اللَّهُ تَعَالَى، أَلا أُخْبِرُكُمْ بِشِرَارِكُمْ؟)) قَالُوا: بَلَى، قَالَ: ((فَشِرَارُكُمْ الْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الأَحِبَّةِ، الْمَشَّاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْبَاغُونَ الْبُرَآءَ الْعَنَتَ)).

(٣) قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (٨٠/١٠): رواه البزار عن شيخه علي بن حرب، ولم أعرفه، وبقية رجاله وثقوا. قال الألباني: "صحيح" أنظر حديث رقم: ٢٩٨٧ في ((صحيح الجامع))، و ((السلسلة الصحيحة)): حديث رقم: ١٧٣٣.

(٤) قال الألباني: حسن انظر ((السلسلة الصحيحة)) (٢٠١/٤) حديث رقم: ١٦٤٦. وفي ((مصنف ابن أبي شيبة)) (٧٩/٧): عن سعيد بن جبير رفعه: ((أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون يذكر الله لرؤيتهم)).

في الآخرة عمله﴾[1]، وعن عطاء بن يسار قال: قال موسى عليه السلام يا رب، من هم أهلك الذين تظلهم تحت ظل عرشك؟ قال: ﴿يا موسى هم البريئة أيديهم، الطاهرة قلوبهم، الذين يتحابون بجلالي، الذين إذا ذكرت ذكروا بي، وإذا ذكروا ذكرت بهم﴾[2]، وقد ورد عن رسول الله ﷺ، أنه قال: ﴿والذي نفس محمد بيده لئن شئتم لأقسمن بينكم. إن أحب عباد الله الذين يحببون الله إلى عباده. ويحببون عباد الله إلى الله. ويمشون في الأرض بالنصيحة﴾[3]، وقال ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا

---

(١) ((مسند أبي يعلى)):(٤/٣٢٦)، ((مسند عبد حميد)): لأبي محمد عبد بن حميد بن نصر: (ت٢٤٩هـ)، (١/٢١٣)، قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد))، (١٠/٢٢٦): رواه أبو يعلى، وفيه مبارك بن حسان، وقد وثق، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٢) ((مصنف ابن أبي شيبة)): (٧/٧١)، ((تاريخ مدينة دمشق)): (٦١/١٤٠)، ((الدر المنثور)): (٣/٥٣٩)، ((جامع العلوم والحكم)): (١/٣٦٥).

(٣) ((جامع العلوم والحكم)): (١/٨١). وفي ((نوادر الأصول)): (٤/٧٦) بلفظ: ((خيار عباد الله الذين يحببون الله إلى عباده ويحببون العباد إلى الله ويمشون لله في الأرض نصحا))، وقال: قوله: ((يحببون الله إلى عباده)) أي: يذكرونهم آلاء الله ونعمه وإحسانه ((ويحببون العباد إلى الله)) أي: يأمرونهم بالطاعة حتى يطيعوه فيحبهم ((ويمشون لله في الأرض)): دعاة إلى الله وإلى دينه فالدعاة إلى الله دأبهم في شهرهم ودهرهم أن=

النَّاسُ اسْمَعُوا وَاعْقِلُوا[١]، وَاعْلَمُوا أَنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عِبَادًا لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ، وَلا شُهَدَاءَ، يَغْبِطُهُمْ الأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مَجَالِسِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنْ اللَّهِ﴾، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ الأَعْرَابِ مِنْ قَاصِيَةِ النَّاسِ، وَأَلْوَى بِيَدِهِ[٢] إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، نَاسٌ مِن النَّاسِ لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمْ الأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مَجَالِسِهِمْ، وَقُرْبِهِمْ مِن اللَّه، انْعَتْهُمْ لَنَا يَعْنِي صِفْهُمْ لَنَا، فَسُرَّ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ[٣]، لِسُؤَالِ الأَعْرَابِيِّ، فقال ﷺ: ﴿هُمْ نَاسٌ مِن أَفْنَاءِ النَّاسِ[٤]،

=يعلنوا الخير كي يقتدي الناس بهم، ولذلك أثنى الله تعالى على من سأله فقال: ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [سورة الفرقان].

(١) احبسوا أفكاركم في الفهم والاسترشاد.

(٢) وألوى: أي أمالها من جانب إلى جانب. ومن مكارم أخلاق رسول الله ﷺ أن يقبل أعرابي من جهة بعيدة ويجلس على ركبتيه عند حضرة الرسول ﷺ ويمد يده ليده الشريفة ويعطف عليها ويديرها فيجيبه ﷺ بلطف ورفق ويمن وبشاشة.

(٣) ففرح وأظهر طلاقة الوجه.

(٤) أي لم يعلم ممن هو، الواحد فنو.

وَنَوَازِعِ الْقَبَائِلِ[1]، لَمْ تَصِلْ بَيْنَهُمْ أَرْحَامٌ مُتَقَارِبَةٌ، تَحَابُّوا فِي اللَّهِ وَتَصَافَوْا[2] يَضَعُ اللَّهُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ فَيُجْلِسُهُمْ عَلَيْهَا فَيَجْعَلُ وُجُوهَهُمْ نُورًا وَثِيَابَهُمْ نُورًا يَفْزَعُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يَفْزَعُونَ وَهُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ»[3]، وفي رواية أخرى: «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لأُنَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ الأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَكَانِهِمْ مِن اللَّهِ تَعَالَى». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تُخْبِرُنَا[4] مَنْ هُمْ، قَالَ: «هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ وَلا أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا، فَوَاللَّهِ إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ،

---

(١) جمع نازع ونزيع، وهو الغريب الذي نزع عن أهله وعشيرته: أي بعد وغاب، وقيل: لأنه ينزع إلى وطنه: أي ينجذب ويميل.

(٢) أظهروا الصفاء في المحبة، وطهرت قلوبهم من أدران الحقد والبغضاء.

(٣) ((مسند احمد)): كتاب باقي مسند الأنصار . باب حديث أبي موسى الأشعري، قال المنذري في ((الترغيب والترهيب))، (٤/٢٢): رواه أحمد وأبو يعلى بإسناد حسن، والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

(٤) فحدثنا ونبئنا.

وَإِنَّهُـمْ عَلَـى نُـورٍ، لا يَخَـافُونَ إِذَا خَـافَ النَّـاسُ[1]، وَلا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ﴾، وَقَـرَأَ هَـذِهِ الآيَةَ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾[2] ﴾[3]

وعن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ قال: ﴿يقـول الله ﷻ: إنـي لأهـم بأهـل الأرض عـذاباً، فـإذا نظـرت إلـى عمـار بيـوتي، والمتحـابين فـي، وإلـى المستغفرين بالأسحار صرفت عنهم﴾[4]، [أي عذابي].

- بل يحشر بمقامهم عند الله ﷻ يـوم القيامـة؛ وهذا ليس من عملك فقط، بل بصـلتهم وحـالهم الذي هو محض الفضل والكرم - منه - جلَّ وعلا، لأن الصـاحب سـاحب؛ لقولـه - عليـه الصّـلاة

---

(١) لا يخشون أحداً غير الله تعالى، فقلوبهم مطمئنة راضية مرضية لا يصيبهم فزع في الدنيا والآخرة، ولا يضيع رجاؤهم فيتكدرون، لأنهم غرسوا من حدائق مثمرة ضمنها الحليم الكريم الوهاب الذي لا يخلف الميعاد.

(٢) سورة يونس.

(٣) ((سنن أبي داود)): كتاب البيوع. باب في الرهن.

(٤) ((شعب الإيمان)): (٣/٨٢).

والسّلام: ﴿الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلْ﴾، رواه الإمام احمد وأبو داود والترمذي [1].

وروى البخاري ومسلم وغيرهما ﴿عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قال: أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ مَتَى السَّاعَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟ قَالَ مَا أَعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ صَلاةٍ وَلا صَوْمٍ وَلا صَدَقَةٍ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قَالَ: أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[2]، بل حتى الغافل

---

(١) ((مسند احمد)): كتاب باقي مسند المكثرين . باب باقي المسند السابق، ((سنن أبي داود)): كتاب الأدب . باب ما يؤمر أن يجالس، ((سنن الترمذي)): كتاب الزهد . باب ما جاء في أخذ المال في حقه، ((شعب الإيمان)): (٥٥/٧)، قال محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي في ((مشكاة المصابيح)) (١٣٩٧/٣): رواه احمد والترمذي وأبو داود والبيهقي في ((شعب الإيمان))، وقال النووي: إسناده صحيح. قال الإمام خليل احمد السهارنفوري: (ت ١٣٤٦هـ)، في ((بذل المجهود في حل سنن أبي داود))، (٢٥٥/١٣): أي: يختار طريقه ومذهب خليله. فينبغي للمؤمن أن يخالل من يرضى دينه وخلقه، ولا يخالل من يكون في دينه وطريقته فساد.

(٢) ((صحيح البخاري)): كتاب فضائل الصحابة . باب مناقب عمر بن الخطاب، ((صحيح مسلم)): كتاب البر والصلة والآداب . باب المرء مع من أحب. قال الإمام النووي في "شرح صحيح مسلم" (١٨٦/١٦): فيه فضل حب الله ورسوله ﷺ، والصالحين وأهل الخير الأحياء والأموات، ومن فضل محبة الله ورسوله امتثال أمرهما واجتناب نهيهما والتأدب بالآداب الشرعية، ولا يشترط في الانتفاع بمحبة الصالحين=

الخطاء قد ينال من بركاتهم؛ لأن جليسهم يندرج معهم في جميع ما يتفضل الله تعالى به عليهم إكراماً لهم، ولو لم يشاركهم في أصل الذكر، وقد انتفع بعملهم؛ لما روى الإمام البخاري ومسلم والترمذي وأحمد والبيهقي عَن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ مَلائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ، قَالَ: فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ: مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لا وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ

=أن يعمل عملهم إذ لو عمله لكان منهم ومثلهم وقد صرح في الحديث الذي بعد هذا بذلك فقال: ((أحب قوما ولما يلحق بهم)) قال أهل العربية: لما نفي للماضي المستمر فيدل على نفيه في الماضي وفي الحال بخلاف لم فإنها تدل على الماضي فقط ثم انه لا يلزم من كونه معهم أن تكون منزلته وجزاؤه مثلهم من كل وجه.

رَأَوْنِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وَتَحْمِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا، قَالَ: يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟ قَالَ: يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: مِنْ النَّارِ، قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ لا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً، قَالَ: فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، قَالَ: يَقُولُ مَلَكٌ مِنْ الْمَلائِكَةِ: فِيهِمْ فُلانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، فَيَقُول: هُمْ قَومٌ لا يَشْقَى جَلِيسُهُمْ»[1]، قال في "الفتح": «هم القوم» وفي اللام

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب الدعوات . باب فضل ذكر الله ﷻ، ((صحيح مسلم)): كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار . باب فضل مجالس الذكر، ((مسند احمد)):باقي مسند المكثرين . باب مسند أبي هريرة، ((سنن الترمذي)): كتاب=

إشعار بالكمال أي: هم القوم كل القوم، قوله: ﴿لا يشقى جليسهم﴾، كذا لأبـي ذر ولغـيره ﴿لا يشـقى بهم جليسهم﴾، وللترمذي: ﴿لا يشقى لهم جليس﴾، وهذه الجملة مستأنفة لبيان المقتضى لكونهم أهل الكمال، وقد اخرج جعفر في "الذكر" من طريـق أبي الأشهب عن الحسن البصري قـال: بينـا قـوم يذكرون الله إذ أتاهم رجل فقعد إليهم قال: فنزلت الرحمة ثم ارتفعت فقالوا: ربنا فيهم عبـدك فـلان، قـــال: ﴿غشـوهم رحمتـي هـم القـوم لا يشـقى بهـم جليسهم﴾، وفي هذه العبارة مبالغة في نفي الشـقاء عن جليس الذاكرين، فلو قيل لسُعِدَ بهم جليسهم، لكان ذلك في غاية الفضل لكـن التصـريح بنفـي الشقاء أبلغ في حصول المقصود. وفي الحديث فضل

=الدعوات . باب ما جاء إن لله ملائكة سياحين في الأرض، ((شعب الإيمان)): (٤٠٠/١).

مجالس الذكر والذاكرين، وفضل الاجتماع على ذلك، وان جليسهم يندرج معهم في جميع ما يتفضل الله تعالى به عليهم، إكراماً لهم ولو لم يشاركهم في أصل الذكر.انتهى[1].

قلتُ: هذا كلام الربّ عز وجل للخطاء ذي الحاجة غفر الله له بجلسته معهم، وقد انتفع بعمل غيره؛ فكيف بالتقي الصالح في صحبتهم وجلسته معهم!؟.

قال الإمام الجنيد: فمن لم يسمع الحديث، ويجالس الفقهاء، ويأخذ أدبه عن المتأدبين أفسد من يتبعه[2].

وقال الإمام الشافعي: لولا صحبة الأخيار، ومناجاة الحق تعالى بالأسحار، ما أحببت البقاء في هذه الدار.

---

(١) ((فتح الباري)): ((١١/٢١٣)).

(٢) ((إيقاظ الهمم)): لصالح بن محمد بن نوح العمري (ت١٢١٨هـ)، (١/٩١).

وقال بشر الحافي: عليك بصحبة الأخيار إن أردت الراحة في تلك الدار، وتنفك من رق الأغيار.

وقال السيد احمد الرفاعي: مصاحبة أهل التقوى نعمة عظيمة من نعم الله على العبد.

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي: إذا رأيت نفسك معرضة عن أهل الله فاعلم أنك مطرود عن باب الله.

وقال الشيخ سليمان الخضيري: من أراد أن يعطى الخير الكثير؛ فليصاحب أهل المراقبة[1].

وقال الشيخ ابن تيمية: فإنك إذا أحببت الشخص لله كان الله هو المحبوب؛ فكلما تصورته في قلبك تصورت محبوب الحق فأحببته فازداد حبك لله، كما إذا ذكرت النّبيّ ﷺ والأنبياء قبله والمرسلين

(١) ((الأنوار في صحبة الأخيار)): للإمام عبد الوهاب الشعراني: (ت٩٧٣هـ)، (ص١١، ١٣).

وأصحابه الصالحين وتصورتهم في قلبك؛ فإن ذلك يجذب قلبك إلى محبة الله المنعم عليهم، وبهم إذا كنت تحبهم لله؛ فالمحبوب لله يجذب إلى محبة الله والمحب لله إذا أحب شخصاً لله؛ فإن الله هو محبوبه، فهو يحب أن يجذبه إلى الله تعالى، وكل من المحب لله والمحبوب لله يجذب إلى الله. انتهى[1].

وقال الشيخ عبد القادر الكَيلاني: كان الأوائل رحمهم الله ـ يقطعون المشرق والمغرب على أقدامهم على أن يجدوا عالماً عارفاً بالله متصرفا.

روى الكبار ﷺ: أن أبا الحسين النوري صاحب السرّي السقطي ـ رضي الله عنهما ـ قال لأصحابه يوماً وهو في رصافة بغداد: قوموا حتى نذكر الله تعالى عند الشيخ معروف الكرخي ـ في كرخ بغداد،

(١) ((الفتاوى)): (١٠/ ٦٠٨).

فقالوا يا شيخنا: الله مع الذاكر أينما كان، ألا نذكر الله هنا؛ فقال النوري ﷺ: هنا نذكر الله بما عندنا، وهناك نذكر الله بما عند الشيخ معروف الكرخي ـ رضي الله تعالى عنه وأرضاه. فتنبه لهذا.

ومن كلام أبي الحسين النوري رحمه الله ورضي عنه؛ يوصي بعض أصحابه ـ عشرة وأي عشرة.

فأولى ذلك: من رأيته يدعى مع الله ﷻ حالة تخرجه عن حد علم الشرع فلا تقربن منه.

الثانية: من رأيته يركن إلى غير أبناء جنسه ويخالطهم فلا تقربن منه.

الثالثة: من رأيته يسكن إلى الرئاسة والتعظيم له فلا تقربن منه، ولا ترتفق به وإن أرفقك ولا ترج له فلاحاً.

الرابعة: فقير رجع إلى الدنيا إن مت جوعاً فلا تقربن منه ولا ترفق به إن أرفقك، فإن رفقه يقسي قلبك أربعين صباحاً.

الخامسة: من رأيته مستغنياً بعلمه فلا تأمن جهله.

السادسة: من رأيته مدعياً حالة باطنه لا يدل عليها، ولا يشهد عليها حفظ ظاهره فاتهمه على دينه.

السابعة: من رأيته يرضى عن نفسه ويسكن إلى وقته فاعلم أنه مخدوع، فاحذره أشد الحذر.

الثامنة: مريد يسمع القصائد ويميل إلى الرفاهة لا ترجون خيره.

التاسعة: فقير لا تراه عند السماع حاضراً فاتهمه، واعلم أنه منع بركة ذلك لتشويش سره، وتبديد همه.

العاشرة: من رأيته مطمئناً إلى أصدقائه وإخوانه وأصحابه مدعياً لكمال الخلق بذلك فاشهد بسخافة عقله ووهن ديانته[1].

واعلم أيها الأخ الصالح: يتحقق بالصحبة ثلاثة منازل، أولاً: الذكر بالقلب، ثانياً: عظيم الصلة برسول الله ﷺ، ثالثاً: الفناء بحب الله ﷻ، والصحبة للتزود والصلاح، سيراً إلى مقام المعرفة والمحبة الإلهية، وليست للأوامر والوجوب.

ـ واعلم يا أخي: أن الصدق عبادة لسانية: لقوله ـ عليه الصّلاة والسّلام: ﴿لا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ صِدِّيقًا﴾ متفق عليه[2]، ومعنى: ﴿وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ﴾ أي: [يبالغ

(١) ((حلية الأولياء)): للحافظ أبي نعيم احمد عبد الله الأصبهاني: (ت٤٣٠هـ)، (٢٥٢/١٠).

(٢) ((صحيح مسلم)): كتاب البر والصلة والآداب . باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، ((مسند احمد)): كتاب مسند المكثرين من الصحابة . باب مسند عبد الله=

ويجتهد فيه، ويتكرر منه الصدق حَتَّى يُكْتَبَ صِدِّيقًا]، والتصديق عبادة قلبية: كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١٩﴾[1].

فالصدق والتصديق: جعلهم على تحقيق الصدّيقية.

فصدق العامة: تصفية الأعمال من طلب الاعواض، وصدق الخاصة: تصفية الأحوال من قصد غير الله، وصدق خاصة الخاصة: تصفية مشرب التوحيد من الالتفات إلى ما سوى الله، ويقال لصاحب المقام الأول: صادق، والثاني والثالث:

=بن مسعود، ((سنن أبي داود)): الأدب . باب في التشديد في الكذب، ((سنن الترمذي)): كتاب البر والصلة. باب ما جاء في الصدق والكذب.

(١) سورة الحديد.

صدّيق؛ وما بعد ذلك فهي الربانية: فإنها صـدّيقية وزيـادة؛ فـإن مبنـى الصـدّيقية علـى معرفـة الله والعبودية له ـ جلَّ جلالُهُ وعمَّ نوالُهُ، وعظم شأنه.

ـ أما الربّانيّـة فهـي: كمـال التقـوى والمعرفـة والمحبة وعظيم التربيـة ــ ذوقـاً وسـلوكاً، وتبليغـاً وإشفاقاً على هذه الأمة المرحومة؛ وكما في القلبين المحمّـديّين العظمـيين وهمـا "القلـب الغيـور" و"القلب الشفيق"؛ وهما من منازل الكبار. فـإلى ذلك بتوفيق الحق وعنايته ـ وهو اللطيف الواسـع العليم ـ جلَّ جلاله وعمَّ نواله، ولا إله غيره.

اللّهم؛ دلنا عليك، فقد جئناك مفتقرين، محـبين بك إليك، وثبتنا عند وجودك، يا موجود، ولا تجعلنا ممن يرضى بجميع ما هو دونك عوضاً عنـك، وأقـر

أفئدتنا بذكرك، وأقر أفئدتنا بأُنسك، وأقـر أفئـدتنا عند لقائك، آمين آمين، يا مولانا يا رب العالمين.

سادسها: القلب الغيور: فسبحان الغيور ـ جلَّ وعلا، الذي ليس له شريك في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله. تبارك وتعالى ربّنا وتقدس؛ ومن هذا المعنى توجه إبـراهيم عليه السلام بقولـه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [1]، أي: أفـــــردتُ قصـــدي لله، وطهــرت عقــدي عــن غــير الله، وحفظت عهدي في الله لله، وخلصت وجدي لله، فإني لله يا الله، اللّهم؛ أنت مقصـودي، ورضـاك مطلوبي؛ فقد جئناك مفتقرين محبين بك إليك.

---

(١) سورة الأنعام.

وقال ــ جلّت عظمته: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ٣﴾[1]، قال الإمام الشبلي رضي الله عنه: كل ما دون الله لغوٌ، وحفظ الأسرار؛ صونها عن رؤية الأغيار؛ الغيرة غيرتان: غيرة البشرية، وغيرة الإلهية على الوقت أن يضيع فيما سوى الله.

وقال الإمام القشيري رضي الله عنه في "تفسيره": ما يَشغلُ عن الله فهو سهوٌ، وما ليس لله فهو حشوٌ، وما ليس بمسموعٍ من الله أو بمعقولٍ مع الله فهو لغوٌ، (وما هو غير الحق سبحانه فهو كفرٌ، والتعريجُ على شيءٍ من هذا بُعْدٌ وَهجْرٌ)[2].

كما قال رسول الله ﷺ: «غَيْرَتَانِ إِحْدَاهُمَا يُحِبُّهَا اللَّهُ، وَالأُخْرَى يُبْغِضُهَا اللَّهُ تَعَالَى، وَمَخِيلَتَانِ إِحْدَاهُمَا يُحِبُّهَا اللَّهُ، وَالأُخْرَى يُبْغِضُهَا اللَّهُ: الْغَيْرَةُ فِي الرِّيبَةِ

(١) سورة المؤمنون.

(٢) ((لطائف الإشارات)): (٤/٢٣٩).

يُحِبُّهَا[1]، وَالْغَيْرَةُ فِي غَيْرِ رِيبَةٍ يُبْغِضُهَا اللَّهُ[2]، وَالْمَخيلَةُ إِذَا تَصَدَّقَ الرَّجُلُ يُحِبُّهَا اللَّهُ[3]، وَالْمَخِيلَةُ فِي الْكِبْرِ يُبْغِضُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ﴾[4].

وقال سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ وكرم الله وجهه: ﴿الغيرة غيرتان غيرة حسنة جميلة يصلح بها الرجل أهله، وغيرة تُدخله النار تحمله على القتل فيقتل﴾[5].

---

(١) الغيرة في الرِّيبة يحبها: أي عند قيام الريبة.

(٢) والرِّيبة:هي التهمة والشك،وهذه الغيرة تفسد المحبة،وتوقع العداوة بين المحب ومحبوبه.

(٣) وهو السخاء يعطيه بطيبة نفس، ولا يستكثر كثيراً، ولا يعطي منها شيئاً إلا وهو مستقل له.

(٤) قال الإمام المناوي في ((فيض القدير))، (٥٢٦/٤): رواه احمد والطبراني والحاكم وقال: "صحيح"، وأقره الذهبي، وقال الهيثمي: رجال الطبراني رجال الصحيح، غير عبد الله بن زيد الأزرق، وهو ثقة.

(٥) ((الأحاديث المختارة)): لأبي عبد الله محمد بن عبد الواحد بن احمد بن عبد الرحمن الحنبلي، المعروف"بضياء الدين المقدسي": (ت٦٤٣)،(٢٢٧/٢)،وقال: إسناده صحيح.

وقال الشبلي: الغيرة غيرتـان، فغـيرة البشـرية على النفوس، وغيرة الإلهية على القلوب؛ ومعناها أن الطبع البشري يكره أن يرى محبوبه عنـد غـيره، والحق يكره أن يرى قلوب أوليائه متعلق بغيره[1].

قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. مِن أَجْلِ ذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ [2]. وَلَيْسَ أَحَدٌ أَغْيَرَ مِن اللَّهِ. مِن أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ. وَلَيْسَ أَحَـدٌ أَحَـبَّ إِلَيْـهِ الْعُـذْرُ مِـنَ اللَّـهِ.مِـن أَجْـلِ ذَلِـكَ أَنْـزَلَ

---

(١) ((حلية الأولياء)): (٣٧١/١٠).

(٢) قال ابن بطال: أراد به المدح من عباده بطاعته، وتنزيهه عما لا يليق به، والثناء عليه بنعمه ليجازيهم على ذلك؛ وقال القرطبي: ذكر المدح مقروناً بالغيرة والعذر تنبيها لسعد على أن لا يعمل بمقتضى غيرته ولا يعجل، بل يتأنى ويترفق ويتثبت حتى يحصل على وجه الصواب فينال كمال الثناء والمدح والثواب لإيثاره الحق، وقمع نفسه وغلبتها عند هيجانها، وهو نحو قوله: ((الشديد من يملك نفسه عند الغضب))، وهو حديث صحيح متفق عليه. انظر ((فتح الباري)): (١٧٢/١٧).

الْكِتَابَ وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ﴾، رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي [1].

وقال ـ عليه الصّلاة والسّلام: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغَارُ. وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَغَارُ. وَغَيْـرَةُ اللَّهِ أَنْ يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ ما حَرَّمَ عَلَيْهِ﴾ [2]، والمعنى: غيرة الله تعالى منع المؤمن من الحرام، أو سبب غيرة الله تعالى، وهي العذاب، أن يرتكب المؤمن حراماً. وفي روايةٍ أخرى: ﴿الْمُؤْمِنُ يَغَارُ. وَاللَّهُ أَشَدُّ غَيْراً﴾ [3].

---

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب تفسير القرآن . باب قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴿١٥١﴾﴾ [سورة الأنعام]،((صحيح مسلم))، واللفظ له: كتاب التوبة . باب غيرة الله، وتحريم الفواحش، ((مسند احمد)): كتاب مسند= =المكثرين من الصحابة . باب مسند عبد الله بن مسعود، ((سنن الترمذي)): كتاب الدعوات . باب منه.

(٢) ((صحيح مسلم)): كتاب التوبة . باب غيرة الله، وتحريم الفواحش.

(٣) ((صحيح مسلم)): كتاب التوبة . باب غيرة الله، وتحريم الفواحش.

ـ وما في الوجود إلا الغـيرة الإلهيـة سـرت في مظاهر تجلياته فغيرت النفوس للعامة وهي: غيرتهم على هتك حرمة حريمهم.

وغيرة القلوب للخاصة وهـي: غيرتهـم علـى قلوبهم أن تميل لغير محبوبهم.

وغيرة الأرواح والأسرار لخاصة الخاصة، وهي: غيرتهم على أرواحهـم أن تلتفـت إلى شـيء دون محبـوبهم ـ جـلَّ وعـلا؛ وعلـى هـذا حـق للعبـد أن يَغار.

وقد يَغار الحق على أوليائه فينتقم من أعدائهم إذا آذوهم: ففي الحـديث القدسـي قـال ﷻ: ﴿مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ﴾، رواه البخـاري وأحمد[1].

---

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب الرقاق . باب التواضع. وفي ((مسند احمد)): كتاب باقي مسند الأنصار . باب المسند السابق،بلفظ: ((مَنْ أَذَلَّ لِي وَلِيًّا فَقَدْ اسْتَحَلَّ مُحَارَبَتِي)).

وروى الإمام احمد في " كتاب الزهد" بإسناده عن وهب بن مُنّبه رضي الله عنه، قال: إن الله تعالى قال لموسى عليه السلام حين كلمه: ﴿أعلم أنه من أهان لي ولياً أو أخافه فقد بارزني بالمحاربة وبادأني وعرض لي نفسه ودعاني إليها، وأنا أسرع شيء إلى نصرة أوليائي، أفيظن الذي يحاربني أن يقوم لي، أو يظن الذي يعاديني أن يعجزني أم يظن الذي يبارزني أن يسبقني أو يفوتني. وكيف وأنا الثائر لهم في الدنيا والآخرة لا أكل نصرتهم إلى غيري﴾[1].

وروى الحافظ الكبير ابن عساكر رضي الله عنه في "تاريخه": عن أنس رضي الله عنه عن النّبيّ صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن الله عز وجل قال: ﴿يقول الله عز وجل: من أهان لي وليًّا فقد بارزني بالمحاربة، وإني لأسرع شيء إلى نصرة أوليائي وإني لأغضب لهم كما يغضب الليث الحَرِد. وما

(١) قال ابن كثير في "تفسيره"، (٣/١٤٦): رواه ابن أبي حاتم، ((تاريخ دمشق)): (٢/١١٩)، ((جامع العلوم والحكم)):(١/٣٦٠).

تردّدت في شيء أنا فاعله تردّدي في قبض روح عبدي المؤمن يكره الموت وأنا أكره إساءته ولا بدّ له منه. وما تقرّب إليّ عبدي المؤمن بمثل أداء ما افترضت عليه. وما يزال عبدي المؤمن يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبّه، فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً ولساناً ويداً ومؤيّداً، فإن سألني أعطيته وإن دعاني أجبته. وإن من عبادي المؤمنين من يسألني الباب من العبادة وإني عليم أن لو أعطيته إياه لدخله العُجْب فأفسده. وإن من عبادي المؤمنين من لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده الفقر. وإن من عبادي المؤمنين من لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسده الغنى. وإني لأدبر عبادي لعلمي بقلوبهم فإني عليم خبير﴾[1].

(١) رواه محمد بن علي بن الحسن الحكيم الترمذي: (ت٣٦٠هـ) في ((نوادر الأصول في أحاديث الرسول))، (٢٣٢/٢) وانظر ((تفسير القرطبي)): (٢٨/١٦)، و((الدر المنثور)): (٣٥٣/٧).

"أي عزيزي" قال ﷺ: ﴿وإني لأغضب لهم كما يغضب الليث الحَرِد﴾، قال الحكيم الترمذي في "النوادر": فالليث كريم لا يؤذي حتى يجترأ عليه، فإذا اجترئ عليه اصطفه حرب فكسر ودمر على من ظفر به؛ فمن آذى ولي الله تعالى فإنما يجترىء على الله تعالى، يريد أن يحاربه، فيأخذ منه ما اصطفاه لنفسه، فيفسد شأنه، ويهدم تربيته وبنيانه، فإن الولي إذا بلغ غاية الصدق في السير إلى الله تعالى، ومجاهدة النفس، وفطم نفسه عن سيىء الأخلاق، وقد انقطعت حيلته، وبقي بين يديه ينتظر رحمته، انتخبه الله تعالى للولاية، ووكل الحق به يهديه و يطهره، ويسير به إليه، وترد إليه الأنوار من قربه، وتطهر نفسه، وتميت منه الأخلاق الرديئة، فذاك تربية الله تعالى له فإذا تم البنيان والتربية، كشف

الغطاء وأشرق على صدره نوره، وجعل لقلبه إليه طريقاً لا يحجبه عنه شيء، فهو ولي الله يتولاه في أموره وهو يكلؤه ويستعمله فمن يتعرض له و يظلمه، فقد اجترأ على الله تعالى، يريد أن يهدم بنيانه،ويفسد تربيته فغضب الله له[1]؛ كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ ﴿٢٥٧﴾﴾[2]، أي: محبهم وحافظهم وناصرهم؛ وكما قال ـ جلَّ شأنُه: ﴿فَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّا نَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴿٧٦﴾﴾[3]، معناه: أن الله ـ تبارك وتعالى يقول لسيدنا محمّدٍ ﷺ فلا تحزن أنا مُعينك، ومُنتقم من خَصمك؛ وخصم وارثيك.

(١) ((نوادر الأصول)): (٢/٢٣٧، ٢٣٨).

(٢) سورة البقرة.

(٣) سورة يس.

والانتقام قد يكون واحداً من ثـلاث: إمـا أن يُبتلى بدينه وقلبه، وإما بنفسه وأهله، أو يخشى عليه سوء الخاتمة. والعياذ بالله تعالى.

قال القاضي نكري في "دستور العلماء": ولد الزنا هو المولود من الزنا، ومن أنكر أباه فقد أقـر على نفسه بأنه مولود من غـير نكـاح، ومـن كـان مولوداً بغير النكاح فهو ولد الحرام؛ فما حال مـن أنكر أستاذه الذي هو خير الآباء؛ أما سمعت: "خير الأباء من علمك"، سواء كان إنكاره صراحة كمـا هو الظاهر، أو دلالة كما إذا كان طاعناً عليه ومصراً على إيذائـه، ومغمومـاً عنـد وصـول الخـير إليـه، ومسروراً لدى نزول الشر عليه، وسمعت من غـير واحد من الثقات: (أن من أنكر الأستاذ ابـتلاه الله

تعالى بثلاث بلياتٍ: نسيان ما قرأ، وضيق المعيشة، وزوال الإيمان عند الموت[1].

وقال ـ جلَّ ذِكْرُهُ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣﴾[2]، قال العلاّمة الشريف الجَرجَاني رضي الله عنه: الوليّ: فعيل بمعنى الفاعل، وهو من توالت طاعته من غير أن يتخللها عصيان، أو بمعنى المفعول، فهو من يتوالى عليه إحسان الله وإفضاله، والولي هو: العارف بالله وصفاته بحسب ما يمكن المواظب على الطاعات، المجتنب عن المعاصي المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات[3].

---

(١) ((دستور العلماء)): للقاضي عبد النبي عبد الرسول الأحمد نكري: (٣/٣٢٤).

(٢) سورة يونس.

(٣) ((التعريفات)): (ص٣٢٩).

قلتُ: الوليّ: من سلك طريق المحبّة؛ وهو طريق الإخلاص والصفاء ــ بإتباع الشرع الحنيف في الأقوال، والأفعال، والأحوال، والأخلاق، وقطع الدنيا من قلبه؛ فقد قال رسول الله ﷺ: ﴿اللّهم إني أسألك حبَّك وحبَّ من يُحبّك وحبّاً يبلغني حبّك﴾ رواه البَزَّار[1]، وفي روايةِ الترمذي: ﴿اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يَنْفَعُنِي حُبُّهُ عِنْدَكَ. اللَّهُمَّ مَا رَزَقْتَنِي مِمَّا أُحِبُّ فَاجْعَلْهُ قُوَّةً لِي فِيمَا تُحِبُّ. اللَّهُمَّ وَمَا زَوَيْتَ عَنِّي مِمَّا أُحِبُّ فَاجْعَلْهُ فَراغاً لِي فِيمَا تُحِبُّ﴾[2]، قوله ﷺ: ﴿اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي حُبَّكَ﴾ أي: لأنه لا سَعَادَةَ للقلب، ولا لَذَّةَ، ولا نَعِيمَ، ولاَ صَلاَحَ إلا بأن يكون الله أحب

---

(١) ((مسند الروياني)): محمد بن هارون الروياني أبو بكر: (ت٣٠٧هـ)، (٤٣٠/١)، ((تاريخ دمشق)): (٤٦٣/٣٤)، قال الحاكم في ((المستدرك))، (٧٠٨/١): هذا حديث صحيح على شرط البخاري، وقال الهيثمي في ((مجمع الزوائد))، (١٧٧/٧): رواه البزار.

(٢) ((سنن الترمذي)): كتاب الدعوات . باب ما جاء في عقد التسبيح باليد. و((مصنف ابن أبي شيبة)): (٦٧/٦).

إليه مما سواه. ﴿اللَّهُمَّ مَا رَزَقْتَنِي مِمَّا أُحِبُّ﴾ أي: الذي أعطيتني من الأشياء التي أحبها، من: صحة البدن وقوته، وأمتعة الدنيا من المال والجاه والأولاد والفراغ ﴿فَاجْعَلْهُ قُوَّةً لِي﴾ أي: عدة لي ﴿فِيمَا تُحِبُّ﴾ أي: بأن أصرفه فيما تحبه وترضاه من الطاعة والعبادة ﴿اللَّهُمَّ وَمَا زَوَيْتَ﴾ من الزَّيِّ، بمعنى: القبض والجمع، ومنه: قوله عليه الصّلاة والسّلام: ﴿اللَّهُمَّ ازْوِ لَنَا الأَرْضَ، وَهَوِّنْ عَلَيْنَا السَّفَرَ﴾. أي: اطْوِهَا. كما في روايةٍ أخرى؛ أي: وما قَبَضْتَهُ وَنَحَّيْتَهُ ﴿عَنِّي﴾ أي: بأن منعتني ولم تعطني ﴿مِمَّا أُحِبُّ﴾ أي: مما أشتهيه من المال والجاه والأولاد، وأمثال ذلك، ﴿فَاجْعَلْهُ فَراغاً لِي﴾ أي: سبب فراغ خاطري، ﴿فِيمَا تُحِبُّ﴾ أي: من

الذكر، والفكر، والطاعة، والعبادة[1]. وقال ﷺ: «تُعَلِّمُوهُنَّ وَادْرُسُوهُنَّ فَإِنَّهُنَّ حَقٌّ»، رواه الطبراني[2].

فيصبح الودّ عندئذ بين العبد وربه؛ كما قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴿٥٤﴾﴾[3]، ولقوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾[4]، ثم تُعمم المحبّة للخلق؛ كما قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ، إذا أَحَبَّ عَبْدًا، دَعَا جِبْرِيلَ فَقالَ: إنِّي أُحِبُّ فُلاَناً فَأَحِبَّهُ. قالَ: فَيُحِبّهُ جِبْرِيلُ. ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَناً فَأَحِبُّوهُ. فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ. قال: ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الأرض. وإذا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أُبْغِضُ فُلاَناً فَأَبْغِضْهُ. قَالَ: فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ. ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ

---

(١) ((تحفة الأحوذي)): (٤٢٩/٩).

(٢) ((المعجم الكبير)): (١٠٩/٢٠).

(٣) سورة المائدة.

(٤) سورة مريم.

السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فُلاَناً فَأَبْغِضُوهُ. قال: فَيُبْغِضُونَهُ. ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الأَرْضِ»، رواه البخاري ومسلم وغيرهم(١).

وفي روايةِ الإمام أحمد: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَلْتَمِسُ مَرْضَاةَ اللَّهِ وَلا يَزَالُ بِذَلِكَ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِجِبْرِيلَ: إِنَّ فُلاناً عَبْدِي يَلْتَمِسُ أَنْ يُرْضِيَنِي، أَلا وَإِنَّ رَحْمَتِي عَلَيْهِ، فَيَقُولُ جِبْرِيلُ: رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى فُلانٍ، وَيَقُولُهَا حَمَلَةُ الْعَرْشِ، وَيَقُولُهَا مَنْ حَوْلَهُمْ، حَتَّى يَقُولَهَا أَهْلُ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ، ثُمَّ تَهْبِطُ لَهُ إِلَى الأَرْضِ»(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «تَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ، واللهِ لأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي، وَمِن أَجْلِ غَيْرَةِ اللَّهِ

---

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب بدء الخلق . باب ذكر الملائكة، ((صحيح مسلم)): كتاب البر والصلة والآداب . باب إذا أحب الله عبداً حببه إلى عباده، واللفظ له. ((سنن الترمذي)): كتاب تفسير القرآن . باب ومن سورة مريم، وقال: حديث حسن صحيح، وفي ((موطأ مالك)): كتاب الجامع . باب ما جاء في المتحابين في الله، و((مسند احمد)): كتاب باقي مسند المكثرين . باقي المسند السابق.

(٢) ((مسند احمد)): كتاب باقي مسند الأنصار . باب ومن حديث ثوبان ﷺ.

حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ ما ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، ولاَ أَحَدَ أَحَبُّ إلَيه الْعُذْرُ مِنَ اللَّهِ، وَمِن أَجْلِ ذلِكَ بَعَثَ الْمُبَشِّرِينَ وَالْمُنْذِرِينَ، ولا أَحَدَ أَحَبُّ إليهِ الْمِدْحَةُ مِنَ اللَّهِ، وَمِن أَجْلِ ذلكَ وَعَدَ اللهُ الْجَنَّةَ﴾ متفق عليه[1]، وقال ﷺ: ﴿إني لغيور والله أغير مني وإن الله يحب من عباده الغيور﴾، رواه الطبراني[2]، واخرج ابن أبي شيبة، عن أبي جعفر رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: ﴿إني غَيور وإن إبراهيم كان غيوراً، وما من امرئ لا يغار إلا منْكوس القلب﴾[3]، وقال ـ عليه الصّلاة والسّلام: ﴿الْقُلُوبُ أَرْبَعَةٌ: قَلْبٌ أَجْرَدُ فِيهِ مِثْلُ السِّرَاجِ يُزْهِرُ، وَقَلْبٌ أَغْلَفُ مَرْبُوطٌ عَلَى غِلافِهِ، وَقَلْبٌ مَنْكُوسٌ، وَقَلْبٌ مُصْفَحٌ، فَأَمَّا الْقَلْبُ الأَجْرَدُ: فَقَلْبُ الْمُؤْمِنِ سِرَاجُهُ فِيهِ نُورُهُ، وَأَمَّا الْقَلْبُ الأَغْلَفُ: فَقَلْبُ الْكَافِرِ،

---

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب الحدود ـ باب من رأى مع امرأته رجلاً فقتله، واللفظ له، ((صحيح مسلم)): كتاب اللعان.

(٢) ((المعجم الأوسط)): (٨/٢١٥).

(٣) ((مصنف ابن أبي شيبة)): (٤/٥٣).

وَأَمَّا الْقَلْبُ الْمَنْكُوسُ: فَقَلْبُ الْمُنَافِقِ عَرَفَ ثُمَّ أَنْكَرَ، وَأَمَّا الْقَلْبُ الْمُصْفَحُ: فَقَلْبٌ فِيهِ إِيمَانٌ وَنِفَاقٌ فَمَثَلُ الإِيمَانِ فِيهِ كَمَثَلِ الْبَقْلَةِ يَمُدُّهَا الْمَاءُ الطَّيِّبُ، وَمَثَلُ النِّفَاقِ فِيهِ كَمَثَلِ الْقُرْحَةِ يَمُدُّهَا الْقَيْحُ وَالدَّمُ، فَأَيُّ الْمَدَّتَيْنِ غَلَبَتْ عَلَى الأُخْرَى غَلَبَتْ عَلَيْهِ﴾ رواه احمد[1].

قال سيدنا علي ـ كرم الله وجهه، ورضي عنه: "القلب الأجرد": هو انجراده بالزهد في الدنيا، وتجريده من الهوى، وسراجه الذي يزهو فيه هو نور اليقين يُبصر به اليقين.

ـ ومن القلوب الغيورة؛ قلبُ سليمانَ عليه السلام؛ قال ابن القيم في "المدارج": قال الله تعالى حاكياً

(١) ((مسند احمد)): كتاب باقي مسند المكثرين . باب مسند أبي سعيد الخدري، ((مصنف ابن أبي شيبة)): (٤٨/٧)، قال ابن كثير في "تفسيره" (٥٧/١) وهذا: إسناد جيد حسن.

عن نبيه سليمان ﷺ: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾﴾[1]، ووجــه استشــهاده بالآيــة أن سليمان ﷺ كان يحب الخيل فشغله استحسانها والنظر إليها لما عرضت عليه عن صلاة النهار حتى توارت الشمس بالحجاب فلحقته الغيرة لله من الخيل إذ استغرقه استحسانها والنظر إليها عن خدمة مولاه، وأداء حقه، فقال: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ فطفق يضرب أعناقها وعراقيبها بالسيف غيرةً لله تعالى[2].

وقد مدح الرّب ﷻ أصحاب رسول اللّه ﷺ بهذا المقام العظيم بقوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ

(١) سورة ص.

(٢) ((مدارج السالكين)): لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي (ت٧٥١هـ)، (٣/٤٧).

﴿وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ٨﴾[1]،

فانظر إلى قوله ﷻ: ﴿يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا﴾ و: ﴿وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ﴾ ثم قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾، فهم على الصدّيقية المبتغى فيها رضوان الله ﷻ ونُصرةً لله ورسوله ﷺ، غيرةً لدين الله الحنيف، ولهذه الأمة المرحومة؛ لذا قال رسول الله ﷺ: «خذوا ثلثي دينكم عن الحُمَيّراء»[2].

وروى النسائي من طريق أم سلمة رضي اللّه عنها، قالت: دخل غلمان من الحبشة يلعبون فقال النبيُّ ﷺ: «يا حُمَيْرَاءُ أَتُحِبِّينَ أَنْ تَنْظُرِي إِلَيْهِمْ» فقلت:

---

(١) سورة الحشر.

(٢) ((تفسير روح المعاني)): (٣/١٥٥).

(نعـم)[1]، قـال ابـن حجـر في "الفـتح": إسـناده صحيح[2].

واعلم أيها الداعية اللبيب: أن وصف الحُمَيْراء هو وَصفُ غَيرةٍ لا وَصف جمالٍ، فقد كانت السـيدة عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ إذا سمعت بشيءٍ يـؤذي المسلمين ـ غارتْ لـدين اللَّـه والمسـلمين فتظهـر حمرتان على وجْنَتِيْهَا ـ "فَسُمْيتْ بذلك الحُمَيْرَاء". فتنبه.

وهذا هو شـأن القلـب الغيـور، وصـورته: أن يكون غيوراً على الدعوة، والتحمل في سـبيل الله تعالى: لقوله تعالى حاكياً عن لقمان في وصيته لابنه:

(١) ((سنن النسائي الكبرى)): (٥/٣٠٧).

(٢) ((فتح الباري)): (٢/٤٤٤).

﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾[1].

وقال ـ عليه الصّلاة والسّلام: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ»، رواه مسلم[2].

ـ فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهمُّ الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين، ولو طوى بساطه وأهمل علمه وعمله: لتعطلت النبوة، واضمحلت الديانة، وعمت الفترة، وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة، واستسرى الفساد، واتسع الخرق، وخربت البلاد، وهلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد.

---

(١) سورة لقمان.

(٢) ((صحيح مسلم)): كتاب الإيمان. باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان.

وقد كان الذي خِفْنَا أن يكون. فإنَّا للهِ وإنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. إذ قد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه، وانمحق بالكلية حقيقته ورسمه، فاستولت على القلوب مداهنة الخلق، وانمحت عنها مراقبة الخالق، واسترسل الناس في اتباع الهوى والشهوات استرسالَ البهائم، وعَزَّ على بساط الأرض مؤمن صادق لا تأخذه في الله لومة لائم، فمن سعى في تلافي هذه الفترة وسَدِّ هذه الثلمة إمَّا متكفلاً بعملها، أو متقلداً لتنفيذها، مجدداً لهذه السنة الداثرة، ناهضاً بأعبائها، ومُتَشَمِّراً في إحيائها: كان مستأثراً من بين الخلق بإحياء سنة أفضى الزمان إلى إماتتها، ومستبداً بقربة تتضاءَل درجات القرب دون ذِرْوتِها[1].

---

(١) انظر: ((إحياء علوم الدين)): (٣/٣٠٢).

وقـــال ﷺ: ﴿إِنَّ النَّـاسَ إِذَا رَأَوْا الْمُنْكَـرَ لا يُغَيِّرُونَـهُ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُـمْ اللَّهُ بِعِقَابِهِ﴾، رواه الترمـذي وابـن ماجه[1]؛ وفي أخـرى: ﴿إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْمُنْكَرَ فَلَم يُغَيِّرُونَـهُ أَوْشَـكَ أَنْ يَعُمَّهُـمْ اللَّـهُ بِعِقَـاب﴾، رواه احمـــد[2]، والمعنى: فإن الله ينتقم من الأمة إذا تركـوا النهـي عن المنكر، فينزل بهم نقماً ونكبات في الدنيا قبل الآخرة، ولا شك أن البلاء الذي وقع على المسلمين في هذه الأزمنة هو تركهم الأمر بالمعروف والنهـي عن المنكر؛ فلا بد من التبليغ غيرةً لدين الله، وأُمةِ الإسلام، وأن لا تأخذنا في الله لومة لائم؛ لقولـه ـ عليه الصّلاة والسّلام: ﴿مَنِ الْتَمَسَ رِضَى اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللَّهِ عَنْهُ وَأَرْضَى النَّاسَ عَنْهُ، وَمَنِ الْتَمَسَ

---

(١) ((سنن الترمذي)): كتاب الفتن . باب ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر، ((سنن ابن ماجه)): كتاب الفتن . باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(٢) ((مسند احمد)): (١/٢و ٥ و ٩).

رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ سَخِطَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ»، رواه ابن حِبّان[1].

وقال ـ عليه الصّلاة والسّلام: «إذا عَظّمتْ أمتي الدنيا نزعت منها هيبة الإسلام، وإذا تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت بركة الوحي، وإذا تسابت أمتي سقطت من عين الله»[2]. قوله ﷺ: « إذا عَظّمتْ أمتي الدنيا نزعت منها هيبة الإسلام»، لأن شرط الإسلام: تسليم النفس، وبذلها لله تعالى عبودة، فإذا عظم ما صغر الله تعالى وحقرها، وقد أخذت بقلبه فسبته ذهبت العبودة، ولم يقدر على بذل النفس لله تعالى فكان إسلامه مدخولاً، وإذا فسد الباطن ذهبت الهيبة ـ لأنه لو هابه لم يستقر قراراً حتى يصلح باطنه، و إنما يهابه من صلحت

---

(١) ((صحيح ابن حبان)): (٥١٠/١).

(٢) رواه الحكيم عن أبي هريرة كما في ((كنز العمال)): (٧٦/٣).

سريرته؛ قال ﷺ: ﴿تمام البر أن تعمل في السر عمل العلانية﴾[1]، وإذا عظّمت النفس الدنيا آثرها على حقوق الله تعالى، ولا يجتمع تعظيم الحقوق وتعظيم الدنيا في قلب، فأما إذا أسلم نفسه ووجهه إلى الله تعالى وبذل نفسه لله تعالى عبودة صار من رجال الله تعالى وعبيده وخاصته، فتعلوه مهابة، كما إذا صار عبداً للملك ظهر عليه من بهجة ملكه وغناه ووجدت له هيبة، فعبيد الله صدقا عليهم من الله تعالى طلاوة وحلاوة وملاحة ومهابة، فإذا غيروا وبدلوا فعظموا الدنيا بخراب قلوبهم فقد ارتجعوا في نفوسهم فذهبت الهيبة؛ لأنه الآن ليس من عبيد الملك، إنما هو عبد نفسه وهواه ودنياه وشهواته

(١) قال السيوطي في ((الدر المنثور))، (١/٤١٨): أخرج الحكيم الترمذي عن أبي عامر الأشعري، قال: قلت: يا رسول الله، ما تمام البر؟ قال: ((تعمل في السر عمل العلانية)). وانظر ((المعجم الكبير)): (٣/٢٨٣).

وسلطانه. وقوله ﷺ: ﴿وإذا تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت بركة الوحي﴾، فإن في ترك ذلك خذلانا للحق تعالى، وجفوة للدين، وفي ذلك ذهاب البصيرة، وفقد النور، فيصير القلب محجوبا، فيحرم بركة الوحي، فيقرأه ولا تعي اذنه منه شيئا، قد حرم فهمه، وهو من أعلم الناس باللغة وأبصرهم بتفسيره، وقد عمي عن لطائفه ومعانيه ووعده ووعيده وأمثاله، لأنه إذا وقع من لسانه في أذنه صار إلى قلب صدره مظلما، فكأنه قد غرق في لجة، إنما هو كلام يدخل سمعه فإذا صار إلى الصدر صار في عمى، والذي أشرق صدره بالنور فعلى قلبه ينابيع الفهم، يلتذ باللطائف أحلى من القطائف، ويفرح بالوعد، ويحذر الوعيد، ويرغب ويرهب، ويعتبر ويتعظ، فهذا بركة الوحي.

وقولــه ﷺ: ﴿وإذا تسابت أمتي سقطت من عين الله﴾، لأن بـدوه الكـبر والإسـتحقار للمسـلمين، والحسد والبغي والتنافس في أحوال الدنيا، فبهـذا سقط من عين الله؛ والساقط من عينه قد خرج من كلاءتـه وحفظـه ورعايتـه، فليسـتعد للخـذلان في نوائب الدين والدنيا، فإنه إذا زالت عنـه رعايتـه ذهبت عصمته، وله في كل نائبة ورطة حتى تؤديـه إلى الورطة الكبرى سلب الدين، والانتكاص على العقبين، ومن سقط عـن عينـه لم يبـال في أي واد هلك. والعياذ بالله تعالى منه[1].

واعلم جيداً: أن الدعوة في سبيل الله تكـون باللسـان والقلـم والتربيـة ـ ذوقـاً وسـلوكاً ـ في مقامات الرجال التي تُهيأ للأُمةِ؛ والجهاد في سبيله ـ

(١) انظر ((نوادر الأصول في أحاديث الرسول)): (٢/٢٧٠، ٢٧١).

بالدعوة والمال وجهاد النفس والأنفس، غيرةً لله ﷻ لتكون: ﴿وَكَلِمَةُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٤٠﴾[1].

واعلم أيها الأخ الأعز: من زاد مقامه عند الله تعالى ـ زادتْ غَيْرَتُهُ على دينه وأهله والمسلمين، ومن ضَعُفَتْ غَيْرَتُهُ ضَعُفَ دينه، وابتعد عن الله تعالى، فكان عليه الذل والهوان في الدنيا والآخرة.

اللّهم؛ انصر من نصر الدين، واخذل من خذل المسلمين. واعلِ كلمة الحق، والنور المبين.

إِنْ أَبْطَأَت غَارَةُ ٱلْأَرْحَامِ وَابْتَعَدَتْ، فَأَقْرَبُ الشَّيْءِ مِنَّا غَارَةُ اللهِ، يَا غَارَةَ اللهِ جُدِّي السَّيْرَ مُسْرِعَةً فِي حَلِّ عُقْدَتِناَ، يَا غَارَةَ اللهِ عَدَا الْعَادُونَ وَجَارُوا، وَرَجَوْنَا اللهَ مُجِيراً ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ

(١) سورة التوبة.

نَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾[1] ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾[2]، ولا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيم، عدد ما علـم، وزنة ما علم، وملأ ما علم.

اللّهم؛ رضينا بك كفيلا، فكن اللّهم لنا وكيلا، يا ذا الجلال والإكرام لا إله إلا أنت.

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾[3].

سابعها: القلبُ الشفيق؛ والشفقة: علـو الهمـة لإزالة المكروه عن الناس، والرقي للأمة؛ قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾[4]،والرأفة: شدة الرحمة والشفقة.

---

(١) سورة النساء.

(٢) سورة آل عمران.

(٣) سورة البقرة.

(٤) سورة البقرة.

وفي الحقيقة: إرادة النعمة وتسمى الرحمةُ نعمةً مجازاً؛ لقوله تعالى: ﴿لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ (٤٩)، أي: رحمةٌ من ربه ﷻ.

ورحمةُ الله لعباده: إرادته الإحسان إليهم من غير علة، فالله أرحم بعباده من كل أحد، ورحمته في الدنيا عامة للمؤمنين والكافرين، وهي في الآخرة خاصة بالمؤمنين؛ كما قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ وَبِهَا تَعْطِفُ الْوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا وَأَخَّرَ اللَّهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، رواه مسلم وغيره[1]؛ وفي أخرى، لمسلم: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ، يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ

(١) ((صحيح مسلم)): كتاب التوبة . باب سعة رحمة الله وأنها سبقت غضبه، ((مسند الإمام احمد)): كتاب باقي مسند المكثرين . باب باقي المسند السابق، ((سنن ابن ماجه)): كتاب الزهد . باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة.

وَالأَرْضَ، مِائَةَ رَحْمَةٍ. كُلُّ رَحْمَةٍ طِبَاقَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ،فَجَعَلَ مِنْهَا فِي الأَرْضِ رَحْمَةً. فَبِهَا تَعْطِفُ الْوَالِدَةُ على وَلَدِهَا.وَالْوَحْشُ وَالطَّيْرُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ،فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ،أَكْمَلَهَا بِهَذِهِ الرَّحْمَةِ﴾ [1].

حكي أنه ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ كان في بعض الأسفار فمرّ بامرأة تخبز، ومعها صبي، فقيل لها: إن رسول الله ﷺ يمر، فجاءت، وقالت: يا رسول الله، بلغني أنك قلت: ﴿إن الله سبحانه وتعالى أرحم بعبيده من الوالدة بولدها..﴾، أفهو كما قيل لي؟ قال النبيُّ: ﴿نعم﴾. فقالت: إن الأمّ لا تلقي ولدها في هذا التنُور، فبكى ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ وقال: ﴿إن الله تعالى لا يعذّب بالنار إلا من أنف أن يقول لا إله إلا الله﴾ [2]، وعن ابن عباس ﷺ قال: رأى رسول الله ﷺ

(١) ((صحيح مسلم)): كتاب التوبة ـ باب سعة رحمة الله وأنها سبقت غضبه.

(٢) ((لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات)): للإمام فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي: (ت٦٠٦هـ)، (ص٣٤١).

يوم أوْطاس[1] امرأة تَعْدُو وتصيح ولا تستقر، فسأل عنها فقيل: فقدت بُنَيّاً لها، ثم رآها وقد وجدت ابنها وهي تقبّله وتدنيه، فدعاها وقال لأصحابه: «أطارحة هذه ولدها في النار؟» قالوا: لا. قال: «لِم؟» قالوا: لشفقتها. قال: «الله أرحم بكم منها» رواه مسلم[2].

ومن رحمته بعباده ﷻ أن يصونهم عن موجبات عقوبته، وإن عصمته عن الزلة أبلغ من باب الرحمة من غفرانه المعصية، وربما رحم عبداً بما يكون في

(١) "هو يوم حنين": عندما انهزم المسلمون ولم يبق مع رسول الله ﷺ إلا العباس وأبو سفيان بن حرب بن عبد المطلب وعدة من الأنصار، فنزل رسول الله ﷺ عن بغلته وأخذ السيف نحو العدو وجعل ينادي: يا أصحاب الشجرة، يا أصحاب سورة البقرة، إلي إلي، فأمده الله بخمسة آلاف من الملائكة ورجع إليه المسلمون وانهزم المشركون وأخذ المسلمون أموالهم وهو الذي يسمى يوم أوطاس فنزلت هذه الآية: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ﴿٢٥﴾ ﴾ [سورة التوبة]، فأخبر الله تعالى أن الغلبة ليست بكثرتكم ولكن بنصر الله تعالى. وكان ذلك من آيات الله تعالى.

(٢) ((تفسير القرطبي)): (١٠٣/٨)، وقال: خرجه مسلم بمعناه.

الظاهر مشقة وشدة، ولكنه في الباطن نعمة ورحمة، والعبد لا يعلم، فكم من عبد يرثي له الخلق لما به من الضر والفاقة وسوء الحال، وهو في الحقيقة في نعمة تغبطه عليها الملائكة.

والرحمةُ هي: الإحسانُ؛ وهما متحققان في قلب رسول الله ﷺ، لأنه الرحمةُ المهداة للعالمين: كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾، فـ﴿رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ هنا، أن لام الجنس دخل على العالَمِين وهو "جمعٌ" والقاعدة في اللغة العربية: أن لام الجنس إذا دخل على المفرد أفاد العموم، وإذا دخل على الجمع أفاد النوع؛ إذن: فنوعُ الرحمة المتجلية من الله ﷻ على خاتم الأنبياء والمرسلين ـ صلى الله عليه وعليهم أجمعين ـ رحمةٌ جلاليةٌ جماليةٌ، وهذه خاصةٌ لِرسُولِ اللهِ ﷺ، لا لِغَيْرِه.

وكما أنَّ الـرؤوفَ الـرّحيم؛ صـفتان خاصـتان برســول الله ﷺ كــذلك؛ كمــا قــال تعــالى: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾[1]، قـال الحـافظ الشـنقيطي ــ رحمـه الله تعـالى ــ في "الأضواء": ويفهم من قوله: ﴿وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ ٦﴾[2]، أنه هو ﷺ أب لهم، وقد روي عن أُبـي بـن كعـب وابـن عبـاس أنهمـا قـرءا: ﴿وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۖ وهو أب لهـم﴾، وهذه الأبوّة أبوّة دينية، وهو ﷺ أرأف بأُمّته من الوالد الشفيق بأولاده، وقد قال جلَّ وعـلا في

(١) سورة التوبة.

(٢) سورة الأحزاب.

رأفته ورحمته بهم: ﴿عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

ولله درّ حسان بن ثابت رضي الله عنه حيث قال:

أَغَـرُّ عَلَيْـهِ لِلنُّبُـوَّةِ خَـاتَمٌ ... مِـنَ اللهِ مَشْـهُودٌ يَلُـوحُ وَيَشْـهَدُ
وَضَمَّ الإِلَهُ اسْمَ النَّبِيِّ إِلَى اسْمِهِ ... إِذَا قَالَ فِي الخَمْسِ المُؤَذِّنُ أَشْهَدُ
وَشَـقَّ لَـهُ مِـنِ اسْـمِهِ لِيُجِلَّـهُ ... فَذُو العَرْشِ مَحْمُودٌ وَهَذَا مُحَمَّدُ

قال أهل العلم: أن النبيَّ ﷺ لما كان مخلوقاً كانت رأفته ورحمته مخلوقة، فصارت مخصوصة بالمؤمنين لضعف الخلقة، وأن الله تعالى لما كان خالقاً كانت رأفته ورحمته قديمة [أي: أزلية] فكانت عامة للناس لقوة خالقيته؛ كما قال تعالى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ ١٥٦﴾[2]، فمن تداركته الرأفة والرحمة الخالقية من الناس كان قابلاً للرأفة والرحمة النبوية؛

(١) ((أضواء البيان)): (٦/٢٣٢).
(٢) سورة الأعراف.

لأنها كانت من نتائج الرأفة والرحمة الخالقية: كما قال ـ جلَّ ذِكره: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴿١٥٩﴾ ﴾[1].

قولـه ﷻ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾، المعنـى: أنزلناهـا عليك، وخلقك وبعثك بها، وجعلها رحمةً عظيمـةً عليك وعلى أمتك.

﴿لِنتَ لَهُمْ﴾، أي: ألنت جانبك لهم وعـاملتهم بـألطف المعـاملات، وخـالقتهم بمكـارم الأخـلاق العليات التي حلاك بها الخلاق العظيم جلَّ جلاله.

ولما أخرج عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل في "زوائد الزهد": عَنْ أُبَيّ بن كَعْبٍ أَنَّ أَبَا هُرَيْـرَةَ كَانَ جَرِيًّا[2] عَلَى أَنْ يَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَن أَشْيَاءَ لا يَسْأَلُهُ عَنْهَا غَيْـرُهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَوَّلُ مَا رَأَيْتَ فِي

---

(١) سورة آل عمران.

(٢) جريا: أي جديراً.

أَمْرِ النُّبُوَّةِ؟ فَاسْتَوَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسًا، وَقَالَ: لَقَدْ سَأَلْتَ أَبَا هُرَيْرَةَ: «إِنِّي لَفِي صَحْرَاءَ ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ وَأَشْهُرٍ، وَإِذَا بِكَلامٍ فَوْقَ رَأْسِي، وَإِذَا رَجُلٌ يَقُولُ لِرَجُلٍ: أَهُوَ هُوَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَاسْتَقْبَلانِي بِوُجُوهٍ لَمْ أَرَهَا لِخَلْقٍ قَطُّ، وَأَرْوَاحٍ لَمْ أَجِدْهَا مِنْ خَلْقٍ قَطُّ، وَثِيَابٍ لَمْ أَرَهَا عَلَى أَحَدٍ قَطُّ، فَأَقْبَلا إِلَيَّ يَمْشِيَانِ حَتَّى أَخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِعَضُدِي[1]، لا أَجِدُ لأَحَدِهِمَا مَسًّا، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: أَضْجِعْهُ، فَأَضْجَعَانِي بِلا قَصْرٍ[2] وَلا هَصْرٍ[3]، وَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: افْلِقْ صَدْرَهُ، فَهَوَى أَحَدُهُمَا إِلَى صَدْرِي فَفَلَقَهَا، فِيمَا أَرَى بِلا دَمٍ وَلا وَجَعٍ، فَقَالَ لَهُ: أَخْرِجِ الْغِلَّ وَالْحَسَدَ، فَأَخْرَجَ شَيْئًا كَهَيْئَةِ الْعَلَقَةِ[4]، ثُمَّ نَبَذَهَا فَطَرَحَهَا، فَقَالَ لَهُ: أَدْخِلِ الرَّأْفَةَ وَالرَّحْمَةَ، فَإِذَا مِثْلُ الَّذِي أَخْرَجَ يُشْبِهُ الْفِضَّةَ، ثُمَّ هَزَّ

(١) العضد: ما بين المرفق إلى الكتف.

(٢) القصر: خلاف المد.

(٣) الهصر: ثني وخفض مع استقامة من غير تقويس.

(٤) العلقة: أي المضغة الصغيرة أو قطعة صغيرة من لحم.

إِبْهَامَ رِجْلِي الْيُمْنَى، فَقَالَ: اغْدُ وَاسْلَمْ، فَرَجَعْتُ بِهَا أَغْدُو رِقَّةً عَلَى الصَّغِيرِ، وَرَحْمَةً لِلْكَبِيرِ»، رواه الإمام احمد في "المسند" [1].

فأصبحتْ عندئذ أخلاقهُ الحميدة وأفعالهُ المرضية ظاهرة عليه؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [2]، فلما كانت أخلاق رسول الله ﷺ كاملة حميدة، وأفعاله المرضية الجميلة وافرة، وصفها الله تعالى بأنها عظيمة. وحقيقة الخلق قوى نفسانية يسهل على المتصف بها الإتيان بالأفعال الحميدة والآداب المرضية فيصير ذلك كالخلقة في صاحبه، ويدخل في حسن الخلق؛ التحرز من الشح والبخل والتشديد في المعاملات، ويستعمل في حسن الخلق التحبب إلى الناس بالقول والفعل والبذل وحسن

---

(١) ((مسند احمد)): كتاب مسند الأنصار . باب حديث محمد بن أبي بن كعب عن أبيه.

(٢) سورة القلم.

الأدب والمعاشرة بالمعروف مع الأقارب والأجانب والتساهل في جميع الأمور والتسامح بما يلزم من الحقوق وترك التقاطع والتهاجر واحتمال الأذى من الأعلى والأدنى مع طلاقة الوجه وإدامة البشر؛ فهذه الخصال تجمع جميع محاسن الأخلاق ومكارم الأفعال؛ ولقد كان جميع ذلك في رسول الله ﷺ[1].

ومن عظيم رأفته ورحمته: خُص بالشفاعة العظمى: كما قال تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾[2]، روى البخاري قال: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ: حَدَّثَنَا مَعْبَدُ بْنُ هِلالٍ الْعَنَزِيُّ قَالَ: اجْتَمَعْنَا نَاسٌ مِن أَهْلِ الْبَصْرَةِ، فَذَهَبْنَا إِلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وَذَهَبْنَا مَعَنَا بِثَابِتٍ

(١) ((تفيسير الخازن)): لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي: (ت٧٤١ هـ)، (٢٩٤/٤).

(٢) سورة الإسراء.

الْبُنَانِيِّ إِلَيْهِ، يَسْأَلُهُ لَنَا عَنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ، فَإِذَا هُوَ فِي قَصْرِهِ، فَوَافَقْنَاهُ يُصَلِّي الضُّحَى، فَاسْتَأْذَنَّا فَأَذِنَ لَنَا وَهُوَ قَاعِدٌ عَلَى فِرَاشِهِ، فَقُلْنَا لِثَابِتٍ: لا تَسْأَلْهُ عَنْ شَيْءٍ أَوَّلَ مِنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ، فَقَالَ: يَا أَبَا حَمْزَةَ، هَؤُلاءِ إِخْوَانُكَ مِن أَهْلِ الْبَصْرَةِ، جَاؤُوكَ يَسْأَلُونَكَ عَنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ، فَقَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ﷺ قَالَ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ فَإِنَّهُ خَلِيل الرَّحْمَنِ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللَّهِ، فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى فَإِنَّهُ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ، فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَيَأْتُونِي، فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي، وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا لا تَحْضُرُنِي الآنَ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ

الْمَحَامِدِ، وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِن إِيمَانٍ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ أَوْ خَرْدَلَةٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَال: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِن إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِن النَّارِ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ﴾، فَلَمَّا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ أَنَسٍ، قُلْتُ لِبَعْضِ أَصْحَابِنَا: لَوْ مَرَرْنَا

بِالْحَسَنِ، وَهُوَ مُتَوَارٍ فِي مَنْـزِلِ أَبِـي خَلِيفَـةَ، بِمَـا حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، فَأَتَيْنَاهُ فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ فَأَذِنَ لَنَا، فَقُلْنَا لَهُ: يَا أَبَا سَعِيدٍ، جِئْنَاكَ مِنْ عِنْدِ أَخِيـكَ أَنَـسِ بْنِ مَالِكٍ، فَلَمْ نَرَ مِثْلَ مَا حَدَّثَنَا فِي الشَّفَاعَةِ، فَقَالَ: هِيهِ، فَحَدَّثْنَاهُ بِالْحَدِيثِ، فَانْتَهَى إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ، فَقَالَ: هِيهِ، فَقُلْنَا: لَمْ يَزِدْ لَنَا عَلَى هَذَا، فَقَـالَ: لَقَـدْ حَدَّثَنِي، وَهُوَ جَمِيعٌ، مُنْذُ عِشْـرِينَ سَـنَةً، فَـلا أَدْرِي أَنَسِيَ أَمْ كَرِهَ أَنْ تَتَّكِلُوا، قُلْنَا: يَا أَبَا سَعِيدٍ، فَحَدِّثْنَا؛ فَضَحِكَ وَقَالَ: خُلِقَ الإِنْسَانُ عَجُولاً، مَا ذَكَرْتُـهُ إِلا وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُحَدِّثَكُمْ، حَدَّثَنِي كَمَا حَدَّثَكُمْ بِهِ، قَالَ: «ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ لا إِلَهَ

إِلَّا اللَّـهُ، فَيَقُـولُ: وَعِزَّتِـي وَجَلالِـي وَكِبْرِيَـائِي وَعَظَمَتِـي لأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ»، متفق عليه[1].

وفي روايةِ الـدارمي، قـال رسـول الله ﷺ: «أَنَا أَوَّلُهُمْ خُرُوجًا، وَأَنَا قَائِدُهُمْ إِذَا وَفَدُوا، وَأَنَا خَطِيبُهُمْ إِذَا أَنْصَتُوا، وَأَنَا مُسْتَشْفِعُكُمْ إِذَا حُبِسُوا، وَأَنَا مُبَشِّرُهُمْ إِذَا أَيِسُوا، الْكَرَامَةُ وَالْمَفَاتِيحُ يَوْمَئِذٍ بِيَدِي، وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّي يَطُوفُ عَلَيَّ أَلْفُ خَادِمٍ كَأَنَّهُمْ بَيْضٌ مَكْنُونٌ أَوْ لُؤْلُؤٌ مَنْثُورٌ»[2].

وفي روايةٍ أخرى: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا فَخْرَ، وَبِيَدِي لِوَاءُ الْحَمْدِ وَلا فَخْرَ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ

---

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب التوحيد . باب كلام الرب ﷻ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، ((صحيح مسلم)): كتاب الإيمان . باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها.

(٢) ((سنن الدارمي)): المقدمة . باب ما أعطي النبي ﷺ من الفضل.

يَوْمَئِـذٍ آدَمُ فَمَـنْ سِـوَاهُ إِلا تَحْـتَ لِـوَائِي، وَأَنَـا أَوَّلُ مَـنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ وَلا فَخْرَ﴾[١] .

وأخرج ابن المنذر وابن مردويه وأبو نُعـيم في "الحلية"[٢] من طريق حرب بن شريح قـال: قلـت لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين ﴿ﷺ﴾: أرأيت هذه الشفاعة التي يتحدث بها أهل العـراق أحـق هي؟ قال: أي والله، حدثني محمد بـن الحنفيـة عـن علي أن رسول الله ﷺ قال: ﴿أشفع لأمتي حتى يناديني ربي أرضيت يا محمد، فأقول: نعم يا رب رضيت﴾ ثـم أقبل علي فقال: إنكم تقولون يا معشر أهل العراق إن أرجى آيـة في كتـاب الله ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ

---

(١) ((مسند احمد)): كتاب ومن مسند بني هاشم . باب بداية مسند عبد الله بن العباس، ((سنن الترمذي)):كتاب المناقب . باب في فضل النبي ﷺ، واللفظ له، وقال: حديث حسن صحيح، ((سنن ابن ماجه)):كتاب الزهد . باب ذكر الشفاعة.

(٢) ((حلية الأولياء)): (١٧٩/٣).

جَمِيعًاۚ ﴿٥٣﴾﴾[1]، قلت: إنا لنقول ذلك، قال: لكنا أهل البيت نقول: إن أرجى آية في كتـاب الله: ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴿٥﴾﴾[2]، وهي الشفاعة[3].

واعلم أيها الأخ الأعز: إن رِقة القلب ناشئة من صفة الرحمة التي هي كمال، والله سبحانه إنما يرحم من عباده الرحماء؛ وقد كان رسول الله ﷺ أرق الناس قلباً وأبعدهم من الجزع. فرقة القلب: رأفة ورحمة، وجزعه: مرض وضعف؛ فالجزع حال قلب مـريض بالدنيا قد غشيه دخان النفس الأمارة، فأخذ بأنفاسه، وضيق عليه مسالك الآخرة، وصار في سجن الهوى والنفس، وهو سجن ضيق الأرجاء مظلم المسالك، فانحصار القلب وضيقه يجزع من أدنى ما يصيبه ولا

(١) سورة الزمر.

(٢) سورة الضحى.

(٣) ((فتح القدير)): (٥/٤٥٩).

يحتمله، فإذا أشرق فيه نور الإيمان واليقين بالوعد، وامتلأ من محبة الله وإجلاله رق وصارت فيه الرأفة والرحمة، فتراه رحيماً رقيق القلب بكل ذي قربى ومسلم يرحم النملة في جحرها والطير في وكره فضلاً عن بني جنسه، فهذا أقرب القلوب من الله؛ قال انس: كان رسول الله ﷺ أرحم الناس بالعيال. والله سبحانه ـ إذا أراد أن يرحم عبداً أسكن في قلبه الرأفة والرحمة، وإذا أراد أن يعذبه نزع من قلبه الرحمة والرأفة، وأبدله بهما الغلظة والقسوة، وفي الحديث الثابت: ﴿لا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إِلا مِنْ شَقِيٍّ﴾[1]

(١) ((مسند احمد)): كتاب باقي مسند المكثرين . باب مسند أبي هريرة، ((سنن الترمذي)): كتاب البر والصلة . باب ما جاء في رحمة الناس، ((سنن أبي داود)): كتاب الأدب ـ باب في الرحمة. قوله ﷺ: ((إلا من شقي)) قال الطِّيبِيُّ: لأن الرحمة في الخلق رقة القلب، والرقة في القلب علامة الإيمان، فمن لا رقة له لا إيمان له، ومن لا إيمان له شقي، فمن لا يرزق الرقة شقي. انظر ((تحفة الأحوذي)): (٦/٣٦).

وفيه: ﴿مَنْ لا يَرْحَمُ لا يُرْحَمُ﴾(١) وفيه: ﴿ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾(٢) وفيه: ﴿وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ﴾(٣). والصدِّيق رضي الله عنه إنما فضل الأمة بما كان في قلبه من الرحمة العامة زيادة على الصديقية، ولهذا أظهر أثرها في جميع مقدماته حتى في الأسارى يوم بدر، واستقر الأمر على ما أشار به وضرب له ﷺ

---

(١) عن أبي هريرة قَالَ: قَبَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا فَقَالَ الأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِن الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: ((مَنْ لا يَرْحَمُ لا يُرْحَمُ))، رواه البخاري في كتاب الأدب. باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، وفي ((صحيح مسلم)): كتاب الفضائل . باب رحمته الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، و((مسند احمد)): كتاب باقي مسند المكثرين. باب مسند أبي هريرة، و((سنن أبي داود)): كتاب الأدب. باب في قبلة الرجل ولده، و((سنن الترمذي)): كتاب البر والصلة. باب ما جاء في رحمة الولد.

(٢) ((سنن الترمذي)): كتاب البر والصلة . باب ما جاء في رحمة الناس، وقال: هذا حديث حسن صحيح، ((سنن أبي داود)): كتاب الأدب. باب في الرحمة.

(٣) ((صحيح مسلم)): كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها. باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار.

مثلاً بعيسى وإبراهيم[1]، والرب تعالى هو الرؤوف الرحيم، وأقرب الخلق إليه أعظمهم رأفة ورحمة، كما أن أبعدهم منه من اتصف بضد صفاته، وهذا باب لا يلجه إلا الأفراد في العالم[2].

قلتُ: ومن الرأفة والرحمة: مقامُ الإيثار ـ بالنفس والمال والحال؛ لقوله تعالى:﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾[3]، والإيثار: أن يقدم غيره على

(١) حين قال رسول الله ﷺ: ((ما تَقُولُونَ في هَؤُلاَءِ الأَسْرَى؟)) فقال أبو بَكْرٍ: يا رَسُولَ اللَّهِ، قَوْمُكَ وَأَهْلُكَ اسْتَبْقِهِمْ وَاسْتَأْنِ بِهِمْ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتُوبَ عليهم، فقال ﷺ: ((مَثَلَكَ يا أَبَا بَكْرٍ كَمَثَلِ إبراهيم عليه السلام قال: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [سورة إبراهيم]، وَمَثَلَكَ يا أَبَا بَكْرٍ كَمَثَلِ عِيسَى، قال﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [سورة المائدة]،رواه البخاري واحمد.

(٢) ((الروح)):لشمس الدين أبي عبد الله ابن قيم الجوزيَّة: (ت٧٥١هـ)، (ص٣٠٦،٣٠٥).

(٣) سورة الحشر.

نفسه في النفع له، والدفع عنه، وهو النهاية في الأخوة[1].

وأقول: الإيثار هو أن تتمنى وتحب لإخوانك أكثر مما تتمنى وتحب لنفسك.

والإيثار فضيلة قرآنية وأخلاقية نبيلة، لا يتحلى بها إلا أصحاب القلوب الكبيرة والهمم العالية والعزائم الثابتة، لأن الإيثار يحتاج في تحقيقه إلى صبر واحتمال وبذل وكرم، ولذلك قال القرطبي: (إن الإيثار هو تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيوية رغبةً في الحظوظ الدينية، وذلك ينشأ عن قوة اليقين، وتوكيد المحبة، والصبر على المشقة)[2].

ومن عظيم ذلك: الجود بالنفس، وأفضله الحمايةُ لدين الله تعالى، ولرسوله ﷺ؛ وأُمتهِ؛ كما

(١) ((التعريفات)): للإمام الجرجاني (ص٤٠).

(٢) ((موسوعة أخلاق القرآن)): للدكتور احمد الشرباصي: (١/٥٣-٥٤).

جاء في الصحيح، ((عن أَنَسٍ ﷺ قال: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ أَشْرَفَ النَّبِيُّ ﷺ يَنْظُرُ إلى الْقَوْمِ، فيقولُ أبو طَلْحَةَ: يا نَبِيَّ اللَّهِ، بِأَبِي أنتَ وَأُمِّي، لا تُشْرِف يُصيبُك سَهْمٌ من سِهَامِ الْقَوْمِ، نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ))، رواه الإمام البخاري[1].

ومنه، الماء الذي عُرض على عكرمة وأصحابه يوم اليرموك، فكل منهم يأمر بدفعه إلى صاحبه وهو جريح مثقل أحوج ما يكون إلى الماء، فرده الآخر إلى

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب مناقب الأنصار . باب مناقب أبي طلحة ﷺ: عن أَنَسٍ ﷺ قال: لَمَّا كان يَوْمُ أُحُدٍ انْهَزَمَ الناس عن النبي ﷺ، وأبو طَلْحَةَ بين يَدَي النبي ﷺ مَجُوِّبٌ بِهِ [أي: واق له] عليه بِحَجَفَةٍ [درع من جلد] له، وكان أبو طَلْحَةَ رَجُلاً رَامِيًا شَدِيدَ الْقِدِّ يَكْسِرُ يَوْمَئِذٍ قَوْسَيْنِ أو ثَلاثًا، وكان الرَّجُلُ يَمُرُّ معه الْجُعْبَةُ مِنَ النَّبْلِ، فيقول: ((انشرها لأَبِي طَلْحَةَ)) فَأَشْرَفَ النبي ﷺ يَنْظُرُ إلى الْقَوْمِ، فيقول أبو طَلْحَةَ: يا نَبِيَّ اللَّهِ، بِأَبِي أنت وَأُمِّي، لا تُشْرِفْ يصبك سَهْمٌ من سِهَامِ الْقَوْمِ، نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ. وَلَقَدْ رأيت عَائِشَةَ بِنْتَ أبي بَكْرٍ وَأُمَّ سُلَيْمٍ، وَإِنَّهُمَا لَمُشَمِّرَتَانِ [شمر: رفع الثوب إلى الكعبين] أَرَى خَدَمَ سُوقِهِمَا، تُنْقِزَانِ [النفز: الوثب، والمراد أنهما كانتا تحملان القرب وتقفزان بها] الْقِرَبَ على مُتُونِهِمَا، تُفْرِغَانِهِ في أَفْوَاهِ الْقَوْمِ، ثُمَّ تَرْجِعَانِ فَتَمْلآَنِهَا، ثُمَّ تجيئآن فَتُفْرِغَانِهِ في أَفْوَاهِ الْقَوْمِ، وَلَقَدْ وَقَعَ السَّيْفُ من يَدَي أبي طَلْحَةَ إِمَّا مَرَّتَيْنِ وَإِمَّا ثَلاثًا.

الثالث فما وصل إلى الثالث حتى ماتوا عن آخرهم ولم يشربه أحد منهم ـ رضي الله عنهم وأرضاهم[(١)]؛ وما رُوِيَّ عن أبي هريرة ﷺ قَالَ: أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَصَابَنِي الْجَهْدُ، فَأَرْسَلَ إِلَى نِسَائِهِ فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُنَّ شَيْئًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿أَلا رَجُلٌ يُضَيِّفُهُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ يَرْحَمُهُ اللَّهُ؟﴾. فَقَامَ رَجُلٌ مِن الأَنْصَارِ فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ فَقَالَ لامْرَأَتِهِ: ضَيْفُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لا تَدَّخِرِيهِ شَيْئًا، قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا عِنْدِي إِلا قُوتُ الصِّبْيَةِ، قَالَ: فَإِذَا أَرَادَ الصِّبْيَةُ الْعَشَاءَ فَنَوِّمِيهِمْ

---

(١) قال حذيفة العدوي: انطلقت يوم اليرموك أطلب بن عم لي ومعي شيء من الماء وأنا أقول: إن كان به رمق سقيته فإذا أنا به فقلت له: أسقيك فأشار برأسه أن نعم فإذا أنا برجل يقول: آه آه فأشار إلي بن عمي أن انطلق إليه فإذا هو هشام بن العاص فقلت: أسقيك فأشار أن نعم فسمع آخر يقول: آه آه فأشار هشام أن أنطلق إليه فجئته فإذا هو قد مات، فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات، فرجعت إلى بن عمي فإذا هو قد مات. انظر ((شعب الإيمان)): (٣/٢٦٠)، و ((تفسير القرطبي)): (١٨/٢٨)، و((الإصابة في تمييز الصحابة)): (٧/٧٢).

وَتَعَالَيْ، فَأَطْفِئِي السِّرَاجَ، وَنَطْوِي بُطُونَنَا اللَّيْلَةَ، فَفَعَلَتْ، ثُمَّ غَدَا الرَّجُلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «لَقَدْ عَجِبَ اللَّهُ ﷻ، أَوْ ضَحِكَ[1] مِنْ فُلانٍ وَفُلانَةَ».

فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ

---

(١) قوله:(لقد عجب الله عز وجل أو ضحك)كذا هنا بالشك: وذكره مسلم من طريق جرير عن فضيل ابن غزوان بلفظ " عجب " بغير شك، وعند ابن أبي الدنيا في حديث أنس " ضحك " بغير شك. وقال الخطابي: إطلاق العجب على الله محال ومعناه الرضا، فكأنه قال إن ذلك الصنيع حل من الرضا عند الله حلول العجب عندكم، قال: وقد يكون المراد بالعجب هنا أن الله يعجب ملائكته من صنيعهما لندور ما وقع منهما في العادة. قال: وقال أبو عبد الله: معنى الضحك هنا الرحمة. قلت: ولم أر ذلك النسخ التي وقعت لنا من البخاري، قال الخطابي: وتأويل الضحك بالرضا أقرب من تأويله بالرحمة، لأن الضحك من الكرام يدل على الرضا فإنهم يوصفون بالبشر عند السؤال. قلت:الرضا من الله يستلزم الرحمة وهو لازمه؛ قاله ابن حجر في ((فتح الباري)): (٨/٦٣٢).

خَصَاصَةٌ﴾[1]،وهذا المقام العظيم؛ كما قال رسول الله ﷺ: «أفضل الصدقة جهْدُ الْمُقِلِّ»[2].

ـ ومنه، الإيثار بالمال؛ كالعابد الذي يؤثر بدنياه غيره؛ كالكريم الذي يبني الدار لضيفانه وإخوانه، واللئيم الذي يبناها لنفسه فقط؛ لقوله تعالى: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴿١٧٧﴾﴾[3]، ولقوله تبارك وتعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴿٨﴾﴾[4]، أي حبّ الطعام وقلته وشهوتهم له، والحاجة إليه، فوصفهم الله تعالى بأنهم يؤثرون غيرهم على أنفسهم

---

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب تفسير القرآن . باب قوله تعالى:﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾الآية، ((صحيح مسلم)):كتاب الأشربة . باب إكرام الضيف وفضل إيثاره.

(٢) المقل: الفقير، والمراد صدقة من يملك القليل. قال الهندي في ((كنز العمال)) (١٥٥/٥): أخرجه الحاكم في "المستدرك": كتاب الزكاة، وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٣) سورة البقرة.

(٤) سورة الإنسان.

بالطعام، ويتحملون أتعابه في سبيل الله، ويواسون به أهل الحاجة؛ وذلك لأن أشرف أنواع الإحسان والبر؛ إطعام الطعام لأن به قوام الأبدان؛ قال ـ جلَّ ثناؤه: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾[1].

قال العلاّمة البروسوي في "تفسيره": اعلم أن مجامع الطاعات محصورة في أمرين: الطاعة لأمر الله؛ وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ ﴿٧﴾﴾[2]، أي بالأمر؛ والشفقة على خلق الله؛ وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ ﴿٨﴾﴾[3]، كما قال رسول الله ﷺ: «اعْبُدُوا الرَّحْمَنَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَأَفْشُوا السَّلامَ

(١) سورة آل عمران.

(٢) سورة الإنسان.

(٣) ((تفسير روح البيان)): (١٠/٢٦٥).

تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلامٍ﴾[1]، أي: بغير حساب. وقال ـ عليه الصّلاة والسّلام: ﴿مَثَلُ الْبَخِيلِ وَالْمُنْفِقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ[2] من حَدِيدٍ من ثُدِيِّهِمَا إلى تَرَاقِيهِمَا[3] فَأَمَّا الْمُنْفِقُ فلا يُنْفِقُ إلا سَبَغَتْ[4] أو وَفَرَتْ على جِلْدِهِ حتى تُخْفِيَ بَنَانَهُ[5] وَتَعْفُوَ أَثَرَهُ، وَأَمَّا الْبَخِيلُ فلا يُرِيدُ أَنْ يُنْفِقَ شيئاً إلا لَزِقَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا فَهُوَ يُوَسِّعُهَا ولا تَتَّسِعُ﴾[6]، وقال ﷺ: ﴿من أَطْعَمَ مُؤْمِنًا حتى يُشْبِعَهُ من سَغَبٍ أَدْخَلَهُ اللَّهُ بَابًا من أَبْوَابِ الْجَنَّةِ لا يُدْخِلُهُ إلا من كان مثله﴾[7].

---

(١) ((سنن الترمذي)): كتاب الأطعمة . باب ما جاء في فضل إطعام الطعام، وقال: هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(٢) الجبة: رداء يلبس فوق الثياب.

(٣) الترقوة: العظم الذي بين أعلى الصدر إلى العاتق.

(٤) سبغت: امتدت وغطت.

(٥) البنان: طرف الأصبع.

(٦) ((صحيح البخاري)): كتاب الزكاة . باب مثل المتصدق والبخيل، ((صحيح مسلم)): كتاب الزكاة . باب مثل المنفق والبخيل، ((مسند احمد)): كتاب باقي مسند المكثرين . باب باقي المسند السابق، ((سنن النسائي)): كتاب الزكاة . باب صدقة البخيل.

(٧) ((المعجم الكبير)): (٢٠/٨٥).

وقال ـ عليه الصّلاة والسّلام: ﴿إن الله عز وجل ليدخل بلقمة الخبز وقبصة التمر ومثله مما ينفع المسكين ثلاثة الجنة: الآمر به، والزوجة المصلحة له، والخادم الذي يناول المسكين﴾، وقال رسول الله ﷺ: ﴿الحمد لله الذي لم ينس خدمنا﴾[١].

سُئل الشيخ الكبير عبد القادر الكَيلاني رضي الله عنه: بمَّ وصلت إلى هذا المقام؟ فقال: (بإطعام الطعام، والتواضع، وسلامة الصدر).كما قال رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا، أَعَدَّهَا اللَّهُ تعالى لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَفْشَى السَّلامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ﴾،رواه ابن حِبّان[٢].

---

(١) ((المستدرك على الصحيحين)): (٤/١٤٩)، ((المعجم الأوسط)): (٥/٢٧٨).

(٢) ((صحيح ابن حبان)): (٢/٢٦٢).

وفي روايةٍ أخرى: «هي لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وبات قائماً والناس نيام»، رواه الطبراني والحاكم، وقال: صحيح على شرطهما [1].

ـ ومن عظيم هذا، الإيثار بالحال والحسنات؛ كالعارف بالله الذي يؤثر بالجنة غَيْرَهُ؛ ومن قبيل ذلك؛ ما يقوله أبو الحسين النوري بدعائه: اللّهم إن يكن قد سبق في مشيئتك التي لا تتخلف أن تملأ النار من الناس أجمعين، فإنك قادر على أن تملأها بي وحدي وأن تذهب بهم إلى الجنّة [2].

---

(١) الحديث: عن عبد الله بن عمرو ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: ((إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها)) فقال أبو مالك الأشعري: لمن هي يا رسول الله؟ قال: ((هي لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وبات قائماً والناس نيام)) قال المنذري في ((الترغيب والترهيب))، (٤/٢٨٥): رواه الطبراني والحاكم وقال: صحيح على شرطهما ورواه أحمد وابن حبان في صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري إلا أنه قال: ((أعدها الله لمن أطعم الطعام، وأفشى السلام، وصلى بالليل والناس نيام)).

(٢) ((لطائف الإشارات)): (٦/١٣٠).

ـ وكما كان يدعو شيخي وأستاذي العارف بالله الشيخ مصطفى كمال الدين النقشبندي ـ طيب الله روحه وذِكرَه وثراه، قائلاً: اللّهم إن أردت أن تعذب أحبابي فعذبني مكانهم، أهدي كل حسناتي لرسول الله ﷺ وآله وأصحابه وأحبابي، وأقفُ أمام ربي وأنا صفر الأيادي، لأن الكريم الذي يعمل مأدبة طعام يِكْبُرِ مدينة كبرى، عيبٌ عليَّ أن ائتِ بقطعة من الخُبز آكل بها؛ فأريد أن أذهب إلى ربي ولا حسنةَ عندي، إلا من مأدبة فضله وكرمه جلَّ جلالُهُ وعمَّ نوالُهُ.

قلتُ: افتقرنا ورجونا الله تعالى،ونرجوه القبول.

فقد اشتهر أن النبي ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ لما كُسرت رباعيته قال: ﴿اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون﴾، فظهر أنه يوم القيامة يقول: ﴿أمتي، أمتي﴾،

فهذا كرم عظيم منه في الدنيا وفي الآخرة. بل ستكون شفاعته لأهل الكبائر من أمته يوم القيامة؛ لقوله ﷺ: ﴿شَفَاعَتِي لأَهْلِ الْكَبَائِرِ من أُمَّتِي﴾[1].

قوله ﷺ: ﴿شَفَاعَتِي﴾، قال المناوي في "التيسير": الإضافةُ: بمعنى "ال" العهدية، أي: الشفاعة التي وعدني الله ادخرتها، ﴿لأَهْلِ الْكَبَائِرِ من أُمَّتِي﴾، أي: لوضع السيئات والعفو عن الكبائر، أما الشفاعة لرفع الدرجات، فلكل من الأتقياء والأولياء، وذلك متفق عليه بين أهل الملة، وقال الطيبي (رحمه الله): أي شفاعتي التي تنجي الهالكين، مختصة بأهل الكبائر، قال النووي في "شرح مسلم"[2]: قال القاضي عياض: مذهبُ أهل السنة جوازُ الشفاعة

---

(١) ((مسند احمد)): كتاب باقي مسند المكثرين . باب باقي المسند السابق، ((سنن أبي داود)): كتاب السنة . باب في الشفاعة، ((سنن الترمذي)): كتاب صفة القيامة . باب منه، وقال: حديث حسن صحيح غريب.

(٢) ((شرح صحيح الإمام مسلم)): (٢/٣٩ ، ٤٠).

عقلاً، ووجوبها سمعاً، بصريح قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴿٢٨﴾﴾[2]، وأمثالهما، ويخبر الصادق ﷺ وَقَدْ جاءت الآثار التي بلغت بمجموعها التواتر، بصحة الشفاعة في الآخرة، لمذنبي المؤمنين، وأجمع السلف الصالح ومن بعدهم من أهل السنة عليها.

لكن الشفاعة خمسة أقسام:

أولها: مختصة بنبينا ﷺ، وهي الإراحة من هول الموقف وتعجيل الحساب.

الثانية: في إدخال قوم الجنة بغير حساب، وهذه أيضاً وردت لنبيِّنا ﷺ وقد ذكرها مسلم.

---

(١) سورة طه.

(٢) سورة الأنبياء.

الثالثة: الشفاعة لقوم استوجبوا النار، فيشفع فيهم نبينا ﷺ ومن يشاء الله تعالى.

الرابعة: في من دخل النار من المذنبين، فقد جاءت الأحاديث لإخراجهم من النار بشفاعة نبينا ﷺ والملائكة وإخوانهم من المؤمنين، ثم يخرج الله تعالى كل من قال: لا إِله إلاَّ الله، كما جاء في الحديث: «لاَ يَبْقَى فِيهَا إلاَّ الْكَافِرُونَ».

الخامسة: الشفاعة في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها، انتهى(١).

وإنّ ممّا أكرم به رب العالمين؛ العلماء العاملين والشهداء المخلصين فمن عظيم مننه عليهم أن جعل لهم من فيض رحمته الشفاعة فيمن سواهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ

---

(١) ((تحفة الأحوذي)): (٧/١٧١، ١٧٢).

خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [1]، ولما أخرجه ابن ماجه عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ عن النَّبيّ ﷺ قال: ﴿يَشْفَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلاثَةٌ الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْعُلَمَاءُ، ثُمَّ الشُّهَدَاءُ﴾[2]، وفي رواية البيهقي: ﴿يُبعثُ العالم والعابدُ، فيقال للعابد ادخل الجنّة، ويقال للعالم اثبت حتى تشفع فيما أحسنت أدبَهم﴾[3]، وفي أخرى: ﴿أَوَّلُ مَنْ يَشْفَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْعُلَمَاءُ، ثُمَّ الشَّهَدَاءُ﴾[4]. قوله ﷺ: ﴿أَوَّلُ مَنْ يَشْفَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ عند الله تعالى ﴿الأَنْبِيَاءُ﴾ الفائزون بالإحاطة بالعلم والعمل، المجاوزون حدّ الكمال إلى درجة التكميل ﴿ثُمَّ الْعُلَمَاءُ﴾ الذين يكون عرفانهم بالبراهين القاطعة وهم العلماء

---

(١) سورة الأنبياء.

(٢) ((سنن ابن ماجه)): كتاب الزهد . باب ذكر الشفاعة، بسند حسن.

(٣) ((شعب الإيمان)): (٢/٢٦٨).

(٤) قال العلاّمة المناوي في ((فيض القدير))، (٣/١٢٠): أخرجه المَوْهِبي في ((فضل العلم))، وكذا أبو الشيخ، والديلمي.

الراسخون في العلم، العاملون به، الذين هم شهداء الله في أرضه ﴿ثُمَّ الشَّهَدَاءُ﴾ الذين أدّى بهم الحرص على الطاعة والجد في إظهار الحق حتى بذلوا مهجهم في إعلاء كلمة الله. ذكره كله القاضي. قال القرطبي: فأعظم بمرتبة هي بين النبوّة والشهادة[1]. قال العلاّمة الزبيدي: ولما كان العلماء يحسنون إلى الناس بعلمهم الذي أفنوا فيه نفائس أوقاتهم ـ أكرمهم الله تعالى بولاية مقام الإحسان إليهم في الآخرة بالشفاعة فيهم جزاءً وفاقا؛ وقد أخذ بقضية هذا الخبر جمع[2].

وكل ذلك من فضل الله ورحمته: كما قال رسول الله ﷺ: ﴿لَنْ ينجى أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ﴾ قال رَجُلٌ: ولا إِيَّاكَ يا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: ﴿ولا إِيَّايَ إلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ

---

(١) ((فيض القدير)): (٣/١٢٠).

(٢) ((إتحاف السادة المتقين)): (١/٨١،٨٠).

الله منه بِرَحْمَةٍ وَلَكِنْ سَدِّدُوا﴾، رواه البخاري ومسلم وأحمد وابن ماجه[1].

قال الحافظ الشنقيطي في "الأضواء": أن العمل لا يكون سبباً لدخول الجنة إلا إذا تقبله الله تعالى، وتقبله له فضل منه، فالفعل الذي هو سبب لدخول الجنة هو الذي تقبله الله بفضله، وغيره من الأعمال لا يكون سبباً لدخول الجنة[2].

قال العلامة محمد تقي العثماني في "فتح الملهِم": قوله: ﴿لَنْ ينجى أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ﴾ ظاهره يبدو معارضاً لقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب المرضى . باب تمني المريض الموت، ((صحيح مسلم)): كتاب صفة القيامة والجنة والنار . باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى، ((مسند احمد)): كتاب باقي مسند المكثرين . باب مسند أبي هريرة، ((سنن ابن ماجه)): كتاب الزهد . باب التوقي على العمل.

(٢) ((أضواء البيان)): (٣/٣٥٤).

﴿أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ٧٢﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ٣٢﴾[2]، وقد ذكر العلماء في طريق الجمع بينهما وجوهاً، منها: إنّ الأعمال وإن كانت سبباً ظاهراً للنّجاة، كما ذُكر في الآيتين، ولكن التوفيق للأعمال ليس إلا من رحمة الله تعالى، ولولا رحمة الله السابقة ما حصل الإيمان ولا الطاعة التي يحصل بها النجاة، وإلى ذلك أشار حديث الباب، بأن العمل بمجرده لا يُنجي الإنسان، بل سببه الأخير هو رحمة الله تعالى.

ويقال: إن منافع العبد لسيّده، فعمله مستحَقّ لمولاه، فمهما أنعم عليه من الجزاء فهو من فضله.

(١) سورة الزخرف.

(٢) سورة النحل.

ويقال: إنّ نفس دخول الجنّة لا يتحصل إلا برحمة الله تعالى، وأما الدرجات المتفاوتة في الجنة، فهي بسبب الأعمال، وهو اختيار ابن بطال؛ وقيل غير ذلك.

قال العبد الضعيف عفا الله عنه: حاصل معظم هذا الأقوال واحد، وهو أنّ الأعمال بمجردها لا تصلح أن تكون علّة تامّة لدخول الجنّة، لأنّ عمل الإنسان، مهما بلغ الذروة من الكمال، فإنّه ناقص في جناب الله تعالى، ولأنّ العمل المتناهي يقصر من أن يكون علّة للنعم الخالدة في الجنّة، ولكنّ الله ﷻ جعل الأعمال سبباً لدخول الجنّة بمحض فضله وكرمه، فالنفي في حديث الباب نفي لكون الأعمال سبباً في نفسها بحيث تستحق الجنّة من أصلها،

والسببية المذكورة في الآيتين سببيّة حصلت بفضل الله ورحمته، فلا تنافي بينهما، والله اعلم[1].

قلتُ: سبب دخول الجنّة: هو العمل والإخلاص، فيُقبل عند الله عز وجل، وقبولهُ من رحمة الله تعالى وفضله؛ كما قال ـ جلَّ وعلا: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾[3]، ولقوله عز وجل: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾[4].

(١) ((فتح الملهم)): (١٢٩/١٢).

(٢) سورة المائدة.

(٣) سورة البينة.

(٤) سورة البقرة.

ثم "أي أخي": إن نعم الله تعالى لا تُعَدُّ ولا تُحصى، ظاهرةً، وباطنةً، عاجلةً، وآجلة، ومنها الجنة، وفوقها المزيد، ثم الرضوان الأكبر؛ وكل ذلك من رحمة الله تعالى، ومن محض تجليات الحق ـ جلَّ وعلا ـ من جلالٍ وجمال ـ جلَّ جلالُهُ وعمَّ نواله.

اللّهم؛ أدم علينا نعمائك الظاهرة والباطنة.

اللّهم؛ نسألك الفردوس الأعلى برحمتك، والكرم اللائق بذاتك الأقدس يا الله ـ تبارك وتعالى ربّنا وتقدس.

يا أرحم الراحمين؛ ارحم أمة الإسلام، وأوصل الأحباب إليك، اللّهم؛ آمين آمين.

واعلم أيّها الحبيب الأعز: أنَّ رحمةَ اللهِ منقسمةٌ إلى ثلاثةِ مراتبَ.

المرتبةُ الأولى: رحمةٌ عامةٌ للخلائقِ كلِّها: كما قال رسول الله ﷺ: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا وَأَنْزَلَ فِي الأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ يَتَرَاحَمُ الْخَلْقُ حَتَّى تَرْفَعَ الْفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ﴾(١)، وفي روايةٍ: ﴿إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ يوم خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مِائَةَ رَحْمَةٍ كُلُّ رَحْمَةٍ طِبَاقَ ما بين السَّمَاءِ وَالأَرْضِ فَجَعَلَ منها في الأرض رَحْمَةً فَبِهَا تَعْطِفُ الْوَالِدَةُ على وَلَدِهَا وَالْوَحْشُ وَالطَّيْرُ بَعْضُهَا على بَعْضٍ فإذا كان يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَكْمَلَهَا بِهَذِهِ الرَّحْمَةِ﴾(٢)، وأخرى: ﴿إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ فَمِنْهَا رَحْمَةٌ بها يَتَرَاحَمُ الْخَلْقُ بَيْنَهُمْ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾(٣)، وأخرى: ﴿لَمَّا خَلَقَ الله الْخَلْقَ كَتَبَ

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب الأدب . باب جعل الله الرحمة مائة جزء، ((صحيح مسلم)): كتاب التوبة . باب سعة رحمة الله وأنها سبقت غضبه.

(٢) ((صحيح مسلم)): كتاب التوبة . باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه.

(٣) ((صحيح مسلم)): كتاب التوبة . باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه.

فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي﴾(١).

قال الإمام النووي: هذه الأحاديث من أحاديث الرجاء والبشارة للمسلمين؛ قال العلماء لأنه إذا حصل للإنسان من رحمة واحدة في هذه الدار المبنية على الأكدار، الإسلام والقرآن والصلاة والرحمة في قلبه وغير ذلك مما أنعم الله تعالى به فكيف الظن بمائة في الدار الآخرة وهى دار القرار ودار الجزاء(٢).

وقال في "فتح المُلهِم": قوله: ﴿مِائَةَ جُزْءٍ﴾ ذهب الكرماني إلى أن ذكر المائة إنما جرى على سبيل التمثيل تسهيلاً للفهم وتقليلاً لما عند الخلق

---

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب بدء الخلق . باب ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الروم]، ((صحيح مسلم)): كتاب التوبة . باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، ((مسند احمد)): كتاب باقي مسند المكثرين . باب مسند أبي هريرة.

(٢) ((شرح صحيح مسلم)): (٦٨/١٧).

وتكثيراً لما عند الله سبحانه، وإلا رحمة الله تعالى غير متناهية .

وذكر المهلّب ما يفيد أن الرحمة رحمتان: رحمة من صفة الذات وهي لا تتعدد ولا تتجزأ، ورحمة من صفة الفعل، وهي المشار إليها ههنا.

وقال القرطبي: "مقتضى هذا الحديث أن الله علم أن أنواع النعم التي ينعم بها على خلقه مائة نوع، فأنعم عليهم في هذه الدنيا بنوع واحد انتظمت به مصالحهم وحصلت به مرافقهم. فإذا كان يوم القيامة كمل لعباده المؤمنين ما بقى، فبلغت مائة، وكلها للمؤمنين. وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [1]، فإن ﴿رَحِيمًا﴾ من أبنية المبالغة التي لا شيء فوقها، ويفهم من هذا أن

(١) سورة الأحزاب.

الكفار لا يبقى لهم حظٌّ من الرحمة، لا من جنس رحمات الدنيا ولا من غيرها إذا كمل كل ما كان في علم الله من الرحمات للمؤمنين، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [1].

كما قال ـ جلَّ ثناؤه: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾، والمعنى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ﴾ أي عمت ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ في الدنيا ـ المؤمن والكافر بل المكلف وغيره، وإنما انتفت في الآخرة عن الكفار لأنهم أبوا أن يرحمهم الله تعالى وجعلوا له شركاء؛ قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إلا من أَبَى» قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قال: «من أَطَاعَنِي

(١) ((تكملة فتح الملهم)):(١٢/١٣-١٤)،((فتح الباري)):(١٠/٤٣٣)،راجعه للتفصيل.

دخل الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»[1]، ﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾ أي اثبتهـا واعينهـا في الآخـرة ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ أي الكفـر والمعاصـي ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ﴾ خصـها بالذكر لأنها أشق عليهم ﴿وَالَّذِينَ هُم﴾ أي جميعاً ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ أي إيماناً مستمراً فلا يكفرون بشيء منها.

وقـال الإمـام الفخـر الـرازي في "تفسيره": وصف نفسه بكونه رحماناً رحيماً، ثـم إنـه أعطى مريم عليها السلام رحمة واحدة حيث قال: ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ٢١﴾[2] فتلك الرحمة صـارت سبباً لنجاتها من توبيخ الكفـار الفجـار، ثـم إنـا نصفه كل يوم أربعة وثلاثين مرة أنه رحمـان وأنـه

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة. باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ.

(٢) سورة مريم.

رحيم، وذلك لأن الصلوات سبع عشرة ركعة، ويقرأ لفظ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣﴾ في كل ركعة مرتين مرة في ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ومرة في قوله: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣﴾[1]، فلما صار ذكر الرحمة مرة واحدة سبباً لخلاص مريم عليها السلام عن المكروهات أفلا يصير ذكر الرحمة هذه المرات الكثيرة طول العمر سبباً لنجاة المسلمين من النار والعار والدمار؟، روي أن فتى قربت وفاته واعتقل لسانه عن شهادة أن لا إله إلا الله، فأتوا النبيّ ﷺ وأخبروه به، فقام ودخل عليه، وجعل يعرض عليه الشهادة وهو يتحرك ويضطرب ولا يعمل لسانه فقال النّبيّ ﷺ: «أما كان يصلي؟ أما كان يصوم؟ أما كان يزكي؟» فقالوا: بلى، فقال: «هل عق والديه؟»

(١) سورة الفاتحة.

فقالوا بلى، فقال عليه السلام: ﴿هاتوا بأمه﴾، فجاءت وهي عجوز عوراء فقال عليه السلام: ﴿هلا عفوت عنه﴾، فقالت: لا أعفو لأنه لطمني ففقأ عيني، فقال عليه السلام: ﴿هاتوا بالحطب والنار﴾، فقالت: وما تصنع بالنار؟ فقال عليه السلام: ﴿أحرقه بالنار بين يديك جزاء لما عمل بك﴾، فقالت عفوت عفوت، أللنار حملته تسعة أشهر؟ أللنار أرضعته سنتين؟ فأين رحمة الأم؟ فعند ذلك انطلق لسانه، وذكر أشهد أن لا إله إلا الله، والنكتة أنها كانت رحيمة وما كانت رحمانة فلأجل ذلك القدر القليل من الرحمة ما جوزت الإحراق بالنار، فالرحمن الرحيم الذي لم يتضرر بجنايات عبيده مع عنايته بعباده كيف يستجيز أن يحرق

المؤمن الذي واظب على شهادة أن لا إله إلا الله سبعين سنة بالنار؟[1].

المرتبة الثانية: رحمةٌ خاصة، وهي للأنبياء والأصفياء من هذه الأمة المرحومة: قال تعالى: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝٧٤﴾[2]، والمعنى: تباينت مقامات أفراد الإنسان في العلم والعمل والأخلاق وسائر الصفات الفاضلة رحمة لهم، ولم يكن ذلك إلا بتقدير العزيز العليم[3]؛ لقوله ـ جلَّ جلاله وعمَّ نواله: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝٧٥﴾[4]، ولقوله عزَّ شأنه: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ

(١) ((التفسير الكبير)): (١/٢٣٤،٢٣٥).

(٢) سورة آل عمران.

(٣) ((روح البيان)): (٢/٥١).

(٤) سورة الحج.

رِسَالَتَهُۥ ﴿١٢٤﴾[1]، قال العلاّمة الآلوسي: وما في "المواقف": من أنه لا يشترط في الإرسال الاستعداد الذاتي، بل الله تعالى يختص برحمته من يشاء؛ محمول على الاستعداد الذاتي الموجب، فقد جرت عادة الله تعالى أن يبعث من كل قوم أشرفهم وأطهرهم جبلّةً[2].

وفي "اللطائف": يختص من يشاء بفنون إنعامه، فالرحمة على هذا سبب لتخصيص النعمة لمن أراده. ولا بُدَّ من إضمار فيحتمل أن يختص بالرحمة من يشاء فلا تجري الرحمة مجرى السبب فالرحمة على هذا التأويل تكون بمعنى النبوة وتكون بمعنى الولاية.

(١) سورة الأنعام.

(٢) ((تفسير روح المعاني)): (٨/٢٢).

وبمعنى العصمة: وجميع أقسام الخيرات التي يختصُّ ـ بشيء منها ـ عبداً من عباده، فيدخل تحت قوله: ﴿يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ﴾، أي بنعمته.

فقومٌ اختصهم بنعمة الأخلاق، وقومٌ اختصهم بنعمة الأرزاق، وقوم اختصهم بنعمة العبادة، وآخرين بنعمة الإرادة، وآخرين بتوفيق الظواهر، وآخرين بعطاء الأبشار، وآخرين بلقاء الأسرار، قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨﴾[1]، أي: لا تطيقوا حصرها لعدم تناهيها؛ قال العلامة البيضاوي: أي لا تضبطوا عددها فضلاً عن أن تطيقوا القيام بشكرها اتبع ذلك تعداد النعم، وإلزام الحجة على

(١) سورة النحل. ((لطائف الإشارات)): للإمام القشيري (٢٦٣/١).

تفرده باستحقاق العبادة تنبيهًا على أن وراء ما عدد نعمًا لا تنحصر وأن حق عبادته غير مقدور.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ﴾ حيث يتجاوز عن تقصيركم في أداء شكرها.﴿رَّحِيمٌ﴾ لا يقطعها لتفريطكم فيه ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها.

قوله: (فضلاً عن أن تطيقوا بشكرها) يعني أن الاشتغال بشكر النعم مشروط بعلم المنعم عليه بتلك النعم على سبيل التفصيل فإن ما لا يكون معلوماً امتنع الاشتغال بشكره، وإذا كان عقل الإنسان قاصراً عن إحصاء نعم الله تعالى والإحاطة بها تفصيلاً امتنع منه أن يشتغل بشكرها على الوجه الذي يكون ذلك الشكر لائقاً بتلك النعم. فلما كان إحصاء النعم والعلم بتفاصيلها من لوازم الطاقة على القيام بشكرها كان انتفاء الإحصاء

مستلزماً لانتفاء الطاقة على الشكر. فإن قيل: إذا لم يكن القيام بالشكر مما لا يطيقه الإنسان فكيف أمرهم الله تعالى بذلك؟ فالجواب أن الشكر المأمور به هو الاشتغال بالعبادة على حسب الطاقة بأن يلاحظ كمال عظمة الله وكبريائه، وكثرة ما أنعم به عليه من وجوه فضله وإحسانه، ويجتهد في رعاية حدوده وتكاليفه، على حسب طاقته واستطاعته[1].

وقوله ـ جل ثناؤه: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ
ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ
سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾
جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ
وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ
إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ

(١) ((حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي)): وهو الشيخ محمد بن مصلح الدّين مصطفى القوجوي الحنفيّ: (ت٩٥١هـ)، (٥/٢٥٩).

﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ۝٣٥﴾[1]. قال ابن عباس رضي الله عنه: "السَّابِقُ بالخيراتِ يدخُلُ الجنَّةَ بغيرِ حسابٍ، والمُقْتصِدُ يدخُلُ الجنَّةَ برحمة الله، والظَّالِمُ لِنَفسِهِ يَدْخُلُ الجنَّةَ بشفاعةِ النّبيِّ محمّدٍ ﷺ"[2].

روى البغوي بسنده عن أبي ثابت أن رجلاً دخل المسجد فقال: اللّهم أرحم غربتي وآنس وحشتي وسُق إليَّ جليساً صالحاً، فقال أبو الدرداء رضي الله عنه: لئن كنت صادقاً لأنا أسعد بك منك سمعت

---

(١) سورة فاطر.

(٢) ومن معاني قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾: وهو المُفرّط في فعل بعض الواجبات، المرتكِب لبعض المنهيّات، وهو الذي خَلط عملاً صالحاً وآخر سيِّئاً. وقوله: ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾: وهو المؤدِّي للواجبات التارك للمحرمات، وقد يترك بعض المستحبات، ويفعل بعض المكروهات. وقوله ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ وهو الفاعل للواجبات، التارك للمحرمات والمكروهات، وبعض المباحات. ويقال ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾: ذو الإنابة. و ((المقتصد)): صاحب الخلة. و ((السابق)): صاحب المحبة. وهناك معان كثيرة ذكرها الإمام القرطبي في "تفسيره": (١٤/٣٤٦- ٣٤٩).

رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية فقال: ﴿أما السابق فيدخل الجنة بغير حساب، وأما المقتصد فيحاسبه حساباً يسيراً، وأما الظالم لنفسه فيحبس في المقام حتى يدخله الهم ثم يدخله الجنة﴾ ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾، ورواه أحمد وابن جرير والطبراني والحاكم والبيهقي وفيه: ﴿فأما الذين ظلموا فأولئك الذين يحبسون في طول المحشر ثم هم الذين تلافاهم الله برحمته لهم، الذين يقولون: ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ قال البيهقي: له طرق عن أبي الدرداء، قال: وإذا كثرت طرق الحديث ظهر أن للحديث أصلاً[1]. قال الترمذي: غريب حسن. "لشواهده".

(١) ((تفسير المظهري)): (٨/٢٠).

المرتبة الثالثة: خاصةُ خاصةِ الرحمة، وهي: خاصةٌ لنبيّنا محمّدٍ ﷺ: كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [1]؛ هـذا خطـاب للـنّبيّ عليه السلام فقـط، وإشارته خطاب لكل واحد من ورثته الـذين هـم على مشربه إلى يوم القيامة بحسـب كونـه مظهـراً لإرثه. وقال بعض الكبار: إنما كـان رحمـة للعـالمين بسبب اتصافه بالخُلق العظـيم، ورعايتـه المراتـب كلّها في محالها ـ كالملك والملكوت والطبيعة والنفس والروح والسر. وفي سورة مريم بين قولـه: ﴿وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ ٢١﴾ [2]، في حق عيسى عليه السلام وبين قوله في حـق نبيّنا عليه الصّلاة والسّـلام: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ فرق عظيم وهو: أنه في حق عيسـى ذكـر

(١) سورة الأنبياء.

(٢) سورة مريم.

الرحمة مقيدة بحرف من، ومن للتبعيض؛ فلهذا كان رحمة لمن آمن به واتبع ما جاء به، إلى أن بعث نبيّنا ﷺ، ثم انقطعت الرحمة من أمته بنسخ دينه؛ وفي حق نبيّنا ﷺ، ذكر الرحمة للعالمين مطلقاً؛ فلهذا لا تنقطع الرحمة عن العالمين أبداً، أما في الدنيا فبأن لا ينسخ دينه، وأما في الآخرة فبأن يكون الخلق محتاجين إلى شفاعته حتى إبراهيم ﷺ. فافهم جداً[1].

قال ابن عباس رضي الله عنه: هو عام في حق من آمن، ومن لم يؤمن، فمن آمن فهو رحمة له في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن فهو رحمة له في الدنيا بتأخير العذاب عنه، ورفع المسخ، والخسف، والاستئصال؛ لقول رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ»[2].

(١) انظر ((تفسير روح البيان)): للعلامة إسماعيل حقي البروسوي: (٥/٥٢٨).

(٢) ((سنن الدارمي)): المقدمة . باب كيف كان شأن النبي ﷺ، ((مصنف ابن أبي شيبة)): (٦/٣٢٥)، قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد))، (٨/٢٥٧): رواه البزار والطبراني في "الصغير" و "الأوسط" ورجال البزار رجال الصحيح.

وأخرى للحافظ أبي القاسم الطبراني، قال ابن عباس: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ من تبعه كان له رحمة في الدنيا والآخرة، ومن لم يتبعه عوفي مما كان يبتلى به سائر الأمم من الخسف والمسخ والقذف[1].

قال القاضي عياض في "الشفا"[2]: حُكيَ أنَّ النبيَّ ﷺ قال لجبريل عليه السلام: «هَلْ أَصَابَكَ مِنْ هذِهِ الرَّحْمَةِ شَيءٌ» قال: نَعَمْ، كُنْتُ أخْشَى الْعَاقِبَةَ فأَمِنْتُ لِثَنَاءِ اللهِ عز وجل عَليَّ بِقولِهِ: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ٢١﴾[3].

ومن رحمته وشفقته ـ عليه الصّلاة والسّلام حمله لهموم أمته في الدنيا والآخرة: لما روى مسلم

(١) انظر: ((تفسير ابن كثير)): (٣/٢٠٢).

(٢) (١/١٧)

(٣) سورة التكوير.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَـاصِ؛ ﴿أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَفَعَ يَدَيْهِ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ، أُمَّتِي أُمَّتِي. وَبَكَى: فَقَالَ اللَّهُ ﷻ: يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ، فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ؟ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ ـ عليه الصّلاة والسّلام، فَسَأَلَهُ. فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَا قَالَ، وَهُوَ أَعْلَمُ، فَقَالَ اللَّهُ: يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلا نَسُوءُكَ﴾[1]، قال الإمام النووي ﷺ: هذا الحديث مشتمل على أنواع من الفوائد منها: بيان كمال شفقة النبي ﷺ على أمته واعتنائه بمصالحهم، واهتمامه بأمرهم، ومنها: استحباب رفع اليدين في الدعاء، ومنها: البشارة العظيمة لهذه الأمة ـ زادها الله تعالى شرفاً ـ بما وعدها الله تعالى بقوله: ﴿سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلا نَسُوءُكَ﴾ وهذا من أرجى الأحاديث لهذه الأمة أو أرجاها، ومنها: بيان عِظم

(١) ((صحيح مسلم)): كتاب الإيمان. باب دعاء النبي ﷺ لأمته وبكائه شفقة عليهم.

منزلة النبي ﷺ عند الله تعالى وعظيم لطفه سبحانه به ﷺ، والحكمة في إرسال جبريل لسؤاله ﷺ إظهار شرف النبي ﷺ، وأنه بالمحل الأعلى فيسترضى ويكرم بما يرضيه والله أعلم. وهذا الحديث موافق لقول الله ﷻ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ٥﴾[1].

وأما قوله تعالى: ﴿ولا نسوءك﴾، فقال صاحب "التحرير": هو تأكيد للمعنى أي: لا نحزنك؛ لأن الإرضاء قد يحصل في حق البعض بالعفو عنهم ويدخل الباقي النار؛ فقال تعالى: نرضيك ولا ندخل عليك حزناً بل ننجي الجميع. والله أعلم[2].

وجاء في "فتح الملهِم": ﴿ولا نسوءك﴾ الخ: أي: ولا نحزنك في حق الجميع، بل ننجيهم، ولأجل

(١) سورة الضحى.

(٢) ((شرح النووي على صحيح مسلم)): (٣/٧٩).

رضاك نرضيهم، وهو في المعنى تأكيد إذ ربما يتوهم من ﴿سنرضيك﴾ نرضيك في حق البعض، ولذا قال بعضهم: ما يرضى محمد وأحد من أمته في النار، كذا في "المرقاة"[1].

قال بعض الكبار، في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾[2]، أي: التمكين لحضرته ﷺ وهو البقاء مع الله تعالى دوماً وأبداً، بعد فنائه بالحق ـ تبارك ربّنا وتعالى وتقدس. وقوله سبحانه: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣﴾[3]، أي: رفعنا عنك ما أهمك عن أمتك، ولسوف يعطيك ربك لهم حتى يُرضيك: كما قال اللّه ﷻ له: ﴿وَلَسَوْفَ

(١) ((موسوعة فتح الملهم)): (٢/٣٨٢).

(٢) سورة الشرح.

(٣) سورة الشرح.

﴿يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ٥﴾[1]، قال الإمام جعفر ـ عليه السلام والرضوان: (هذه أرجى آية عندنا أهل البيت). ﷺ جميعاً.

يا عزيز القلب: قد أُشير إلى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾، أنه خطاب خاص للنّبيّ محمدٍ ﷺ، وإشارته خطاب لكل واحد من ورثته ﷺ الذين هم على مشربه ـ بالاتباع التبعي الصفتي، أو بالوراثة والتبعية إلى يوم القيامة بحسب كونه ﷺ مظهراً لإرثه، ثم يترقى صاحب هذا المقام العالي بصفاءٍ وإخلاصٍ ـ بالامتثال والمحبة؛ لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[2]، ومنازل قربه تعالى العظيم بالإيثار

---

(١) سورة الضحى.

(٢) سورة آل عمران.

والرحمة كما قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ ٢٦﴾ ممتثلين بحال النّبيّ وآله وصحبه؛ لقوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾[1]، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٩ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾[2].

فيصبح شأن هذا العبد الربّانيّ، المعرفة، والخشية، والدعوة، والإشفاق على هذه الأمة

(١) سورة الأحزاب.

(٢) سورة الحشر.

المرحومة، مع كمال الذل والخضوع، والحضور بين يدي الله ـ تبارك وتعالى: كما قال ـ جلَّ شأنه: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾[1]، أي خائفون من هيبته وجلالهِ، مشفقون من خشيته، مشفقون على أمة نبيه وحبيبه ﷺ، على قربهم وطهارتهم، وطاعتهم التي لا استثناء فيها، ولا انحراف عنها.

قال الإمام القشيري: (أمارة الإشفاق من الخشية، إطراق السريرة في حال الوقوف بين يدي الله بشواهد الأدب، ومحاذرة بغتات الطرد، لا يستقر بهم قرار لما داخلهم من الرعب، واستولى عليهم من سلطان الهيبة).

(١) سورة الأنبياء.

وقال ـ جلَّ جلاله: ﴿كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ۝٧٩﴾[1]، قال الإمام البيضاوي: ولكن يقول كونوا ربّانيين، والرباني منسوب إلى الرب بزيادة الألف والنون، كاللحياني والرقباني وهو: الكامل في العلم والعمل، ﴿بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾، بسبب كونكم مُعلمين الكتاب وبسّبب كونكم دارسين له ـ فان فائدة التعليم والتعلّم معرفة الحق والخير للاعتقاد والعمل[2].

قال الشيخ زاده في "حاشيته على تفسير القاضي البيضاوي": (ولكن يقول): كونوا ربانيين: اضمر القول على ما تقرر عند العرب من جواز

---

(١) سورة آل عمران.

(٢) ((تفسير البيضاوي)): (ص٧٩).

الإضمار إذا كان في الكلام ما يدل عليه، ونظيره قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴿١٠٦﴾﴾[1]، أي فيقال لهم ذلك. قوله: (والرباني منسوب إلى الرب) بمعنى كونه عالمًا مواظباً على طاعته كما يقال: رجل إلهي إذا كان مقبلاً على معرفة الإله وطاعته. وزيادة الألف والنون للدلالة على الكمال في هذه الصفة، كما قالوا: شعراني ولحياني ورقباني إذا وصف بكثرة الشعر وطول اللحية وغلظ الرقبة وهذه الزيادة لا بد منها في النسبة عند قصد المبالغة فحينئذٍ لا يقال رقبي وشعري ولحوي وهذا قول سيبويه.

وقال المبرد: الربانيون أرباب العلم واحدهم رباني منسوب إلى ربان، والربان هو الذي يربي

(١) سورة آل عمران.

العلم ويربي الناس ويعلمهم ويصلحهم ويقوم بأمرهم. والألف والنون فيه للمبالغة كما قالوا: ريان وعطشان وشبعان وعريان ثم ضمت إليه باء النسبة كما قالوا: لحياني ورقباني. قال الواحدي: فعلى قول سيبويه الرباني منسوب إلى الرب على معنى التخصيص بمعرفة الرب وطاعته، وعلى قول المبرد الرباني مأخوذ من التربية.

فإن الآية دلت على أن التعلم والتعليم والدراسة يوجب كون الإنسان ربانيًّا فمن اشتغل بالتعلم والتعليم لا لهذا المقصود ضاع سعيه وخاب أمله وكان مثله مثل من غرس شجرة تؤنق بمنظرها ولا منفعة بثمرها[1]. فتنبه جداً لهذا فتح الله عليك.

(١) ((حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي)): (٣/١٠١، ١٠٢).

وفسر ابن عباس ﵄ (الربّانيّين)، بأنهم العلماء الحكماء الحلماء؛ وفسرها الحسن ﵁: بأهل العبادة والتقوى؛ وفسرها سيدنا علي ﵁، وكرم الله وجهه، (الرباني) الفقيه العالم؛ وقال السري ﵁: (الرباني)، العالم الحكيم؛ وقال ابن جبير ﵁: بالحكيم التقي؛ وقال ابن زيد ﵁: (الرباني)، مدبر أمر الناس، وقال عطاء ﵁: علماء حكماء نصحاء لله في خلقه. قال محمد بن الحنفية ﵁ يوم مات ابن عباس ﵄: اليوم مات ربّاني هذه الأمة. وقال جعفر ﵁: كونوا مستمعين بسمع القلوب، وناظرين بأعين الغيوب. وقال الجريري ﵁: ﴿كُونُواْ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ﴾ أي سامعين من الله تعالى، ناطقين بالله تعالى. وغير ذلك كما ذكره علماء التفاسير، وغيرهم ﵃[1].

(١) انظر: ((الحديقة النّديّة شرح الطّريقة المُحمّديّة)): للأستاذ المحدث الفقيه الشيخ=

"أي أخـي" العـالمُ الربَّـانيّ: أي الراسـخُ في العلم، الذي تكون حياتُه كلُّها محصورةً في معرفةِ اللهِ وذكرِهِ وخدمةِ عبادِهِ؛ أو بمعنى آخر: صاحبُ العبودية والخدمة؛ أما العبودية فهي: الطاعة الخالصة لوجـه الله تعالى، والمحبة والمعرفة الإلهية، والخدمة: أي للدين والقلوب والأمة. فتنبه جداً.

قال سيدُنا عليٌّ ﷺ، وكرم الله وجهـه: النـاسُ ثلاثةٌ: عالمٌ ربَّانيّ، ومتعلمٌ على سبيل نجاة، وهمـجٌ رَعاع أتبـاع كـلِّ نـاعق، يميلـون مـع كـل ريـح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجئوا إلى ركن وثيق(١).

وروى الدارمي عـن محمـد بـن يُوسُـف عـن سُفْيَانَ قال: كان يُقَالُ: الْعُلَمَاءُ ثَلاثَـةٌ: عَـالِمٌ بِاللَّـهِ يَخْشَى اللَّهَ ليس بِعَالِمٍ بِأَمْرِ اللَّهِ، وَعَالِمٌ بِاللَّهِ عَالِمٌ

=عبد الغني النابلسي ﷺ: (ت١١٤٣هـ)، (١/ ٣٥٧، ٣٥٨).

(١) ((حلية الأولياء)): (١/٨٠)، ((تاريخ مدينة دمشق)): (٥٠/٢٥٢).

بِأَمْرِ اللَّهِ يَخْشَى اللَّهَ؛ فَذَاكَ الْعَالِمُ الْكَامِلُ، وَعَالِمٌ بِأَمْرِ اللَّهِ ليس بِعَالِمٍ بِاللَّهِ لا يَخْشَى اللَّهَ؛ فَـذَلِكَ الْعَالِمُ الْفَاجِرُ»[1].

وقال الإمام التستري ﷺ: عالم بأمر الله تعالى، لا بأيام الله: وهم المفتون في الحلال والحرام، وهذا العلم لا يورث الخشية. وعالم بالله تعالى، لا بأمر الله ولا بأيام الله: وهم عموم المؤمنين. وعالم بالله تعالى، وبأمر الله تعالى، وبأيام الله تعالى: وهم الصديقون والخشية والخشوع إنما تغلب عليهم؛ وأراد بأيام الله أنواع عقوباته الغامضة ونعمه الباطنة التي أفاضها على القرون السالفة واللاحقة؛ فمن أحاط علمه بذلك عظم خوفه وظهر خشوعه[2].

(١) ((سنن الدارمي)): المقدمة. باب التوبيخ لمن يطلب العلم لغير الله.

(٢) ((إحياء علوم الدين)): (١/٧٥).

اللّهم؛ إنا نعوذ بعفوك من عقابك، ونعوذ برضاك من سخطك، ونعوذ بك منك، ونسألك بأنتَ أنتَ؛ فيا اللهُ، الله. آمين آمين. والحمد لله بدءًا وختاماً، في الأولى والآخرةِ، يا رب العالمين.

الخَاتِمَة

أيها الداعية الصالح: إن دين الإسلام الحنيف يدور على أربعةِ مراتبَ: المرتبةِ الأولى: القصدُ؛ لقوله ـ عليه الصّلاة والسّلام: ﴿إنما الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوَى فَمَنْ كانت هِجْرَتُهُ إلى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إلى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَنْ كانت هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أو امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إلى ما هَاجَرَ إليه﴾[١]. المرتبةِ الثانية: الورعُ؛ لقوله ﷺ: ﴿الْحَلالُ

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب بدء الوحي، ((صحيح مسلم)): كتاب الإمارة . باب قوله: ((إنما الأعمال بالنية)) وأنه يدخل فيه الغزو وغيره، ((مسند احمد)): كتاب مسند العشرة المبشرين بالجنة . باب أول مسند عمر بن الخطاب، ((سنن الترمذي)):=

بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ من الناس فَمَن اتقي الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ وَمَنْ وَقَعَ في الشُّبُهَاتِ كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ ألا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى ألا إِنَّ حِمَى اللَّهِ في أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ ألا وَإِنَّ في الْجَسَدِ مُضْغَةً إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ألا وَهِيَ الْقَلْبُ﴾[١]، ولقوله ـ عليه الصّلاة والسّلام: ﴿دَعْ ما يَرِيبُكَ إلى مالا يَرِيبُكَ﴾[٢]، وأخرى: ﴿لا يَبْلُغُ الْعَبْدُ أَنْ يَكُونَ من الْمُتَّقِينَ حتى يَدَعَ ما لا بَأْسَ بِهِ حَذَرًا

=كتاب فضائل الجهاد . باب ما جاء فيمن يقاتل رياء وللدنيا، ((سنن النسائي)): كتاب الطهارة . باب النية في الوضوء.

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب الإيمان . باب فضل من استبرأ لدينه، ((صحيح مسلم)): كتاب المساقاة . باب أخذ الحلال وترك الشبهات، ((مسند احمد)): كتاب أول مسند الكوفيين . باب حديث النعمان بن بشير، ((سنن الترمذي)): كتاب البيوع . باب ما جاء في ترك الشبهات، ((سنن النسائي)): كتاب البيوع . باب اجتناب الشبهات في الكسب، ((سنن ابن ماجه)): كتاب الفتن . باب الوقوف عند الشبهات، ((سنن الدارمي)): كتاب البيوع . باب في الحلال بين والحرام بين.

(٢) ((مسند احمد)): كتاب باقي مسند المكثرين . باب مسند انس ابن مالك، ((سنن الترمذي)): كتاب صفة القيامة والرقائق والورع . باب منه، ((سنن النسائي)): كتاب الأشربة . باب الحث على ترك الشبهات.

لِمَا بِهِ الْبَأْسُ﴾[(١)]، المرتبةِ الثالثـة: الأدبُ؛ لقولـه ﷺ: ﴿من حُسْنِ إِسْلامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مالا يَعْنِيهِ﴾[(٢)]، ولقولـه ﷺ: ﴿من كان يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أو لِيَصْمُتْ﴾[(٣)]. المرتبةِ الرابعة: الإيثارُ؛ لقولـه تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۝٩﴾[(٤)]، ولقوله ـ عليه الصّلاة والسّلام: ﴿لا يُؤْمِنُ أحدكم

---

(١) ((التاريخ الكبير)): للإمام البخاري (١٥٨/٥)، ((سنن الترمذي)): كتاب صفة القيامة والرقائق والورع . باب ما جاء في صفة أواني الحوض، ((سنن ابن ماجه)): كتاب الزهد . باب الورع والتقوى.

(٢) ((موطأ الإمام مالك)): كتاب الجامع . باب ما جاء في حسن الخلق، ((مسند احمد)): كتاب مسند أهل البيت . باب حديث الحسين بن علي، ((سنن الترمذي)): كتاب الزهد . باب فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس، ((سنن ابن ماجه)): كتاب الفتن . باب كف اللسان في الفتنة، ((مصنف عبد الرزاق)): (٣٠٧/١١)، ((صحيح ابن حبان)): (٤٦٦/١).

(٣) ((صحيح البخاري)): كتاب الأدب . باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ((صحيح مسلم)): كتاب الإيمان . باب الحث على إكرام الجار أو الضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان، ((مسند احمد)): كتاب مسند المكثرين من الصحابة . باب مسند عبد الله بن عمرو بن العاص، ((سنن أبي داود)): كتاب الأدب . باب في حق الجوار، ((سنن الترمذي)): كتاب صفة القيامة والرقائق والورع . باب منه.

(٤) سورة الحشر.

حتى يُحِبَّ لأَخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[١]، وفي روايةٍ: «لا يكـون المـؤمن مؤمنـاً حتـى يرضـى لأخيـه مـا يرضـى لنفسه»[٢]، والناس علـى ثلاثـة أحـوال: الأولى: أن يحب لنفسه أكثر مما يحب لأخيه؛ وهذه حالة البعـد عن الله تعالى. والثانيـة: أن يحـب لأخيـه مـا يحـب لنفسه؛ وهذه حالة المؤمن التقي. والثالثة: أن يحب ويرضى لأخيه أكثر مما يحب ويرضى لنفسه؛ وهـذه حالة الولي الصالح ﷺ؛ وهذا حال الإيثار.

---

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب الإيمان . باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ((صحيح مسلم)): كتاب الإيمان . باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير، ((مسند احمد)): كتاب باقي مسند المكثرين . باب باقي المسند السابق، ((سنن الترمذي)): كتاب صفة القيامة والرقائق والورع . باب منه، ((سنن النسائي)): كتاب الإيمان وشرائعه . باب علامة الإيمان.

(٢) ((تاريخ مدينة دمشق)): (١٩٧/٢٢).

وقال ﷺ: ﴿ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّه، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّوكَ﴾[1]، وقال - عليه الصّلاة والسّلام: ﴿أفضل الصدقة جهْدُ الْمُقِلِّ﴾ [2].

وقال خير التابعين؛ أُويس القرني رضي الله عنه [3]: الرفعة فوجدتها في التواضع. وطلبت الرئاسة فوجدتها في نصيحة الخلق. وطلبت المروءة فوجدتها في الصدق. وطلبت الفخر فوجدته في الفقر. وطلبت النسبة فوجدتها في التقوى. وطلبت

---

(١) ((سنن ابن ماجه)): كتاب الزهد . باب الزهد في الدنيا، وعند الحاكم في "المستدرك" بلفظ: ((ازهد في الدنيا يحبك الله عز وجل وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس))، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال النووي في ((الأذكار))، (ص٣٢٦): حديث حسن رويناه في كتاب ابن ماجه، وقال أيضا في ((رياض الصالحين))، (ص١٠٧): حديث حسن رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة.

(٢) سبق تخريجه في: ص٢٦١.

(٣) لقول رسول ﷺ: ((إن خير التابعين رجل يقال له أويس)) رضي الله عنه.

الشرف فوجدته في القناعة. وطلبت الراحة فوجدتها في الزهد. وقال: "عليك بقلبك"[1].

جاء رجل إلى العارف بالله الإمام سفيان ﷺ، وقال له: يا سفيان إني أشكو مرض البعد عن الله.

قال له سفيان ﷺ: عليك بعروق الإخلاص، وورق الصبر، وعصير التواضع، ضع ذلك في إناء التقوى وصب عليه ماء الخشية، وأوقد عليه بنار الحزن، وصفه بمصفاة المراقبة، وتناوله بكف الصدق، وأشربه من كأس الاستغفار، وتمضمض بالورع، وأبعد نفسك عن الحرص والطمع؛ تُشفى من مرضك بإذن الله تعالى.

اللّهم؛ خصنا في الدنيا بعرفانك، وفي الآخرة برضوانك، آمين آمين، يا الله.

---

(١) ((الطبقات الكبرى)): لأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري: (ت ٢٣٠هـ)، (٦/١٦٢، ١٦٤).

أي أخي: القصدُ، والورعُ يتحققان بالعلم والعبادة؛ لقوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۝٣﴾[1]، فهو لكم دون الإخلاص، وقبولهُما: بالإخلاص فهو عندئذٍ له ـ جلَّ وعلا لقوله ـ تبارك وتعالى: ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾[2]، ولقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۝١٤٦﴾[3]،وقال: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۝٣﴾[4]، وقال ﷻ: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝٢١﴾[5].

(١) سورة المائدة.

(٢) سورة البينة.

(٣) سورة النساء.

(٤) سورة الزمر.

(٥) سورة الليل.

واعلم أيها الأخ: إن أساس هـذا الـدين: هـو العلم الذي بُدئ به الـوحي عـن الله ﷻ القائـل: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾[1]، ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾، أي: الذي علمك يا محمّـد، وربّـاك وأهلَك للنبّوة والخاتمية. ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ﴾، أي: خلق كل شيء، ومنه العلقة، وقد تأخرت الخلقة عن العلـم، لقولـه تعـالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤﴾[2]، فَبَدءَ الحقُ ـ جلَّ وعلا ـ بعلم القـرآن قبـل خلـق الإنسان، ثم أخر البيان؛ وهـذا لا يمكـن عقـلاً أن يتعلّم الإنسانُ العلمَ، ويعلّم القرآن قبل خَلْقِهِ، ولا

---

(١) سورة العلق.

(٢) سورة الرحمن.

يعلم القرآن إلا بعد البيان، فيقتضي ظاهر اللفـظِ أن يكون النص (الرحمن خلق الإنسان، ثم علّمـه البيان، ثم علّمه القرآن) والأمر هنا انعكس؛ فكان القرآن متقدماً على خِلْقة الإنسان، والبيان متـأخر؛ والمعنى: لولا دين الله، وقرآن الله ما خلق الله الخلق، ولأجل ذلك خلقهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦﴾[1]، وأخر البيان ﷺ؛ والمعنى: لا بيان إلا ببيان القرآن المجيد.

ولله در شيخنا حيث قال:

وَلَيْسَ من عاصم للفكر عن زَلَلٍ

إن لم تكنْ حكمةُ القرآنِ مَبْناه[2]

---

(١) سورة الذاريات.

(٢) ((ديوان نفحات الحياة)): البيت من قصيدة اسمها "مرابع الأنس" انشأ هذه القصيدة صاحب هذا الديوان؛ وهو شيخنا واستاذنا العلامة عبد الله مصطفى "كمال الدين" قدس الله أرواحهما، أهداها لوالده وأستاذه وشيخه؛ وهو شيخنا واستاذنا مولانا=

ـ ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ﴾، قال النسفي: وكأنه ليس وراء التكرم بإفادة الفوائد العلمية تكرم، ﴿ٱلۡأَكۡرَمُ﴾، الذي له الكمال في زيادة كرمه على كل كريم[1].

فقد مدَّ صاحب كمال الكرم ـ جلَّ وعلا، حبيبه ﷺ بعلوم الدنيا والآخرة؛ لما روى البخاري ومسلم وأبو داود من حديث حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنهما: قَالَ قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَامًا. مَا تَرَكَ شَيْئاً يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إلى قِيَامِ السَّاعَةِ، إلاَّ حَدَّثَ بِهِ. حَفِظَهُ من حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ قَدْ عَلِمَهُ أَصْحَابِي هَؤُلاءِ. وإِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْهُ الشَّيْءُ قَدْ

=مصطفى كمال الدين بن أبي بكر غياث الدين الهرشمي . قدس الله أسرارنا بسرهم السامي. آمين.

(١) ((تفسير النسفي)): (٣٦٨/٤).

نَسِيتُهُ فَأَرَاهُ فَأَذْكُرُهُ كَمَا يَذْكُرُ الرَّجُلُ وَجْهَ الرَّجُلِ إذا غَابَ عَنْهُ. ثُمَّ إِذَا رَآهُ عَرَفَهُ[١].

وعن أبي زَيْدٍ الأنصاري ﷺ قال: صلى بِنَا رسول اللَّـهِ ﷺ صَلاَةَ الصُّبْحِ ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حتى حَضَرَتِ الظُّهْرُ ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى الظُّهْرَ ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حتى حَضَرَتِ الْعَصْرُ ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى الْعَصْرَ فصعد الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حتى غَابَتِ الشَّمْسُ فَحَدَّثَنَا بِمَا كان وما هو كَائِنٌ فَأَعْلَمُنَا احفظنا[٢].

وعن سمرة بن جندب أن النَّبِيّ ﷺ قال: ﴿ستروون قبل أن تقوم الساعة أشياء ستنكرونها عظاماً تقولون هل

---

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب القدر . باب وكان أمر الله قدرا مقدورا، ((صحيح مسلم)): كتاب الفتن وأشراط الساعة . باب إخبار النبي فيما يكون إلى قيام الساعة، ((سنن أبي داود)): كتاب الفتن والملاحم . باب ذكر الفتن ودلائلها.

(٢) ((صحيح مسلم)): كتاب الفتن وأشراط الساعة . باب إخبار النبي فيما يكون إلى قيام الساعة، ((مسند احمد)): كتاب باقي مسند الأنصار . حديث أبي زيد عمرو بن أخطب.

كنا حدثنا بهذا فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله تعالى واعلموا أنها أوائل الساعة﴾[1].

ـ ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾. بدل اشتمال من علّم بالقلم، أي علّمه به وبدونه من الأمور الكلية والجزئية والجلية والخفية ما لم يخطر بباله، وفي حذف المفعول أولاً وإراده بعنوان عدم المعلومية ثانياً من الدلالة على كمال قدرته تعالى وكمال كرمه ﷻ والإشعار بأنه تعالى يعلّمه ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ من العلوم ما لا يحيط به العقول ما لا يخفى، قاله في "الارشاد"[2]؛ ومن هذا ما روى سمرة بن جندب ﷺ أن النّبيّ ﷺ قال: ﴿لا تقوم الساعة حتى تروا أموراً عظاماً لم تكونوا ترونها ولا تحدثون بها

(١) ((المعجم الكبير)): (٧/٢٦٥).

(٢) ((روح المعاني)): (٣٠/٢٣١).

أنفسكم﴾[1]، فلو لم يروا عنه ﷺ إلا هـذا الحـديث لكفى، فإنه جامع للأخبار بكل عظيمة ظهـرت أو ستظهر من الحوادث والمخترعات التي ما رآها أحد ولا حدث بها نفسه قبل ظهورها، بل الكثير منهـا كان من قبيل المستحيل عـادة، كـالطيران لا سـيما على الصفة الموجودة اليوم، والسفر تحـت المـاء في الغواصات، ومكالمة الناس بعضهم بعضاً في المدن والأقطار النائية، وسماع من في المغرب صوت من في المشـرق وبـالعكس، ونقـل الصـور وارسـالها مـع الصوت كـذلك وإضـاءة المـدن العديـدة الكـبيرة الواسعة بأنوار تأتيها من أسلاك من أقطار أو مدن أخرى، وكون مادة ذلك النور بل والنار المحرقة مـن الماء المضاد للنار، إلى غير ذلك مما لا يحصى اليوم من

(١) ((الفتن)): لأبي عبد الله نعيم بن حماد المروزي (ت٢٨٨هـ) (١/ ٣٩).

المخترعات المدهشة التي كانت منذ نحو مائة سنة من قبيل المستحيل، وكل ذلك داخل في قوله ﷺ: ﴿حتى تروا الأمور العظام التي لم تكونوا ترونها﴾، فهو من جوامع كلمه وعظيم معجزاته ﷺ.

وفي رواية أخرى للإمام أحمد في "مسنده" بأصرح من هذا فقال: حدثنا أبو كامل حدثنا زهير حدثنا الأسود بن قيس ثنا ثعلبة بن عبادة العبدي من أهل البصرة عن سمرة بن جندب عن النّبيّ ﷺ في حديث طويل في وصف الدجال جاء فيه قوله ﷺ: ﴿وَلَنْ يَكُونَ ذلك كَذَلِكَ حتى تَرَوْا أُمُوراً يَتَفَاقَمُ شَأْنُهَا في أَنْفُسِكُمْ وَتَسَاءَلُونَ بَيْنَكُمْ هل كان نَبِيُّكُمْ ذَكَرَ لَكُمْ منها ذكراً﴾ الحديث[1].

(١) ((مسند احمد)): كتاب أول مسند البصريين . باب ومن حديث سمرة بن جندب عن النبي ﷺ، ((صحيح ابن خزيمة)): (٣٢٧/٢)، وقال الحاكم في "المستدرك" (٤٧٩/١): هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. انظر: ((مُطابقة=

ـ ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾، قال العلاّمة ابن كثير: وأنّ من كرمه تعالى أن علّم الإنسان ما لم يعلم فشرّفه وكرّمه بالعلم، وهو القدر الذي امتاز به أبو البريّة آدم على الملائكة[1]، لقوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ۝٣١﴾[2]، أي: ألهمه معرفةَ ذوات الأشياء التي خلقها الله تعالى في الجنة، ومعرفةَ أسمائها ومنافعها، أو ألهمه معرفة أجناس الأشياء وأنواعها،ومعرفة أسمائها وخواصّها.

ـ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾، الله ـ جلّ وعلا ـ علّم الإنسان كلّ الإنسان ما لم يعلّم، ففي كل زمن يُظهر الحق سبحانه ـ من أسرار الكون ليُثبت بما في هذا

=الاختراعات العصرية لما أخبرَ بهِ سَيّد البَريّة)): للحافظ أبي الفيض احمد بن محمد بن الصديق الغماري الحسني: (ص٥ ـ ٦).

(١) ((تفسير ابن كثير)): (٤/٥٢٨).

(٢) سورة البقرة.

الدين الحنيف من إعجاز وتحدي إلى قيام الساعة، ولما جاء في الكتاب والسنة، وأنه الدين الخاتم، والصالح للأزمان كلِّها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وأن العلوم كلّها علوم شرعية، إلا علماً واحداً هو علم السحر والشعوذة الملحقة به.

فسبحان من ﴿عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾. خلال مدة زمان جد قصيرة من أربعة عشر قرناً منذ نزول آية العلم والقلم إلى يومنا هذا تكاثرت العلوم تكاثراً يُعجز كل إنسان عن استيعاب عشر معشارها بل أقل من هذا بكثير. ومع ذلك قيل لنا نحن معاشر بني الإِنسان إرشاداً وتنبيهاً: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ۝٨٥﴾[1]. ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۝٧٧﴾[1]

(١) سورة الإسراء.

ولا نحيط ﴿بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾[2]. جلَّ جلاله وعمَّ نواله، فله الآخرة والأولى[3].

ثم أكد الحق ﷻ العلم بالقلم فأنزل جل وعلا: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ١﴾[4]، قال العلاّمة الآلوسي: هي من أوائل ما نزل من القرآن بمكة فقد نزلت ـ على ما روي عن ابن عباس ـ أقرأ باسم ربك ثم هذه ثم المزمل ثم المدثر[5].

إذاً أيها الأعز الصالح: قد جاء التأكيد للعلم، كما تبين لك؛ ولكن لا فائدة بالعلم دون العمل، وبهما يكون الأمر لنا، وبالإخلاص مع العلم والعمل ـ يُقبل ويكون لله تعالى، والمُخلِص على

(١) سورة النحل.

(٢) سورة البقرة.

(٣) ((معالم الطريق)): (ص٩٥).

(٤) سورة القلم.

(٥) ((تفسير روح المعاني)): (٢٨/٢٧).

خطرٍ ـ إلا بالأدب؛ فيقبل ويحفظ؛ لذا جاء النص موضحاً لذلك؛ قال تعالى: ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾، فبالعلم يصح العمل، وبالإخلاص يُقبل العمل، وبالأدب يحفظ القبول ـ لحسن الخواتم ـ بإذن الله تعالى. فتنبه جداً.

لقوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ١٢٥﴾[1]، فبدين الله ﷻ إخلاصاً، وبمراتب الإحسان، توجهاً وعملاً ـ تتحقق الخلة والمحبّة.

قال الكبار: من زادك خُلقاً زادك وصولاً إلى الله تعالى؛ لذا فقد مدح الربُّ ـ جلَّ في علاه، شأن حبيبه

(١) سورة النساء.

ومصطفاه ﷺ بالمقام السامي؛ فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، فأصبحت رسالته عامة، ودعوته تامة، ورحمته شاملة؛ فهو كريم الأخلاق، وجميل الأفعال، واستقامة الطريق ﷺ.

ثم امتلأ قلبه الشريف جلالاً وجمالاً، فصار للعالمين رقة ورحمة؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [1]، فقال عن نفسه ﷺ: ﴿إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ﴾[2].

فأصبح الدين الخاتم، والنّبيّ الخاتم فأفاض نوره للعالمين جميعاً؛ علماً، وخُلقاً، ورحمةً.

---

(١) سورة الأنبياء.

(٢) سبق تخريجه في صفحة ٢٩٢.

أمــا العلــم: فلقولــه تعــالى: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ۝٥٢﴾ [1]، أي: وما القرآنُ إلا موعظة للعـالمين، وما محمدٌ ﷺ إلا ذكر شرف للعالمين.

لذا سُئلت عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ عن خُلق رسول الله ﷺ فقالت: (كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ)[2].

وأمــا الأخــلاق: فلقولــه ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، ولقولــــه ﷺ: ﴿إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلاقِ﴾، رواه الإمام أحمد[3]، وللبزار: ﴿إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق﴾[4]، وقــال ـ عليــه الصّــلاة

---

(١) سورة القلم.

(٢) ((مسند احمد)): كتاب باقي مسند الأنصار . باب حديث السيدة عائشة، ((الأدب المفرد)): (ص١١٥)، ((المعجم الأوسط)): (٣٠/١).

(٣) ((مسند احمد)): كتاب باقي مسند المكثرين . باب باقي المسند السابق، قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد))، (١٥/٩): رواه احمد ورجاله رجال الصحيح.

(٤) انظر ((مجمع الزوائد))، (١٥/٩).

والسّلام: ﴿إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَى اللَّهِ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاقاً﴾(١).

أمـا الرحمـة: فلقولـه ــ تبـارك وتعـالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾، ولقولـــه ﷺ: ﴿إني لم أُبْعَثْ لَعَّاناً وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً﴾(٢)، ولقولـــــه ﷺ: ﴿الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُم الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا من في الأرض يَرْحَمْكُمْ من في السَّمَاءِ﴾(٣).

(١) ((صحيح ابن حبان)): (٢٣١/٢).

(٢)((صحيح مسلم)):كتاب البر والصلة والآداب. باب النهي عن لعن الدواب وغيرها.

(٣) ((سنن أبي داود)): كتاب الأدب . باب في الرحمة، ((سنن الترمذي)): كتاب البر والصلة. باب ما جاء في رحمة الناس، وقال: هذا حديث حسن صحيح. قال المناوي في ((فيض القدير))،(٥٦/٤): ((ارحموا من في الأرض)) أي: من تستطيعون رحمته من المخلوقات برحمتكم المتجددة الحادثة، ((يرحمكم من في السماء)) أي: من رحمته عامة لأهل السماء الذين هم أكثر وأعظم من أهل الأرض، أو المراد أهل السماء كما يشير إليه رواية: ((أهل السماء)) قال العارف البوني: فإن كان لك شوق إلى الرحمة من الله فكن رحيماً لنفسك ولغيرك، ولا تستبد بخيرك، فارحم الجاهل بعلمك، والذليل بجاهك، والفقير بمالك، والكبير والصغير بشفقتك= =ورأفتك، والعصاة بدعوتك، والبهائم بعطفك، ورفع غضبك، =

أي أخي: علـى قـدر قـوة اتباعـك ومحبتـك لرسول الله ﷺ تكون صلتك بهذه المنـازل ـ بـإرث نبيّك محمّدٍ ﷺ؛ كما قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴿٢١﴾﴾[1]، والمعنى: أي اقتدوا به إقتداءً حسناً في شأن حاله، والاستنان بسنته، والنصر لدينه؛ لأن الاقتـداء برسـول الله ﷺ واجـب في الأقـوال والأفعال والأحوال، لأنه لا ينطـق ولا يفعـل عـن هوى بل جميع أفعاله وأقواله وأحواله عن ربه ﷻ.

وعلى هذا اختلفت مدارج القلوب عند مليك مقتدر، وكلٌّ متحقق على قدر امتثاله واتصاله بالنبيّ الرسول الخاتم ﷺ؛ فالقلـب المنيـب: أخـذ بـالعلم والعمل ـ توحيداً وتقى.

=فأقرب الناس من رحمة الله أرحمهم لخلقه، فكل ما يفعله من خير دق أو جل فهو صادر عن صفة الرحمة.

(١) سورة الأحزاب.

والقلب السليم: أخذ صاحبه بالصفاء والإخلاص بدين الله قبولاً.

والقلبان الذاكر والحاضر: فهما تقرباً ونورا.

والقلب الصادق: فهو عرفاناً وتهذيباً.

والقلبان الغيور والشفيق: فهما معرفةً وكمالاً وحباً وهدى.

ـ لتسير القلوب بدين الله، وحبه، وإرث نبيه ﷺ إلى اللّه ﷻ لقوله: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾﴾ [١]، ولقول النّبيّ الحبيب ﷺ عن ربه اللطيف الواسع العليم: «وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً» [٢]، فيُكرم العبد الولي؛ من ذات الله الجليل الجميل: بـ ﴿الْحُسْنَىٰ﴾ وهي الجنّة، ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ وهي النظر إلى

(١) سورة طه.

(٢) سبق تخريجه في (ص٨٠).

وجه الله الكريم ـ جلَّ جلالـه وعـمَّ نوالـه ـ يـوم القيامة، لأنه جلَّ وعلا ـ لا يحجبه شيء. والحاجـبُ شيءٌ، والشيءُ مخلوقٌ؛ فهو جلَّ شأنه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۝١١﴾[1]، والمحجوبـون نحـن، فـإذا أذن الحـق تعالى لرؤيته يوم القيامة؛ فنـرى بـه ـ جـلَّ وعـلا. فســبحان: ﴿ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾، اللّهم أنت الأول قبـل كـل شـيء، وأنـت الآخر بعد كل شيء، وأنت الظاهر فوق كل شيء، وأنت الباطن أقرب من كل شيء.

ثـم ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۝٧٢﴾[2]، لقـول رسول اللّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يقُولُ لأَهْلِ الْجَنَّةِ: يا أَهْلَ الْجَنَّـةِ! فَيَقُولُـونَ: لَبَّيْـكَ رَبَّنَـا وَسَـعْدَيْكَ، فيقـول: هَـل

(١) سورة الشورى.

(٢) سورة التوبة.

رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَما لنا لا نَرْضى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا ما لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فيقول: أنا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذلك، قالوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فلا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا﴾[1].

فاعلم أيها الأخ العزيز: أن الله تعالى خص هذه الأمة المرحومة بخصائص لم توجد في سائر الأمم؛ منها: إحلال الغنائم ولم تحل لأمة قبلها؛ ومنها: أنه جعل الأرض لهم مسجدا؛ ومنها: انه جعل تراب الأرض لهم طهورا؛ ومنها: الوضوء فانه لم يكن إلا للأنبياء دون أممهم؛ ومنها: مجموع الصلوات الخمس ولم تجمع لأحد غيرهم؛ ومنها: الآذان والإقامة؛

---

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب الرقاق. باب صفة الجنة والنار، ((صحيح مسلم)): كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها. باب إحلال الرضوان على أهل الجنة فلا يسخط عليهم أبدا، ((مسند احمد)): كتاب باقي مسند المكثرين. باب مسند أبي سعيد الخدري، ((سنن الترمذي)): كتاب صفة الجنة. باب منه.

ومنها: البسملة حيث لم تنزل على أحد من الأمم؛ ومنها: التأمين خلف الإمام؛ ومنها: الاختصاص بالركوع؛ ومنها: الصفوف في الصلاة كصفوف الملائكة؛ ومنها: الجمعة؛ ومنها: ساعة الإجابة التي في الجمعة؛ ومنها: أنه إذا كان أول ليلة من شهر رمضان نظر الله إليهم، ومن نظر إليه لا يعذبه أبدا؛ ومنها: تزين الجنة لهم فيه، واستغفار الملائكة لهم في كل ليلة منه، وكون ذنوبهم مغفورة جميعا في آخر ليلة منه؛ ومنها: السحور وتعجيل الفطر؛ ومنها: ليلة القدر؛ ومنها: أن لهم الاسترجاع عند المصيبة؛ ومنها: أن الله تعالى رفع عنهم الإصر والأغلال؛ ومنها: أن الله تعالى لم يجعل عليهم في الدين من حرج؛ ومنها: أن الله تعالى رفع عنهم المؤاخذة بالخطأ والنسيان؛ ومنها: ان الإسلام وصف خاص بهم لا

يشاركهم فيه غيرهم إلا الأنبياء؛ ومنها: ان شريعتهم أكمل الشرائع؛ ومنها: انهم لا يجتمعون على الضلالة؛ ومنها: ان إجماعهم حجة واختلافهم رحمة؛ ومنها: انهم أقل الأمم عملا وأكثرهم أجرا؛ ومنها: ان الطاعون شهادة ورحمة لهم وكان على سائر الأمم عذابا؛ ومنها: انهم إذا شهد منهم اثنان لعبد بخير وجبت له الجنة؛ ومنها: انهم أوتوا الإسناد وهو خصيصة فضيلة من خصائص هذه الأمة؛ ومنها: انهم أوتوا تصنيف الكتب؛ ومنها: أن فيهم الصالحين والأولياء والعارفين الربانيين؛ ومنها: انهم يدخلون قبورهم بذنوبهم، ويخرجون منها بلا ذنوب ـ لأنها تُغفر لهم باستغفار المؤمنين لهم؛ ومنها: انهم اختصوا في الآخرة بأنهم أول من تنشق عنهم الأرض من بين الأمم؛ ومنها: أنهم يدعون يوم

القيامة غرّاً محجلين من آثار الوضوء؛ ومنها: انهم يكونون في الموقف على مكان عال؛ ومنها: انهم يؤتون كتابهم بأيمانهم؛ ومنها: انهم يدخل الجنة منهم سبعون ألفاً بغير حساب، بل مع كل واحد من السبعين ألفا، سبعون ألفا؛ ومنها: انهم يدخلون الجنة قبل سائر الأمم؛ ومنها: إكرامهم في الآخرة بالرحمة الخاصة؛ ومنها: جعل الله لهم مستنداً وطرفاً قويا: وهو النّبيّ ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ بشفاعته وشريعته العظيمة؛ وغير ذلك[1]، من الأمور العظيمة بكرم الله ﷻ للأمة.

ثم اعلم أنه مما يدل على أكرمية هذه الأمة؛ حديث ذكره الحافظ أبو نعيم في "الحلية" عن انس أنه قال: قال رسول الله ـ عليه الصّلاة والسّلام:

---

(١) انظر ((شرح البردة)): للشيخ زادة، و ((خصائص الأمة المحمدية)): للشيخ السيد محمد علوي المالكي الحسني. (ص ١٨).

﴿أوحى الله تعالى إلى موسى نبيء بني إسرائيل أنه من لقيني وهو جاحد لمحمّد أدخلته النار. قال يا رب، ومن محمّد؟ قال: يا موسى، وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أكرم علي منه، كتبت اسمه مع اسمي في العرش قبل أن أخلق السموات والأرض والشمس والقمر بألفي ألف سنة، وعزتي وجلالي ان الجنة محرمة على جميع خلقي حتى يدخلها محمّد وأمته. قال موسى: ومن أمة محمّد؟ قال: أمته الحمادون يحمدون الله صعوداً وهبوطا وعلى كل حال، يشدون أوساطهم، ويطهرون أطرافهم، صائمون بالنهار ورهبانا بالليل، أقبل منهم اليسير وأدخلهم الجنة بشهادة (أن لا إله إلا الله) قال: فاجعلني نبي تلك الأمة. قال: نبيها منها، قال: أجعلني من أمة ذلك النّبيّ. قال: استقدمت واستأخروا يا موسى، ولكن سأجمع بينك وبينه في دار الجلال﴾[1]. وهذا من فضائل الأمة التي أكرمها الحق

---

(١) ((حلية الأولياء)): (٣/٣٧٦)، وقال: هذا حديث غريب من حديث الزهري لم=

جلَّ وعلا ـ لنبيّه ﷺ وأمته؛ فإن كان في السند شيءٌ، فإن المعنى مؤيدٌ بقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴿١١٠﴾﴾[1]، والحمد لله على دين الإسلام.

أيها العبد الصالح: قد جعل الله نبيّنا محمداً ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، وأرتضى له الإسلام خاتم الأديان في العالمين، فكتب البقاء لما آتاه من الحكمة والشريعة وقوة التزكية في قلوب أتباعه الآخْرين كأتباعه الأولين.

إن الله حيّ لا يموت. وإن الإسلام هو الدين الذي ارتضاه. وإن الرسول قد ورَّث العلم والحكمة ونور التزكية للعلماء الصلحاء المتنورين من أبناء

=نكتبه إلا من حديث رباح بن معمر ورباح فمن فوقه عدول والجبابري في حديثه لين ونكاره، وقال في ((الدر المنثور))، (٥٣٩/٣): أخرجه أبو بكر بن عاصم في "كتاب السنة" وأبو نعيم عن أنس رضي الله عنه.

(١) سورة آل عمران.

أمته الوارثين، حملة الرسالة العظمى إلى الناس أجمعين. فما بالمدد الرباني من انقطاع. وإنه وحده في ذلك كله المعبود والمطاع.

فانهج أيها المسلم نهج نبيك. واختر من وارثيه أستاذاً لك في مهمات دينك. وتوجه بكل قلبك إلى الله، فإنه هو خالقك ومولاك، فنعم المولى ونعم النصير[1].

ـ اللّهم أنت مقصودي، ورضاك مطلوبي، فقد جئتك مفتقراً محباً بك إليك؛ يا ودود يا لطيف يا واسع يا عليم يا الله. آمين آمين.

ـ اللّهم نسألك الفردوس الأعلى برحمتك.

ـ اللّهم كرمك اللائق بذاتك الأقدس يا الله ـ تبارك وتعالى ربّنا وتقدس.

---

(١) ((معالم الطريق)): (٢١٣).

ـ ربنا أنت الذي أنعمت، وهديت؛ فزدنا ولا تنقصنا، اختم حياتنا عليك، وأمتنا على كمال الحب والإيمان، يا الله. آمين.

ـــ ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾[١]، اللّهم يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلوبنا على دينك ومحبتك، يا الله، آمين.

. اللّهم آتِ نفوسَنا تقواها، وزكِّها أنتَ، أنت خيرُ مَن زكَّاها، أنتَ وليُّها ومولاها.

ـ ربي اغفر لي ولوالديَّ وللمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات . برحمتك يا أرحم الراحمين، يا الله. يا الله. آمين.

ـ اللّهم أنصر من نصر الدّين، واخذل من خذل المسلمين. يا ناصر يا غالب يا معين، يا الله. آمين.

---

(١) سورة آل عمران.

اللّهم إنا نعوذ بعفوك من عقابك، ونعوذ برضاك من سخطك، ونعوذ بك منك، ونسألك بأنت أنت؛ فيا اللهُ الله.

اللّهم أطلق ألسنتنا بذكرك، وطهر قلوبنا مما سواك، وروح أرواحنا بنسيم قربك، وأملأ أسرارنا بمحبّتك، وأطوِ ضمائرنا بنيّة الخير للعباد، وألف أنفسنا بعلمك، وأملأ صدورنا بتعظيمك، وخير كليتنا إلى جنابك، وحسن أسرارنا معك، واجعلنا ممن نأخذ ما صفا ويدع الكدر، ويعرف قدر العافية ويشكر عليها، ويرضى بك كفيلا لتكون له وكيلا، ووفقنا لتعظيم عظمتك، وارزقنا لذة النظر إلى وجهك الكريم، تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام، لا إله إلا أنت. آمين آمين، يا مولانا يا رب العالمين، يا الله.

. اللّهم صلِّ على سيدنا محمد النَّبيِّ الأمي، فاتح باب العلم، وعين اليقين، الذي كان نبياً وآدم بين الماء والطين، حبيب ربّ العالمين، وخاتم الأنبياء والمرسلين،

الذي ملأت عينه من جلالك وقلبه من جمالك . فأصبحَ فرحاً بك مسروراً مؤيداً منصوراً، وعلى آله وأصحابه وأتباعه وسلم وبارك.

. سبحانك اللّهمَ وبحمدِك اشهدُ أن لا إله إلا أنت أستغفرُكَ وأتوبُ إليك.

- ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾[1].

---

(١) سورة الصافات.

حسن الختام

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ
تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن
يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ
وَٱلۡمَطۡلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ
﴿٧٤﴾ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ
ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴿٧٥﴾ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۗ وَإِلَى ٱللَّهِ
تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ
وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾
وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي
ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ
وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ
فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ
ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾(١).

---

(١) سورة الحج.

والحمـد لله تعـالى فـي البـدء والختـام والصّـلاة والسّلام على خير الأنام وآله وأصحابه وأتباعه الكرام. سـبحانك لا علـم لنـا إلا مـا علمتنـا إنـك أنـت العلـيم الحكيم. ربّ: إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني . إنك أنت الغفور الرحيم.

وهذا عصر يوم الأربعاء السابع من ذي القعدة من العام الهجري التاسع والعشرين بعد الأربعمائة والألف، وفيه أكتمل هذا الكتاب "الرسالة والخاتمية والوارثية" وذلـك فـي منـزلي الملتصـق بجـامع الربـاط "بمنطقـة القلعة" المباركة، من مدينة سامراء، من بلد العراق . بلد العلم والصلاح والحرب والسلام.

خادمُ الدّين والأُمّة
الشّريف الشّيخ عبّاس السّيد فاضل
الحسني النقشبندي
العراق - سامراء - القلعة

٢٠٠٨/١١/٥

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة